دولة ماليزيا

وزارة التعليم العالي (MOHE)

جامعة المدينة العالمية

كلية العلوم الإسلامية

قسم القرآن الكريم وعلومه

القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية

دراسة موضوعية

بحث مقدم لنيل درجة العالمية (الدكتوراة) في القرآن الكريم وعلومه

إعداد الطالب:السيد سعيد محمد سعيد

الرقم الجامعي: PTF123AV457

تحت إشراف الدكتور

السيد سيد أحمد نجم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد في جامعة المدينة العالمية

كلية العلوم الإسلامية – قسم القرآن الكريم وعلومه

العام الجامعي: ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

APPROVAL PAGE : صفحة الإقرار

تمّ إقرار بحث الطالب: السيد سعيد محمد سعيد

من الآتية أسماؤهم:

The thesis of ……has been approved by the following:

***Supervisor Academic* المشرف على الرسالة**

***Supervisor of correction* المشرف على التصحيح**

د/ خالد بلوص سليمان جمالي

***Head of Department* رئيس القسم**

***Dean, of the Faculty* عميد الكلية**

نادي قيس البدون

***Academic Managements & Graduation Dept* قسم الإدارة العلمية والتخرج**

***Deanship of Postgraduate Studies* عمادة الدراسات العليا**

إقرار

أقررتُ بأنّ هذا البحث من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، والنقل والاقتباس من المصادر والمراجع المتعلقة بموضوعه.

اسم الطالب :السيد سعيد محمد سعيد

التوقيع

التاريخ : ١٩/ ٨/ ١٤٣٥هـــــــ.

٢١/ ٦/ ٢٠١٤م

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is result of my own investigation, except where otherwise stated.

Name of student**:-** sayed said mohammad said

Signature;

Date: 19/ 8/ 1435h

21/ 6 / 2014m

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع © ٢٠١٤ محفوظة

السيد سعيد محمد سعيد

القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أيّ شكل أو صورة من دون إذن مكتوب موقع من الباحث إلاّ في الحالات الآتية:

١- يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.

٢- يحق لجامعة المدينة العالمية ماليزيا الاستفادة من هذا البحث بمختلف الطرق وذلك لأغراض تعليميّة، لا لأغراض تجاريّة أو تَسْويقيَّة.

٣- يحق لمكتبة جامعة المدينة العالميّة بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور؛ إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكدّ هذا الإقرار :السيد سعيد محمد سعيد

التوقيع: التاريخ: ١٩/ ٨/ ١٤٣٥هـ

٢١ / ٦ / ٢٠١٤م

ملخص

الحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ – صلى اللهُ عليهِ وسلمَ – وبعدُ

هذا البحثُ الذي بين أيديكِم يُعنى باستخراجِ القيمِ التربويةِ والإيمانيةِ للأمثالِ القرآنيةِ دراسةً موضوعيةً استنباطيةً؛ وذلك لأهمية الأمثال القرآنية في المجتمع المسلم، وأثرها في حياة الفرد والمجتمع. وكان الهدف من هذه الدراسة بيان أهمية الأمثال القرآنية فهي أعظم الأساليب التي اعتنت بها العرب في تقريب المعاني وإبرازها ، وسرعة تفهيم المخاطب، وإيصال المعنى المراد له ، واستخلاص الفوائد التربوية والإيمانية المعينة على إصلاح النفوس وتهذيبها من خلال إبراز القدوة الحسنة ، والتحذير من القدوة السيئة.وهذا البحث يُجيبُ على إشكالياتٍ عدة من أهمها: ما هي القيم التربوية والإيمانية الواردة في الأمثال القرآنية المضروبة لأصناف البشر (المنافقين ، والكافرين ، والمشركين ، والمؤمنين) ؟، وما الصفات الواردة في الأمثال لكل قسم مما تقدم ؟ ،وما هي الوسائل الوقائية والعلاجية لمعالجة ظاهرة النفاق ؟،وما هي الوسائل الوقائية والعلاجية لمعالجة ظاهرة الشرك ؟ وما هي سبل وركائز دعوة الكافرين ؟وما هي الوسائل المعينة على زيادة الإيمان ؟ وكان منهجي في هذا البحث هو منهج موضوعي استنباطي وقسَّمت البحث إلى بابين تسبقهما مقدمة وتمهيد وتعقبهما خاتمة وفهارس .وقسمت البحث إلى موضوعات مستقلة، ويندرج تحت كل موضوع الأمثال المتعلقة به . ثم بدأت بالمنافقين ثم بالكافرين ثم بالمشركين ثم بالمؤمنين على حسب الورود في القرآن، وأبرزت المحور الرئيس للمثل، ومناسبة المثل لما قبله وما بعده وبيان أسباب النزول إن وجد ،ثم بيان أقوال أهل العلم في المثل، ثم استخلاص القيم التربوية والإيمانية للمثل. وفي ختام كل موضوع أبين الظواهر السلبية وطرق علاجها كما في الموضوعات الثلاثة .وأما عن المؤمنين فبينتُ عوامل زيادة الإيمان.

وأهم ما خلصت إليه في هذا البحث أن للأمثال القرآنية أثراً في حياة الفرد والمجتمع فيستفاد منها التذكير ، والوعظ، والحث ، والزجر ، والاعتبار، والتقرير ، وإقامة الحجة على العباد، وتقريب المعقول وجعله في صورة حسية، وشحذ ذهن المخاطب للتفكُّرِ والتذكُّرِ .

وإبراز ما تضمنته الأمثال القرآنية الواردة في المنافقين والكافرين والمشركين من صور حسية وذلك بغرض ذكر قبائح الباطل والتنفير منه .

ثم إبراز أهم الصفات التي اشتملت عليها الأمثال الواردة في المنافقين والكافرين والمشركين ، ومن

هذه الصفات: إدعاء الإيمان كذباً، والخداع والمراوغة، ومرض القلب ،وإظهار الصلاح مع إفسادهم في الأرض، ومن صفاتهم السخرية من المؤمنين ودينهم، والحلف الكذب ،وكذلك التقليد والتبعية ، والعمى والصمم عن الحق ،ومشابهة الأنعام .

ثم إبراز صفات المؤمنين ومنها: شدَّتهم على أهل الكفر والنفاق مع رحمتهم بالمؤمنين ، ومداومتهم على العبادة، وإخلاصهم لله في كل صغيرة وكبيرة مع صلاح الظاهر والباطن .

ثم إبراز الوسائل التربوية والإيمانية لمواجهة هذه الصفات الذميمة سواء كانت وقائية أو علاجية ومنها التنفير من صفاتهم المتقدمة ، والتحذير من الاغترار بهم، وتخويفهم بالله والبراءة منهم وهجرهم، ومقاطعة مجالسهم ، و إتباع طريقة القرآن الكريم ببيان الحجج الناصعة والبراهين الساطعة بدلالاتها القويمة. ثم إبراز أسباب زيادة الإيمان ومنها معرفة الله بأسمائه وصفاته وطلب العلم الشرعي ، والإكثار من ذكر الله تعالى ،والبعد عن المعاصي ، ومجالسة الصالحين ، وتقديم محبة الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – على ما عداهما .

Abstract

Allpraise is due to Allahand peace be upon His Messenger. The research before you aims at extracting the educational and faith values of the Quranic analogies by means of an objective and deductive study. This is because of the importance of the Quranic analogies on the individual and Muslim society. The main objective of this study is to highlight the significance of the analogies in Quran which are considered a stylistic tool used by the Arabs to simplify and accentuate meanings, communicate meaning to the addressee easily, get the intended meaning across and extract specific educational and faith values that lead to cleansing and purifying souls by means of focusing on the role models and forewarning bad role models.

Among the several problematic topics this study attends to, is the educational and faith values inthe Quranic analogies set for the different categories of people (hypocrites, disbelievers, polytheists and believers) and the attributes stated in the Quranic analogies of each of the above mentioned categories. The study also aims to illustrate the protective and curative measures of polytheism, the main means and pillars of calling the disbelievers to Islam and the means of increasing faith.

My research methods, in this study, are objective and deductive as I divided the study into two parts preceded by a preface and an introduction and followed by a conclusion and references. I also divided the study into independent topics under which the relevant analogies are stated. After that, I investigated the hypocrites, disbelievers, polytheists and believers respectively, illustrated the main focus of each analogy, how it fits with what is mentioned before and after it, the reasons for revelation, if there is any, the interpretation of scholars, and the educational and faith values of it. Finally, I highlighted the negative attributes and how to treat them as in the three topics. As for the believers, I illustrated the means of

increasing faith.

The main findings of this study is that Quranic analogies have an impact on the individual and society through preaching, sermonizing, urging, discouraging, taking lessons, approving, giving clear proofs to people, facilitating comprehension by giving the abstract a physical image, and challenging the addressee's mind to think and reflect.The main findings also included an illustration of what the Quranic analogies, set for the hypocrites, disbelievers and polytheists, contain of tangible images to highlight the ugliness and repulsiveness of their wrongdoing. They also included the main attributes included in the analogies for the hypocrites, disbelievers and polytheists such as their untruthful claim of believing, deceiving, evasiveness, ill intention, showing righteousness while corrupting the earth, mocking at the believers and their religion, swearing falsely, dependence and imitation, not hearing or seeing the truth and their resemblance of cattle.

Major findings also involved emphasizing the attributes of the believers which include their strength in dealing with the hypocrites and disbelievers while showing mercy to the believers, the continuity of their worship, devotion to Allah and their inner and outer goodness. Another finding is highlighting the educational and faith protective and curative means of confronting these ugly attributes which include repulsion of the above mentioned attributes, forewarning people of them, warning them of Allah's wrath and punishment, disavowing them, abandoning them, not sitting with them, following the Quranic way through providing fool-proof and clear evidence and emphasizing the means of increasing faith which include knowing Allah the Almighty, His names and Supreme Attributes, seeking religious knowledge, making abundant mention of Allah, avoiding sins, accompanying righteous people, and favoring the preferences of Allah and His Messenger to one's own preferences.

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى روح أمي وأبي رحمهما الله تعالى

.....

أهدي هذا العمل إلى زوجي الحبيبة أم أحمد

.....

كما أهديه إلى أولادي الدكتور أحمد والأستاذ محمد والدكتورة إيمان والآنسة رحمة.....

كما أهديه إلى شيخي الكريم الدكتور / السيد سيد أحمد نجم

.....

كما أهديه إلى مشايخي الذين تربيت على أيديهم ونهلت من علمهم.....

كما أهديه إلى كل طالب علم يحب الطلب ويحرص عليه.....

شكر وتقدير

الحمد والشكر أولًا وأخيرًا لله تعالى المستحق للثناء والحمد؛ فهو سبحانه و تعالى ميسر النعمِ وصاحب الفضلِ، فالحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، واقتداءً بهدي- النبي صلى الله عليه وسلم- القائل"من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[1]ومن هذا المنطلق.

أتوجه بالشكر والتقدير والدعاء لزوجي الحبيبة أم أحمد التي أسأل الله تعالى أن يجعل كل ما تقدمه لي ولأولادي في ميزان حسناتها، ولابنتي الغالية رحمة التي ساعدتني كثيراً.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لسعادة الدكتور محمد خليفة التميمي على إرساء قواعد هذه الجامعة وتشجيعه وفتح بابه للطلاب، وتذليل العقبات أمامهم.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لسعادة الدكتور /السيد سيد أحمد نجم المشرف على البحث على صبره علي وتوجيه الدائم وملاحظاته القيمة.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لسعادة الدكتور /عبد الناصر خضر ميلاد الذي لا يدخر جهداً في مساعدة طلاب مركز المدينة المنورة وتذليل كل الصعاب لهم.

كما أتوجه بالشكر لسعادة الدكتور/ نبيل الجوهري الأستاذ بالجامعة الإسلامية على توجيهاته القيمة والاستفادة من علمه الجم نفع الله به الإسلام والمسلمين كما أتوجه بالشكر لكل من قدم لي يد العون والمساعدة من إخواني والله أسال أن يجزي الجميع خير الجزاء.

١-سنن الترمذي ـ كتاب البر والصلة (٢٤) – باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (٣٥) –حديث (١٩٥٤) وقال أبو عيسى حديث حسن صحيح.

فهرس الموضوعات

المقدمة	١
مشكلة البحث	٣
أهداف البحث	٤
الدراسات السابقة	٥
منهجية البحث	٧
هيكل البحث	٨
التمهيد وهو عبارة عن خمسة مباحث	١٥
المبحث الأول : المعنى الرئيس للفظ المثل لغةً واصطلاحاً	١٥
المطلب الأول : المعنى الرئيس للفظ المثل لغةً	١٧
المطلب الثاني : المثل في الاصطلاح	١٩
المبحث الثاني : أقسام الأمثال القرآنية	٢٣
القسم الأول : الأمثال الظاهرة المصرح بها	٢٣
القسم الثاني : الأمثال الكامنة	٢٤
المبحث الثالث : الأهمية التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية	٢٧
المبحث الرابع : الخصائص التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية	٣١
أولاً: دقة التصوير وصدق المماثلة	٣٢
ثانياً:التصوير المتحرك الحي الناطق	٣٣
ثالثاً: التنوع في الممثل به	٣٤
رابعاً:تكرار الأمثال	٣٥
خامساً: التشويق وإبعاد النفرة	٣٦
المبحث الخامس : الأغراض التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية	٣٩
الغرض الأول : تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب	٤٠
الغرض الثاني : وهو الإقناع بفكرة من الأفكار	٤٠
الغرض الثالث : ضرب الأمثال لغرض الإقناع بذكر محاسن الحق والترغيب فيه	٤١

الغرض الرابع: وهو شحذ ذهن المخاطب	٤٣
الغرض الخامس : الدلالة على كثرة الفوائد العلمية والحكم	٤٤
الغرض السادس : تقديم أفكار غزيرة بعبارة قصيرة	٤٤
الغرض السابع : التربية بإبراز القدوة الحسنة	٤٥
الباب الأول : القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية المضروبة للمنافقين والمشركين وفيه فصلين	٤٧
الفصل الأول : القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية المضروبة للمنافقين	٤٨
المبحث الأول : النفاق لغة واصطلاحاً	٤٨
المطلب الأول : النفاق لغةً	٤٨
المطلب الثاني : النفاق شرعاً	٤٩
المطلب الثالث : خلاصة القول في العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للنفاق	٥١
المبحث الثاني :دراسة المثلين في قوله تعالى:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾	٥٢
المطلب الأول :مناسبة المثالين	٥٢
أسباب نزولهما	٥٢
تعلقهما بما قبلهما من الآيات	٥٢
المطلب الثاني : تفسير المثلين وبيان أقوال أهل العلم فيهما	٥٨
المطلب الثالث : نوعا المثلين	٦٣
الغرض الذي من أجله ضرب المثلين	٦٥
المطلب الرابع : الفوائد البلاغية والتربوية والإيمانية للمثلين	٦٦
المبحث الثالث : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾	٧٦
المطلب الأول : مناسبة المثل لأسماء السورة	٧٦
تعلق المثل بما قبله من الآيات	٨١
تعلق المثل بما بعده من الآيات	٨٢
المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه	٨٣

المطلب الثالث : الغرض الذي من أجله ضرب المثال	٨٦
الفوائد التربوية والإيمانية للمثال	٨٨
المبحث الرابع : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ﴾	٨٩
المطلب الأول : مناسبة المثل وأسبابه فيمن نزل	٨٩
تعلق المثل بما قبله من الآيات	٩٩
المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في تفسير المثل	١٠١
المطلب الثالث : نوع المثل	١٠٦
الغرض من ضرب المثل	١٠٧
المطلب الرابع : الفوائد الإيمانية والتربوية للمثل	١٠٧
المبحث الخامس : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾	١١٣
المطلب الأول : مناسبة المثل لاسم السورة	١١٣
المناسبة بين السورة وسابقتها	١١٣
أسباب نزول آيات المثل وفيمن نزلت	١١٣
تعلق المثل بالآيات بما قبله وما بعده من الآيات	١١٣
المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في تفسير المثل	١١٦
المطلب الثالث : نوع المثل	١١٩
الغرض الذي من أجله ضرب المثل	١٢٠
المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل	١٢١
المبحث السادس : وفيه بيان صفات المنافقين من خلال الأمثلة السابقة والوسائل الشرعية لمواجهة النفاق وأساليبه	١٣٢
المطلب الأول : صفات المنافقين كما جاءت في الأمثال القرآنية	١٣٢
الصفة الأولى : إدعاء الإيمان كذباً	١٣٣

الصفة الثانية : الخداع والمراوغة	١٣٣
الصفة الثالثة : مرض القلب	١٣٤
الصفة الرابعة : إظهار الصلاح مع إفسادهم في الأرض	١٣٥
الصفة الخامسة : السخرية من المؤمنين ودينهم	١٣٦
الصفة السادسة : الحلف الكاذب والتستر بالأيمان	١٣٧
الصفة السابعة : الخوف الدائم من أن يفضح الله أمرهم للناس	١٣٨
الصفة الثامنة : الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ، ومحبة نشر الفاحشة في المؤمنين	١٣٩
الصفة التاسعة أخوهم اليهود ومناصرتهم لهم	١٤٠
الصفة العاشرة :الاستكبار عن قبول الحق ، والإعراض عن التوبة	١٤٠
الصفة الحادية عشر :حسن المظهر وسوء المخبر	١٤١
الصفة الثانية عشر : التواصي بالحصار الاقتصادي على المؤمنين حتى يتركوا دينهم	١٤١
الصفة الثالثة عشر : التذبذب في المواقف وعدم الثبات على الرأي	١٤٢
الصفة الرابع عشر :البخل بما في أيديهم ، ولمز الباذلين من المؤمنين واتهام نواياهم	١٤٣
الصفة الخامسة عشر : إيذاء النبي – صلى الله عليه وسلم – بوصفه بما لا يليق ، ولمزه في الصدقات ، واتهامه في عرضه	١٤٣
المطلب الثاني : الوسائل التربوية والإيمانية لمواجهة النفاق وأساليبه	١٤٤
القسم الأول : وسائل وقائية	١٤٤
التنفير من النفاق والمنافقين ، والتحذير من الاغترار بهم	١٤٤
التذكير بشدة عقوبتهم وعظيم عذابهم	١٤٦
إعداد القوة المادية المحسوسة لإرهاب المنافقين	١٤٦
تنقية وسائل التأثير في المجتمع كالجيش والإعلام والتعليم من المنافقين وأفكارهم	١٤٨
عدم تعيين من ظهرت عليه علامات النفاق في المناصب المؤثرة	١٤٨
مراقبة تصرفات من يظن فيه النفاق والحذر منه	١٤٨
القسم الثاني : وسائل علاجية	١٤٩
وعظهم وتذكيرهم ، وتخويفهم بالله ، وبما أعد للمنافقين من العذاب الأليم	١٤٩

البراءة منهم وهجرهم ، ومقاطعة مجالسهم وعدم موالاتهم ومحبتهم ١٥٠

حرمانهم من قبول مشاركتهم مع المسلمين في الجهاد والأعمال التي ظاهرها الخير بعد أن يعلم بنفاقهم ١٥١

عدم الرضا عنهم أو قبول اعتذار من يثبت كذبه منهم ١٥٣

جهادهم وإظهار الغلظة عليهم ١٥٤

تهديدهم بفضح خباياهم أمام المسلمين ، ونفيهم وقتلهم ١٥٦

عدم الاستغفار لهم والترحم عليهم أو الصلاة على ميتهم ١٥٦

الباب الأول : الفصل الثاني : القيم التربوية والإيمانية المضروبة للكفار ١٥٨

المبحث الأول : تعريف الكفر لغةً واصطلاحاً ١٥٨

المطلب الأول : تعريف الكفر لغةً ١٥٨

المطلب الثاني : تعريف الكفر اصطلاحاً ١٦٠

المطلب الثالث : العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ١٦٠

المبحث الثاني : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ ١٦١

المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله ١٦١

أثر المناسبة ١٦٢

مناسبة المثل لما بعده وأثر المناسبة و العبرة من المثل ١٦٢

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم في ذلك ١٦٣

المطلب الثالث : نوع المثل ١٦٦

الغرض الذي من أجله ضرب المثل ١٦٧

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل ١٦٧

المبحث الثالث : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾ ١٧٢

المطلب الأول :مناسبة المثل لما قبله ١٧٢

مناسبة المثل لما بعده	١٧٣
المطلب الثاني : تفسير أهل العلم للمثل وأقوال السلف	١٧٣
المطلب الثالث : نوع المثل والغرض منه	١٧٦
المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل	١٧٨
المبحث الرابع :دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾	١٨٣
المطلب الأول : مناسبة الآية لما قبلها	١٨٣
مناسبة الآية لما بعدها	١٨٣
المطلب الثاني: تفسير الآية وبيان أقوال أهل العلم فيها .	١٨٣
المطلب الثالث : نوع المثل	١٨٥
الغرض من ضرب المثل	١٨٦
المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل	١٨٦
المبحث الخامس : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾	١٩٠
المطلب الأول : أسباب نزول الآيات	١٩٠
المناسبة بين الآيات وما قبلها	١٩٠
المناسبة بين الآيات وبين محور السورة	١٩١
المطلب الثاني : تفسير آيات المثل وبيان أقوال السلف فيها	١٩٢
المطلب الثالث : نوع المثل	١٩٤
الغرض من ضرب المثل	١٩٥
الآثار التربوية للمثل	١٩٥
المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل	١٩٦
المبحث السادس : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾	٢٠٣
المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله من الآيات	٢٠٣

مناسبة المثل لما بعده من الآيات	٢٠٣
المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال السلف فيه	٢٠٤
المطلب الثالث : نوع المثل	٢٠٥
الغرض من ضرب المثل	٢٠٥
المطلب الرابع :القيم التربوية والإيمانية للمثل	٢٠٦
المبحث السابع : أهم صفات الكافرين وسبل وركائز الكافرين للإسلام	٢٠٩
التقليد والتبعية	٢٠٩
العمى والصمم	٢١٠
وصف الكافرين بالأنعام	٢١١
ثانياً :سبل وركائز دعوة الكافرين للإسلام	٢١٢
الباب الثاني : الفصل الأول : القيم التربوية والإيمانية المضروبة للشرك	٢١٤
المبحث الأول : تعريف الشرك لغةً واصطلاحاً :	٢١٥
المطلب الأول : الشرك تعريفا لغة واصطلاحا	٢١٥
المطلب الثاني : أنواع الشرك	٢١٦
المبحث الثاني : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا ﴾	٢٢٢
المطلب الأول : مناسبة الآيات ومحور السورة	٢٢٢
ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها	٢٢٢
ثالثاً: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل	٢٢٣
المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم	٢٢٣
المطلب الثالث : نوع المثل	٢٢٦
الغرض الذي من أجله ضرب المثل	٢٢٧
المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل	٢٢٧
المبحث الثالث :دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾	٢٣٢
المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها وما بعدها	٢٣٢

مناسبة المثل لما لحقه في السياق من الآيات	٢٣٣
العبرة من المثل	٢٣٣
المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم	٢٣٤
المطلب الثالث : بيان نوع المثل وبيان الممثل به وصورة الممثل له	٢٣٦
الغرض الذي من أجله ضرب المثل	٢٣٧
المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل	٢٣٨
المبحث الرابع:دراسة المثل في قوله تعالى:﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾	٢٤٣
المطلب الأول:دلالة السياق الذي ورد فيه المثل	٢٤٣
المطلب الثاني :تفسير آية المثل وبيان أقوال أهل العلم	٢٤٦
المطلب الثالث: نوع المثل	٢٤٨
صورة الممثل به	٢٤٨
الغرض الذي من أجله ضرب المثل	٢٤٩
المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل	٢٤٩
المبحث الخامس : دراسة المثلين في قوله تعالى :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا ﴾	٢٥٣
المطلب الأول : دلالة السياق الذي ورد فيه المثلان	٢٥٣
المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم	٢٥٦
المطلب الثالث : بيان نوع المثلين	٢٦٠
الغرض الذي ضربا من أجله المثلين	٢٦٠
المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثلين	٢٦١
المبحث السادس : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ ﴾	٢٦٦
المطلب الأول : تعلق المثل بما قبله من الآيات	٢٦٦
تعلق المثل بما بعده من الآيات	٢٦٨

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم ٢٦٩
المطلب الثالث : نوع المثل ٢٧١
الغرض الذي من أجله ضرب المثل ٢٧٢
المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل ٢٧٣
المبحث السابع : دراسة المثل في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ﴾ ٢٧٦
المطلب الأول : مناسبة المثل بينه وبين محور السورة ٢٧٦
مناسبة المثل لما بينه وبين محور السورة ٢٧٦
مناسبة المثل لما قبله وما بعده ٢٧٧
المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم ٢٧٨
المطلب الثالث : بيان نوع المثل ٢٧١
الغرض الذي من أجله ضرب المثل ٢٧٢
المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل ٢٨٢
المبحث الثامن : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ ٢٨٨
المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله من الآيات ٢٨٨
مناسبة المثل لما بعده ٢٨٨
المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه ٢٨٩
المطلب الثالث : نوع المثل ٢٩١
الغرض الذي ضرب من أجله ٢٩١
المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية ٢٩٢
المبحث التاسع : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ ٢٩٧
المطلب الأول : سبب النزول ٢٩٧
مناسبة المثل لما قبله ٢٩٧

مناسبة المثل لما بعده	٢٩٧
المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه	٢٨٩
المطلب الثالث : نوع المثل	٢٩١
الغرض الذي ضرب من أجله المثل	٢٩١
المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل	٢٩٢
المبحث العاشر دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾	٣٠٦
المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله	٣٠٦
مناسبة المثل لما بعده	٣٠٧
علاقة المثل بمحور السورة	٣٠٧
المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه	٣٠٧
المطلب الثالث : نوع المثل	٣١٠
الغرض الذي من أجله ضرب المثل	٣١٠
المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل	٣١٠
المبحث الحادي عشر : بيان خطر الشرك ومفاسده وأساليب القرآن في التحذير من الشرك والوسائل التربوية النبوية لسد جميع أبواب الشرك	٣١٣
المطلب الأول :أولاً بيان خطر الشرك ومفاسده	٣١٤
ثانياً: أساليب القرآن في التحذير من الشرك	٣١٥
ثالثاً: الوسائل التربوية النبوية لسد جميع أبواب الشرك	٣١٧
الباب الثاني :الفصل الثاني : القيم التربوية والإيمانية المضروبة للمؤمنين	٣٢٠
المبحث الأول : الإيمان لغةً	٣٢١
الإيمان اصطلاحا:	٣٢٢
المبحث الثاني :دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾	٣٢٥

المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله من الآيات	٣٢٥
مناسبة المثل لما بعده من افتتاحية سورة الحجرات	٣٢٦
المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم	٣٠٧
المطلب الثالث : نوع المثل	٣٣١
الغرض الذي من أجله ضرب المثل	٣٣٢
المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل	٣٣٣
المبحث الثالث : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾	٣٣٧
المطلب الأول : المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها	٣٣٧
مناسبة المثل لما قبله من الآيات	٣٣٧
المناسبة بين المثل ومحور السورة	٣٣٨
المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم	٣٣٨
المطلب الثالث :الغرض الذي من أجله ضرب المثل	٣٤١
المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل	٣٤٢
المبحث الرابع : بيان الصفات الجامعة للمؤمنين وأسباب زيادة الإيمان	٣٤٧
المطلب الأول : الصفات الجامعة للمؤمنين	٣٤٧
الصفة الأولى : أشداء على الكفار رحماء بينهم	٣٤٧
الصفة الثانية : مداومتهم على العبادة	٣٤٨
الصفة الثالثة : ابتغاؤهم ما عند الله	٣٤٩
الصفة الرابعة : صلاح الظاهر	٣٥١
الصفة الخامسة : البراءة من المشركين	٣٥٣
المطلب الثاني : أسباب زيادة الإيمان	٣٥٤
أولاً: معرفة الله جلا وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى	٣٥٤
ثانياً : طلب العلم الشرعي	٣٥٥
ثالثاً: التأمل في آيات الله الكونية ومخلوقاته جل وعلا	٣٥٦

رابعا: الإكثار من ذكر الله تعالى	٣٥٧
خامساً: تقديم ما يحبه الله ورسوله على هوى النفس	٣٥٧
سادساً: حضور مجالس الذكر والحرص عليها	٣٥٨
سابعاً : البعد عن المعاصي	٣٦٠
ثامناً : الإكثار من النوافل والطاعات	٣٦١
تاسعاً : سؤال الله تعالى زيادة الإيمان وتجديده	٣٦٢
الخاتمة	٣٦٣
أهم التوصيات	٣٦٦
الفهارس العامة	٣٦٧
فهرس الآيات القرآنية	٣٦٨
فهرست الأحاديث	٣٨٥
فهرست الآثار	٣٨٦
ثبت المراجع والمصادر	٣٨٩
المواقع الإليكترونية	٣٩٨

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا،من يهده الله فلا مضل له،ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله -ﷺ -وإنَّ أصدق الحديث كتاب الله،وخير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار[1].﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[2]،﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[3] ،﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[4].

أما بعد: فإن الاشتغال بكتاب الله تعالى تعلمًا وتعليمًا، فهمًا،وتفسيرًا، قراءةً وتطبيقًا من أجل القربات وأكمل الطاعات، فالسعادة كل السعادة لمن يتعلم القرآن ويفهمه ويعمل به، وطوبى لمن يتدبره ويستخرج منه الدرر الثمينة والجواهر البديعة.تبرز أهمية علم التفسير من خلال مكانته المرموقة،ومترلته العالية من بين علوم القرآن خاصة والعلوم الشرعية عامة باعتباره أول العلوم الإسلامية؛ إذ هو الأصل في فهم القرآن وتدبره، وعليه يتوقف استنباط الأحكام، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وبه يعرف الحلال والحرام، والطيب من الخبيث، والنافع من الضار،ومنه تُستخرَج أصولُ الشرعِ وقواعده.وتزداد أهمية الموضوع من حيث تعلقه بأشرف العلوم وهو علم التفسير الذي هو بيان لكلام رب العالمين ؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهذا البحث

١-هذه خطبة الحاجة التي كان الرسول يبدأ بها خطبه ويعلمها أصحابه كما يعلمهم التشهد، أخرجها مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والجمعة: حديث جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

٢-سورة آل عمران الآية:١٠٢

٣-سورة النساء الآية :١

٤-سورة الأحزاب الآية: ٧٠، ٧١

الذي يبحث في الأمثال القرآنية ويستخرج منها القيم التربوية والإيمانية دراسة موضوعية كما أمرنا الله تعالى في كتابه الكريم فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]

وقال تعالى:﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾[2]

وقال تعالى :﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[3]

وأخرج "البيهقي" عن "أبي هريرة" قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " إن القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال "[4].

ومن الأساليب العظيمة التي تخاطب العقول لتجلية الحسن ، وتشبيهه بأحسن التشبيهات والتنفير من القبيح ، وتشبيهه بأقبح التشبيهات؛ لتدرك القلوب الواعية ذلك البون الشاسع بين الأمرين ، والفرق الواسع بين الحالين والضدين هو (الأمثال القرآنية) ، ولما كانت الأمثال وضربها من الأهمية بمكان في أوساط الأساليب البلاغية ، فهي من أقوى الأساليب في تقريب المعاني وإبرازها ، وسرعة تفهيم المخاطب وإيصال المعنى المراد له ؛فقد اعتنى بها كتاب الله أيما عناية فالأمثال جزء من البيان الإلهي ، تسهم في إبراز الحقائق الإيمانية من خلال أسلوبها المتميز الفعال في تشخيص الحقائق والإقناع ، والفصل عند الاشتباه والخلاف ، وخاصة قضايا الإيمان التي وقع فيها الخلاف : كالأصول التي ينبني عليها الإيمان بالله ، وأسباب الهدى والضلال ، وبيان حال المؤمنين والفجار

١-سورة الزمر آية :٢٧

٢-سورة العنكبوت :٤٣.

٣-سورة النور آية :٣٥.

٤-في الشعب (٢/ ٤٢٧) ب : في تعظيم القرآن ، فصل في قراءة القرآن بالتفخيم ، ح ٢٢٩٣ ، ضعيف في إسناده معراك بن عباد أو ابن عبد الله العبدي ، ضعيف كما في التقريب . ص ٩٥١ برقم ٦٧٩١ ، والمغني في الضعفاء للذهبي (٢/ ٦٦٥) .

وكذا حال المنافقين والمشركين وبيان الوسائل التربوية والإيمانية سواء كانت وسائل وقائية أو وسائل علاجية لموجهة هذه الآفات التي متى انتشرت في مجتمع أذنت بنهايته ، وبيان العبر والمواعظ المرادة من هذه الأمثال.

مشكلة البحث

مع عظم أهمية الأمثال القرآنية إلا أني لم أجد دراسة فيما وقفت عليه في التفسير الموضوعي تضمنت أصناف البشر وتجيب على الأسئلة التالية :-

١- ما هي أصناف البشر التي وردت في الأمثال القرآنية ؟

٢- ما هي القيم التربوية والإيمانية الواردة في الأمثال القرآنية للمنافقين ؟

٣- ما هي القيم التربوية والإيمانية الواردة في الأمثال للكفار ؟

٤- ما هي القيم التربوية والإيمانية الواردة في الأمثال للمشركين ؟

٥- ما هي القيم التربوية والإيمانية الواردة في الأمثال للمؤمنين ؟

٦- ماهي الخصائص والصفات لكل صنف من هذه الأصناف من خلال دراسة الأمثال الواردة في كتاب الله تعالى ؟

٧- ما هي الوسائل الوقائية والعلاجية التي تستنبط من خلال شرح وعرض هذه الأمثال للصفات السلبية للمشركين والمنافقين والكفار ؟

٨- ما هي الوسائل المعينة والمستفادة من ضرب أمثال المؤمنين في زيادة الإيمان وتثبته في قلوب أهله ؟

أهداف البحث

١-إنَّ هذا العمل أعتبره – قبل كل شيء – خدمةً لكتاب الله –تعالى-، وخدمة كلام الله الحميد من أعظم العبادات، وأقرب القربات، وأكمل الطاعات،فأرجو ألاَّ أُحرم الأجرَ بإذن الله تعالى.

٢-إنَّ للأمثال القرآنية أهميةً ومكانةً كبيرةً في القرآن ولا أدل على ذلك من أن الله تعالى أكثر منها في كتابه حتى بلغت كلمة (مثل) ومشتقاتها أكثر من المائة إضافة إلى عشرات الأمثال التي ذكرت دون استعمال لفظة مثل ومشتقاتها وهي تدخل تحت اسمه قال "الماوردي" – رحمه الله – : "من أعظم علوم القرآن علم أمثاله ، والناس في غفلة عنه لانشغالهم بالأمثال وإغفال الممثلات والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام "[١].

٣- ومما يؤكد على أهمية هذا الموضوع أنه يُعْنَى بأسلوب طالما اعتنى به العرب ، لما له من أثر في إيضاح المعاني ، وتقريبها في ذهن السامع ، مما يؤدي إلى سرعة الفهم ووضوح الأمر ، هذا الأسلوب هو أسلوب ضرب الأمثال . قال "الماوردي" – رحمه الله – :" وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب ، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ، و لا يؤثر تأثيرها لأن المعاني بها لائحة ، والشواهد بها واضحة والنفوس بها وامقة ،والقلوب بها واثقة والعقول لها موافقة ، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز، وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجة على خلقه ،لأنها في العقول معقولة ، وفي القلوب مقبولة "[٢]

٤- ومما يزيد الأمر أهمية : أنَّ الله – عز وجل – قد امتدح من عقل الأمثال الواردة في كتابه الكريم

١-السيوطي ،أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،الإتقان في علوم القرآن ،طبعة مجمع الملك فهد لطابعة المصحف الشريف عام ١٤٢٦هـ ،(٥/ ١٩٣٣) .

٢- الماوردي ،علي بن محمد بن حبيب، أدب الدنيا والدين ،دار اقرأ بيروت ، الطبعة الرابعة لعام ١٤٠٥-١٩٨٥صـ ٢٩٦ .

قال جل شأنه:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1]

قال الشيخ "عبد الرحمن السعدي" – رحمه الله – : " وهذا مدح للأمثال التي يطرحها وحث على تدبرها وتعقلها وأنه عنوان على أنه من أهل العلم فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين "[2]

٥- ومن ذلك أنَّ للأمثال القرآنية فوائد تربوية كثيرة يزيد من أهميتها كأسلوب تربوي قائم بذاته، فهي من أفضل السبل للتربية وتقويم المسالك وإصلاح النفوس وصقل الضمائر وتهذيب الأخلاق وتنمية الفضائل السامية (ويقول العلامة "أبو السعود": " التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم وقمع سورة الجامح الآبي كيف لا ؟ وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية ، وإبرازها في معرض المحسوسات الجلية ، وإبداء للمنكر في صورة المعروف وإظهار للوحشي في هيئة المألوف"[3].

قال ابن المقفع :" إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وأنق للسمع وأوسع لشغوف الحديث")[4]

الدراسات السابقة

لقد بحثت في هذا الموضوع ولم أقف على تفسير موضوعي متكامل للأمثال القرآنية، ولكن وجدت جملةً من الدراسات كلاًّ منها في مجال معين لم تشمل كل الموضوعات ومن تعرض فيها إنما يكون الغالب عليه التفسير التحليلي ومن هذه الدراسات السابقة ما هو رسائل محكمة ومنها كتب سابقة منها القديم ومنها الحديث وأهمها :-

---

١- سورة العنكبوت آية : ٤٣ .

٢-السعدي ،عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة ط١- ١٤٢٣ه ص(٦٣١) .

٣-هامش تفسير الفخر الرازي :١٥٦/١ المطبعة الخيرية ط الأولى ، مصر ١٣٠٨هـ .

٤-حمزاوي ، يزيد ،المدلولات التربوية للأمثال القرآنية دراسة تحليلية لنصوص القرآن رسالة ماجستير ، جامعة الجزائرعام٢٠٠٥صـ١٢ .

١-"الأمثال من الكتاب والسنة" : أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي : دار بن زيدون : بيروت : ط٢ : ١٩٨٧ : تحقيق :- د. السيد الجميلي .

٢-كتاب "الأمثال الكامنة في القرآن الكريم"تأليف الحسين بن الفضل.طبعة مكتبة التوبة. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.وهو مقتصر على الأمثال الكامنة فحسب .

٣-كتاب " الأمثال في القرآن" لابن القيم -رحمه الله- وهو جزء من كتابه الماتع (إعلام الموقعين).

٤-"أمثال القرآن" للدكتور محمود الشريف. دار مكتبة الهلال بيروت الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ

٥-كتاب "أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع" لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.طبعة دار القلم .الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٢م . وهو كتاب جيد تضمن سرداً تفصيلياً للأمثال مع الاهتمام بالناحية اللغوية والبلاغية .

٦-(الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله) رسالة دكتوراه بقسم الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية .إعداد الطالب عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع عام ١٤١٤هـ .وهي قاصرة على الأمثال القرآنية لمسائل الإيمان بالله وبالأخص الأمثال الواردة في سورة النور .

٧-(الأمثال القرآنية في سورتي البقرة وآل عمران دراسة تحليلية موضوعية) رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا جامعة الأزهر.للطالب أحمد حامد محمد سعيد. وهي تفسير تحليلي للأمثال الواردة في السورتين .عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٨-(المدلولات التربوية للأمثال القرآنية دراسة تحليلية لنصوص القرآن الكريم) رسالة ماجستير بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الجزائر.للطالب يزيد حمزاوي عام ٢٠٠٥م. وهي رسالة عامة في المدلولات التربوية القرآنية وهي مختصرة وقعت في ١٣٩ صفحة وركزت على الأهداف التربوية والعقائدية والسلوكية بصفة عامة .

٩- (آيات الأمثال في القرآن الكريم من أول الأنعام حتى آخر القرآن دراسة تحليلية وموضوعية) رسالة الدكتوراة بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا جامعة الأزهر. للطالب محمد عبد

الكريم محمد مراد كساب.عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.وهي عبارة عن تفسير تحليلي للأمثال الواردة في هذه السور .

١٠- (الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك) رسالة ماجستير بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية. إعداد الطالب إبراهيم عبد الله الجربوع عام ١٤٣٠ هـ .واقتصرت هذه الرسالة على الأمثال المتضمنة لتوحيد العبادة وكذا الأمثال المتضمنة للشرك وأهله.

منهجية البحث

سيكون منهجي بإذن الله في هذه الدارسة معتمداً على التفسير الموضوعي(استقرائي – تحليلي – استنباطي) للأمثال القرآنية وذلك على النحو التالي:-

١) تقسيم الأمثال إلى مواضيع مستقلة ، ويندرج تحت كل موضوع الأمثال القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع .

٢) إبراز المحور الرئيس للمثل .

٣) مناسبة الآيات التي ورد بها المثل ، وأسباب النزول وبيان مفردات اللغة.

٤) دراسة السياق الذي ورد فيه المثل وتحديد دلالته ، والاستفادة منها في تحديد المعاني المرادة ، والترجيح بينها .

٥) إيراد شواهد المعاني المختارة من أقوال أهل العلم من المفسرين وغيرهم ، والتركيز على التفاسير التي تعتني بالتفسير بالمأثور ، وأقوال السلف الصالح ، والمعاني المستفادة من أقوالهم ، والاستفادة من التفاسير الأخرى بقدر ما تدعو إليه الحاجة، و لا ألتزم بذكر جميع الأقوال الواردة في ألفاظ المثل .

٦) بيان أهمية المثل والغرض الذي ضرب من أجله .

٧) استنباط أهم الفوائد الإيمانية التي دل عليها المثل ، والكلام عليها بالقدر الذي أرى أنه يفي

باستخلاص العبرة والحكمة منها.

٨) استنباط أهم الفوائد التربوية التي دل عليها المثل .

٩) الالتزام بقواعد التفسير المأثور.

١٠)الاعتماد على المراجع التفسيرية بالدرجة الأولى.

١١)العمل بالضوابط التي وضعها العلماء للتفسير بالرأي المحمود.

١٢)عزو الآيات المستشهد بها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

١٣)تخريج الأحاديث الواردة في البحث، وعزوها إلى مصادرها وذلك حسب ضوابط وأصول التخريج ونقل أقوال العلماء في الحكم على الأحاديث في غير الصحيحين إن أمكن.

١٤)عزو الأقوال المقتبسة إلى أصحابها، وذلك في مواضع الاقتباس ، وتوثيقها حسب الأصول.

١٥) إعداد مجموعة من الفهارس العلمية وهي كما يلي: -

أ) فهرست للآيات القرآنية حسب ترتيبها في القرآن.

ب) فهرس للأحاديث الشريفة والآثار .

جـــ) ثبت المصادر والمراجع.

د) الفهرست العام.

هيكل البحث

ينقسم هذا البحث إلى:بابين تسبقهما مقدمة وتمهيد وتعقبهم خاتمة وفهارس .

المقدمة:-

وفيها أهمية الموضوع،وأسباب اختياره،وهيكل البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: وهو عبارة عن خمسة مباحث:-

المبحث الأول: المعنى الرئيس للفظ (المثل) لغةً واصطلاحا.

المبحث الثاني: أقسام الأمثال القرآنية .

المبحث الثالث: الأهمية التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية .

المبحث الرابع : الخصائص التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية .

المبحث الخامس : الأغراض التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية .

الباب الأول:القيم التربوية والإيمانية للأمثال المضروبة للمنافقين والكفار وفيه فصلان:-

الفصل الأول:القيم التربوية والإيمانية للأمثال المضروبة للمنافقين وفيه ستة مباحث:-

المبحث الأول: تعريف النفاق لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني:- دراسة المثلين في قوله تعالى:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

المبحث الثالث :- دراسة المثل في قوله تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2]

المبحث الرابع:- دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن

١-سورة البقرة آية : ١٧- ١٨ .

٢-سورة التوبة آية :٦٨- ٦٩ .

وَرَآءِ جُدُرٍۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

المبحث الخامس:- دراسة المثل في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾[2].

المبحث السادس :- وفيه بيان أهم صفات وخصائص المنافقين من خلال الأمثلة السابقة والوسائل الشرعية لمواجهة النفاق وأساليبه

الفصل الثاني:القيم التربوية والإيمانية للأمثال المضروبة للكفار وفيه سبعة مباحث :-

المبحث الأول: تعريف الكفر لغةً وشرعاً.

المبحث الثاني :- دراسة المثل في قوله تعالى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾[3].

المبحث الثالث :- دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4].

المبحث الرابع:- دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾[5].

١-سورة الحشر آية : ١٤- ١٧ .

٢-سورة المنافقون آية : ٤ .

٣-سورة البقرة آية:- ١٧١ .

٤-سورة هود آية:- ٢٤ .

٥-سورة الفرقان آية:٤٤ .

المبحث الخامس:دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[1].

المبحث السادس:- دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[2].

المبحث السابع :- أهم صفات الكافرين من خلال الأمثلة السابقة الواردة في الباب وسبل وركائز دعوة الكافرين .

الباب الثاني:القيم التربوية والإيمانية للأمثال المضروبة للمشركين والمؤمنين وفيه فصلان :-

الفصل الأول: - القيم التربوية والإيمانية للأمثال المضروبة للمشركين وفيه أحد عشر مبحثاً .

المبحث الأول: تعريف الشرك لغةً وشرعاً وبيان أنواعه

المبحث الثاني:- دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[3]

المبحث الثالث: وفيه دراسة المثل في قوله تعالى:﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ

١-سورة يس آية:٧٨- ٧٩ .

٢-سورة التحريم آية: ١٠ .

٣-سورة الأنعام آية: ١٠ .

كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[1].

المبحث الرابع :– دراسة المثل في قوله تعالى:﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾[2]

المبحث الخامس :– دراسة المثلين في قوله تعالى :﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقٗا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍۖ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ ﴾[3] .

المبحث السادس: – دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ﴾[4] .

المبحث السابع :– دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾[5].

المبحث الثامن:– دراسة المثل في قوله تعالى:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[6].

المبحث التاسع:– دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا

١–سورة الأعراف الآيتان : ١٧٥، ١٧٦ .

٢–سورة الرعد آية: ١٤ .

٣–سورة النحل آية: ٧٥، ٧٦ .

٤–سورة الحج آية: ٣١ .

٥–سورة الحج آية: ٧٣ .

٦–سورة العنكبوت آية: ٤١ .

مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] .

المبحث العاشر :- دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[2] .

المبحث الحادي عشر:- بيان خطر الشرك ومفاسده وأساليب القرآن في التحذير من الشرك والوسائل التربوية لسد أبواب الشرك.

الفصل الثاني :- القيم التربوية والإيمانية للأمثال المضروبة للمؤمنين وفيه أربعة مباحث :-

المبحث الأول :- تعريف الإيمان لغةً وشرعاً .

المبحث الثاني :- دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[3]

المبحث الثالث :- وفيه دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[4] .

المبحث الرابع :- بيان الصفات الجامعة للمؤمنين من خلال الأمثال القرآنية المتقدمة،وبيان أسباب زيادة الإيمان

١-سورة الروم آية: ٢٨ .

٢-سورة الزمر آية: ٢٩ .

٣-سورة محمد آية: ٢٩ .

٤-سورة التحريم آية: ١١ ،١٢ .

ملاحظة: خطة البحث قابلة للتعديل والإضافة بالتنسيق مع المشرف على حسب سير البحث.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي تضمنها البحث وكذا المقترحات التي يتوصل إليها بعد الانتهاء من البحث .

الفهارس :-

١- فهرست الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- ثبت المصادر والمراجع.

٤ - الفهرست العام.

والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم،صوبًا على سنة سيد المرسلين نبينا محمدﷺ .

التمهيد: وهو عبارة عن خمسة مباحث:-

المبحث الأول: المعنى الرئيس للفظ (المثل) لغةً واصطلاحاً .

المبحث الثاني: أقسام الأمثال القرآنية .

المبحث الثالث:الأهمية التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية .

المبحث الرابع : الخصائص التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية .

المبحث الخامس : الأغراض التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية .

المبحث الأول: المعنى الرئيس للفظ (المثل) لغةً واصطلاحاً:-

لقد ذكر أهل اللغة والمعاجم معاني كثيرة لكلمة (مَثَلَ) مما يدل على ثراء هذا اللفظ وجزالته ولذا كان لابد من التوقف مع أهل اللغة ومعرفة المعاني الرئيسة .

" لاشيء أخطر من تصور سهولة تقرير معاني الكلمات ، وخاصة إذا كانت كثيرة التداول بين الناس "[1].

ولفظة (مثل) بصيغها المختلفة من أكثر الألفاظ تداولاً وشيوعاً ، فقد لاكتها ألسن العامة والخاصة على حدٍّ سواء . لذا فإن تصور سهولة تقرير معناها ، لم يكن بمنحى عن تلك الخطورة؛ فصار لزاماً على باحث الأمثال أن يقف ويطيل الوقوف على مختلف الجهود التي بُذلت للكشف عن دلالتها أو تقرير معناها ، بل المجازفة بتقرير معنى بعينه أو دلالة بذاتها[2] .

.

ولما كانت الأمثال قد نالت اهتمام اللغويين ، والمفسرين ، والبلاغيين والذين عُنُوا بجمعها ، أو دراستها ، وحظيت بجهود هؤلاء كلهم ،فليس لنا أن نغض الطرف عن كل تلك الجهود ، أو بعضها ، في الوقت الذي نستشعر فيه مثل هذه الصعوبة ، وندرك أن جهودَ كلِّ فئةٍ ممن حظيت باهتمامهم قد لا تغني عمَّا بذلته الأخرى .وإذا كان من الطبيعي أن يعود باحث الأمثال إلى معاجم اللغة لمعرفة دلالة اللفظة لغةً ، ويعود إلى كتب البلاغة والأمثال ؛ ليتبين مدى العلاقة بين معناها اللغوي والاصطلاحي ، فإنَّ من الطبيعي كذلك أن يعود باحثها وباحث الأمثال القرآنية منها على وجه الخصوص إلى كتب التفسير ؛ لكثرة ورود اللفظة في القرآن الكريم ، ومحاولة المفسرين إيضاح معناها فيما وردت فيه من آيات . والذي يزيد في

١-ناصف ،الدكتور مصطفى ، نظرية المعنى في النقد العربي ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٥: صـــ ١٥١ .

٢-الفياض ،دكتور محمد جابر، الأمثال في القرآن الكريم ،طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي١٤١٥ه/ ١٩٩٥م صـــ ٢٧ .

ضرورة الرجوع إلى كتب التفسير ، والوقوف على ما قاله المفسرون فيها ، إنَّ أصحاب المعاجم اللغوية كانوا قد أخذوا معظم ما ضمنوه معاجمهم تحت هذه المادة من الاستعمال القرآني لها [1]

ولذا أحببت أن أقف على ما قيل عنها في المعاجم اللغوية ، وكتب التفسير وما قاله فيها من كان له فضل السبق في بحثها ، ودراستها ثم أَذكر خلاصة القول فيه .

المطلب الأول :- المعنى الرئيس للفظ المثل لغةً : -

"قال الزبيدي : فقال (المِثْلُ ، بالكَسْرِ ، والتَّحرِيك ، وكَأَمِيرٍ : الشِّبْهُ) ، يُقَالُ : هذا مِثْلُه ومَثَلُه ، كما يُقالُ : شِبْهُه وشَبَهُه .

قال ابنُ بَرِّيّ : الفَرْقُ بينَ المُماثَلَةِ والمُساواة أَنَّ المُساواةَ تَكُونُ بينَ المُخْتَلِفَينِ في الجنس والمتفقين ؛ لأنَّ التَّساوي هو التَّكافُؤُ في المقْدارِ لا يَزيدُ ولا يَنْقُصُ ، وأَمَّا المماثَلَةُ فلا تَكُونُ إلاَّ في المتَّفِقَينِ ، تَقُولُ : نَحْوُهُ كَنَحْوِهِ وفِقْهُهُ كفِقْهِهِ ولَونُه كَلَونِهِ وطَعْمُه كطَعمِهِ فإذَا قِيلَ : هو مِثْلُهُ ، عَلى الإطلاقِ ، فمَعْناهُ أَنَّه يَسُدُّ مَسَدَّهُ ، وإذا قِيلَ : هو مِثْلُهُ في كَذا فهو مُسَاوٍ لَهُ في جِهَةٍ دُونَ جِهَةٍ . انتهى. " [2].والمَثَلُ ، مُحَرَّكَةً : الحُجَّةُ وأيضاً :(الحَدِيثُ) نُفْسُه،وقَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ :

﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ** ﴾[3]جاءَ في التَفسير أَنَّهُ قَوْلُ"لا إله إلا الله" ، وتَأْوِيلُهُ أَنَّ اللهَ أَمَرَ بالتَّوْحِيدِ ونفْي كُلِّ إلهٍ سِوَاهُ ، وهي الأَمْثالُ[4] .

والمَثَلُ أَيضًا (الصِّفَةُ) كما في الصَّحاحِ، قال ابنُ سِيدَه : ومنه قوله تعالى:﴿ **مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى**

١-المصدر السابق صـــ ٢٧ .

٢-الزبيدي،السيد محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس طبعة التراث العربي بالكويت لعام ١٤٢١ه، مادة مـــ ث ل ٣٠/ـــ ٣٧٩،٣٨٠

٣-سورة النحل ، الآية ٦٠ .

٤-الزبيدي ،مرجع سابق ، ٣٠/ ٣٨٠ .

﴿ وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1] قال اللَّيثُ مثلهُا هُوَ الخَبَرُ عَنْهَا [2].

والمثالُ بالكسرِ (المِقْدارُ) وهوَ مِنَ الشِّبْهِ والمِثْلِ ما جُعِلَ مِثالاً أي مِقْداراً لغَيره. يُحذَى عليهِ والجمعُ أَمْثِلَةُ ومُثُلٌ ومنهُ أُمِثلَةُ الأَفْعَالِ والأسْماءِ في بابِ التَّصْرِيفِ[3].

وَقَدْ يكُونُ المثَل بمَعْنَى العِبْرَةِ،وَمِنْهُ قوله عزوَجَلَّ:﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾[4]، فَمَعْنَى السَّلَفِ أَنَّا جَعَلْناهُمْ مُتَقَدِّمِينَ يَتَّعِظُ بِهِمُ الغابِرُونَ ومَعْنَى قَوْلِهِ وَمَثَلاً أَيِ عِبْرَةً يَعْتَبِرُ بِها المتَأَخِّرُون [5]. وَيكُونُ المثَلُ بمَعنَى الآيةِ قالَ اللهُ – عَزَّ وَجَل- في صِفَةِ عيسَى -عليه السلام- :﴿ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾[6]،أَيْ آيَةً تَدُلُ عَلَى نُبُوَّتِهِ وَأَمَّا قوله عز وَجَلّ:﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[7]فَقَدْ جَاءَ في التَّفسير أَنَّ كفَّارَ قُرَيشٍ خاصَمَتِ النَّبيَّ-صَلَى اللهُ عليهِ وسلمَ – فَلَمَّا قِيلَ لَهُم :﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾[8] ، قالُوا: قَدْ رَضِينا أَنْ تَكُونَ آلِهَتُنا بِمنَزِلَةِ عيسَى وَالمَلائِكَةِ ، الَّذِينّ عُبِدُوا مِنْ دُونِ اللهِ ، فَهذا مَعْنَى ضَرْبِ المثَل بعِيسَى[9].

وقيل الأَمَثلُ : الَأفْضَلُ وَهُوَ مِنْ أَماثِلِهِم وَذَوِي مَثالَتِهِمْ . يُقالُ : فُلانٌ أَمثَلُ مِنْ فُلانٍ أَي أَفْضَلُ مِنْهُ، قالَ الأيادِيُ : وسئل أبو الهَيْثَم عَنْ مَلِكٍ قالَ لِرَجُلٍ : ائتِنِي بِقَوْمِكَ فَقالَ إِنَّ قَوْمِي

١-سورة محمد : الآية ١٥ .

٢- الزبيدي، مرجع سابق ، ٣٠/ ٣٨١ .

٣-الزبيدي ، مرجع سابق ، ٣٠/٣٨٢ .

٤-سورة الزخرف : جزء من الآية ٥٦ .

٥-ابن منظور ،جمال الدين محمد بن مكرم ،لسان العرب ، طبعة دار المعارف ،١/ ٤١٣٤ .

٦-سورة الزخرف :جزء من الآية ٥٩ .

٧-سورة الزخرف جزء من الآية :٥٧ .

٨-سورة الأنبياء الآية :٩٨ .

٩-ابن منظور ،لسان العرب ، ١/ ٤١٣٤ .

مُثُلُ ، قال أَبُو الهِيْثَمِ : يُرِيدُ أَنَّهُمْ ساداتٌ لَيْسَ فَوْقَهُمْ أَحَدٌ[1] . وحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول كقول كعب بن زهير :-

كانت مواعيدُ عرقوب لها مثلاً وما مواعيدهُ إلا الأباطيل [2]

المطلب الثاني : المثل في الاصطلاح :-

إذا كانت كلمة المصطلح تدل على لفظ علمي يؤدي المعنى بوضوح ودقة ، ويكون غالباً متفقاً عليه عند علماء علمٍ من العلوم أو فنٍ من الفنون[3] .

لقد تحدث مقاتل بن سليمان البلخي (المتوفى عام ١٥٠هـ) عن معنى المثل في القرآن وبيَّن في حديثه وجوه دلالة المثل في الاستعمال القرآني فحدَّ ذلك بأربعة وجوه :-

الوجه الأول:- ويعني الشَّبه ومنها قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾[4].أي:الأشباه نصفها للناس،وقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾[5].

أي : شبهُهُم .

الوجه الثاني :- يعني التَّسير، قال تعالى :﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾[6].أي سير المؤمنين من الأمم الخالية .

الوجه الثالث :-يعني العبرة كقوله تعالى:﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴾[7]. أي

١-المرجع السابق ١/ ٤١٣٤ .

٢-السكري ، شرح ديوان كعب بن زهير طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠م صـــ٨ .

٣-د. إميل يعقوب – د. بسام بركة - مي شيخاني ، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ، دار العلم للملايين ، صـــ ٣٦٢ .

٤-سورة العنكبوت :جزء من الآية ٤٣.

٥-سورة الفتح :جزء من الآية : ٢٩.

٦-سورة البقرة :جزء من الآية ٢١٤.

٧-سورة الزخرف:جزء من الآية ٥٦.

عبرة لمن جاء بعدهم وقوله تعالى :﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1]،أي عبرة : لبني إسرائيل .

الوجه الرابع :- يعني عذاباً كقوله تعالى :﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[2] ، أي : وصفنا له العذاب ، وقوله تعالى :﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾[3]،أي : وصفنا لكم العذاب.

وللمثل في القرآن معنى آخر وهو: الصفة أو الهيئة المميزة للشيء ،وقد قال بهذا المعنى كلٌّ من :-

١- "ابن قتيبة" (م سنة ٢٧٦هـ)[4] .

٢- "ابن رشيق" (م سنة ٤٥٦هـ)[5] .

٣- "الطبرسي" (م سنة ٥٤٨هـ)الذي أضاف إلى ذلك المعنى عين الشيء وشبهه[6]

٤- "أبو الحسن الفتوني العاملي" (م سنة ١١٣٨هـ)[7] .

٥- "الصاوي " (م سنة ١٢٤١هـ)[8].

وتجاوز فريق آخر هذا المعنى إلى أنَّ لفظ المثل في القرآن يستعار للحال أو للصفة أو للقصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ويمثل هذا الرأي كلٌّ من :-

---

١-سورة الزخرف:جزء من الآية ٥٩.

٢-سورة الفرقان:جزء من الآية ٣٩.

٣-سورة إبراهيم :جزء الآية٤٥.

٤-الطبرسي ، أبوعلي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ومطبعة العرفان صيدا ،ط سنة ١٣٣٣ه، (٢٩٦/٣) .

٥-القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،العمدة في صناعة الشعر ونقده ، دار الجيل بيروت ط ٤، سنة ١٩٧٢م ، (٢٨/١).

٦-مرجع سابق ، الطبرسي ،(٤٣٨/٣) .

٧-الفتوني ، أبو الحسن العاملي ،مرآة الأنوار ومشكاة الإسراء ، طهران مطبعة الأفتاب سنة ١٣٧٤هـ ،صـ ٣٠٣.

٨-الصاوي ،حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، مكتبة محمد علي صبيح أولاده ،(١٢/١) .

١-"الزمخشري" (م سنة ٥٣٨هـ) إذ يقول في قوله تعالى:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[١].يقول : (قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل :- حالهم العجيب الشأن كحال الذي استوقد ناراً .....)[٢] .

٢- "الرازي" (م سنة ٦٠٦هـ)[٣] .

٣- "البيضاوي" (م سنة ٦٨٥هـ)[٤] .

٤- "النيسابوري" (م سنة ٧٢٨هـ)[٥] .

٥- "الزركشي" (م سنة ٧٩٤هـ) إذ يقول: (والمثل هو المستغرب، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[٦] وقال تعالى :﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[٧].ولما كان كان المثل السائر فيه غرابة استعير لفظ المثل للحال أو الصفة أو القصة ، إذا كان لها شأن وفيها غرابة [٨].وقدمثل"الزركشي" لاستعارة المثل للحال بقوله تعالى:﴿ مَثَلُهُمْ

١-سورة اليقرة :الآية ١٧ .

٢-الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه النأويل ، حقق الرواية محمد الصادق قمحاوي ط الآخيرة ١٩٧٢م ، (١٩٥/١) .

٣-الرازي ، فخر الدين ، مفاتيح الغيب ، دار الطباعة العامرة ، استانبول ، ط سنة ١٣٠٧هـ ، ٢٩٣/١ .

٤-البيضاوي ، أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي ، أنوار التنزيل ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر ط٢، سنة سنة ١٩٥٥م، ٩١/١ .

٥-النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين ،غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ت إبراهيم عطوة عوض مطبعة مصطفى البابي الحلبي
القاهرة ، ط سنة ١٩٦٤م

٦-سورة النحل :جزء من الآية ٦٠ .

٧-سورة الرعد : جزء من الآية ٣٥ .

٨-الزركشي ،بدر الدين محمد بن عبد الله ،البرهان في علوم القرآن ، دار التراث ، ٤٨٨/١ .

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[1]،كذلك مثل لاستعارة لفظ(المثل) للوصف بقوله تعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[2].

ونلتقي بتعريف آخر للمثل في تفسير العلامة "أبي السعود" يقول :- (..... وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية ، وإبداء المنكر في صورة المعروف ، وإظهار الوحشي في هيئة المألوف)[3] .

وبهذا التعريف يتفق مع "الزمخشري " في قوله :-(ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي، في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتغيب والغائب كأنه مشاهد)[4].

خلاصة ماسبق :- أن المثل قد استعمل في القرآن الكريم بمعنى الشبه ، وبمعنى التسيير أو العبرة أو العذاب ، واستعمل أيضاً بمعنى الصفة أو الحال ، وقد فرق القائل بهذا الرأي[5] بين الصفة والحال ، وبيَّن أن الصفة تكون في الأمور التي لا تتغير مع تغيير الأزمان والأطوار، أما الحال فهي التي تتغير من حين إلى آخر وفقاً لتغير المؤثرات .كذلك جاء المثل في القرآن بمعنى الآية ، واستعمل أيضاً في كل قصة ذات شأن عظيم وخطر جليل[6].

١-سورة البقرة :جزء من الآية ١٧ .

٢-سورة الرعد :جزء من الآية ٣٥ .

٣-الطحاوي ، محمد بن محمد ،ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بتفسير أبي السعود على حاشية التفسير الكبير للفخر

الرازي ، المطبعة المصرية ببولاق ١٢٨٩هـ ، ١٥٠/١ .

٤- رزق ،سميرة عدلي محمد ، وجوه البيان في أمثال القرآن ، رسالة دكتوراة عام ١٤٠٧/١٤٠٦هـ جامعة أم القرى بمكة المكرمة صـ٨.

٥-الزركشي ،مرجع سابق ،٤٨٩/١ بتصريف .

٦-رزق ،مرجع سابق ، صـ٩ .

المبحث الثاني :- أقسام الأمثال القرآنية :-

ذهب كثير من أهل العلم ومنهم "بدر الدين الزركشي" وكذا "السيوطي" وكذلك "جعفر السبحاني" وغيرهم أن الأمثال تنقسم إلى قسمان .

" يقول "محمد أبو النيل" (من الملاحظ من تعريف العلماء للمثل أن الأمثال تشمل التشبيه ، وهو ما استخدمت فيه كاف التشبيه أو كلمة مثل أو أحد مشتقاتها أو هما معاً ، أو اكتفى فيه بذكر التشبيه والمشبه به دون أداة، وتشمل كذلك النوع الثاني وهو المثل السائر في القرآن لأنه في الأصل تشبيه حالة المضروب له بحالة من قيل فيه ، ولذلك قسم "السيوطي" أمثال القرآن إلى قسمين :- ظاهر وهو المصرح به ، وكامن وهو من لا ذكر للمثل فيه"[1].

وذكر "بدر الدين الزركشي"أن الأمثال على قسمين :- ظاهر وهو المصرح به ، وكامن وهو الذي لا ذكر للمثل فيه وحكمة حكم الأمثال وقد نقل السيوطي ذلك النص بنفسه وحاول تفسير المثل الكامن[2]). وسيأتي بإذن الله –تعالى – ذكر ذلك ونجد أن أقسام الأمثال القرآنية قسمين :-

القسم الأول :- الأمثال الظاهرة المصرح بها :-

وهي ما صرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه وهي كثيرة في القرآن نورد منها ما يأتي:- ومنها قوله تعالى :﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾[3].أو قوله تعالى :

١–حمزاوي ، يزيد ،المدلولات التربوية للأمثال القرآنية دراسة تحليلية لنصوص القرآن رسالة ماجستير ، جامعة الجزائرعام٢٠٠٥ صـــ ٢٦ ،٢٧

٢–السيوطي ،أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،الإتقان في علوم القرآن ،طبعة مجمع الملك فهد لطابعة المصحف الشريف

عام ١٤٢٦هـــ ،(٥/ ١٩٣٣).

٣–سورة آل عمران : جزء من الآية ٥٩ .

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[1] .أو قوله تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾[2].ومن الأمثال الظاهرة كذلك تلك التي صرح فيها بالتشبيه والقياس ، سواء كان ذلك بكاف التشبيه أو غيرها من الأدوات الدالة على التشبيه والقياس،كقوله تعالى:

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾[3].وقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾[4].

وقوله تعالى :﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾[5].ويدخل في هذا النوع أمثال لا أداة فيها للقياس والتمثيل إطلاقاً ، لكن معنى الآية يدل على أنه مثل قياس ظاهر ، منه قوله تعالى :﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾[6].وبإذن الله تعالى سيكون هذا القسم هو محل البحث والتحقيق في هذه الرسالة بإذن الله تعالى .

القسم الثاني : الأمثال الكامنة :-

وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ، ولكنها تدل على معانٍ رائعةٍ في إيجاز يكون لها وقعها إذا نُقلت إلى ما يشبهها[7] .

وهي أيضاً تلك الأمثال التي لا تدل على التشبيه ، و لا نستخدم أدواته ، و لا تدل كذلك على القياس وإنما هي أشبه بالأمثال السائرة، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها :-

---

١-سورة البقرة : جزء من الآية ١٧ .

٢-سورة الواقعة : الآية ٢٢ ،٢٣ .

٣- سورة المدثر : جزء من الآية ٤٩، ٥٠ .

٤-سورة البقرة : جزء من الآية ٢٧٥ .

٥-سورة القارعة : جزء من الآية ٤ .

٦-سورة الحجرات : جزء من الآية ١٢ .

٧-القطان ، مناع ،مباحث في علوم القرآن ، طبعة مكتبة وهبة صـ ٢٧٩ .

ما في معنى قولهم " خير الأمور الوسط " ،بقوله تعالى: ﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ ﴾[1].

وكذلك قوله تعالى :﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾[2] . وكذلك ما في معنى " لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين "، قوله تعالى على لسان يعقوب :

﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾[3].وما في معنى قولهم "كما تدين تدان " قوله تعالى ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾[4].ومن أمثلتها في القرآن قوله تعالى:﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[5] .ويقابله المثل السائر " ليس الخبر كالمعاينة "

وقوله تعالى:﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾[6].ويقابله " لا تلد الحية إلا حية " وغيرها من الأمثال السائرة الكثيرة[7].

نكته:- واختلفوا في هذا النوع من الآيات الذي يسمونه إرسال المثل ، ما حكم استعماله في الأمثال ؟

فرآه بعض أهل العلم خروجاً عن أدب القرآن ، قال الرازي في تفسيره قوله تعالى :

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾[8]."جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند المتاركة وذلك وذلك غير جائز؛لأنه تعالى ما أنزل القرآن لتمثل به،بل يتدبر فيه،ثم يعمل بموجبه ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن في مقام الجد،كأن يأسف أسفاً

١-سورة البقرة جزء من الآية : ٦٨ .
٢-سورة الإسراء جزء من الآية : ١١٠ .
٣-سورة يوسف جزء من الآية : ٦٤ .
٤-سورة النساء جزء من الآية : ١٢٣ .
٥-سورة البقرة جزء من الآية : ٢٦٠ .
٦-سورة نوح جزء من الآية : ٢٧ .
٧-حمزاوي ،مرجع سابق ، صـــ٢٨ .
٨-سورة الكافرون : الآية ٦ .

شديداً لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول:﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾[1] أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواءه إلى باطله،فيقول:﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[2]. والإثم الكبير في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى في مقام مقام الهزل والمزاح[3] .

١-سورة النجم : الآية ٥٨ .

٢-سورة الكافرون :الآية ٦ .

٣- القطان ،مباحث في علوم القرآن ، صـــ ٢٨١ .

المبحث الثالث : الأهمية التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية:-

الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حسي يُقربها إلى الإفهام بقياسها على المعلوم اليقيني ، والتمثيل هو القالب الذي يُبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان ، بتشبيه الغائب بالحاضر ، والمعقول بالمحسوس ، وقياس النظير على النظير، وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعةً وجمالاً ، فكان ذلك أدعي لتقبل النفس له ، واقتناع العقل به ، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه[1] .

وقد أجمل الإمام "الزركشي " بيان أهمية الأمثال في القرآن فقال " وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكيرُ ، والوعظ ، والحث ، والزجر ، والاعتبار ، والتقرير وترتيب المراد للعقل ، وتصويره في صورة المحسوس ، بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحسن . وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر ، قال تعالى :

﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2]،فامتن علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد ، وقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[3] . وقال تعالى :

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[4]والأمثال مقادير الأفعال

١-المرجع سابق صـــ٢٧٤ .

٢-سورة إبراهيم :جزء من الآية ٤٥ .

٣-سورة الروم : جزء من الآية ٥٨ .

٤-سورة العنكبوت : الآية ٤٣ .

، والمتمثل كالصانع الذي يقدر صناعته ، كالخياط يُقدِّر الثوب على قامة المخيط ، ثم يغريه ، ثم يقطع ، وكلُ شيء له قالب ومقدار ، وقالب الكلام ومقداره الأمثال [1].

وأهمية أمثال القرآن كثيرة جداً منها :-

١-أن الله تعالى نسب ضرب هذه الأمثال لنفسه فقال تعالى:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾[2]؛وضمنها أشرف كتبه،مما يدل على تفخيم شأنها، وسمو مترلتها ، وعظيم موقعها بين أساليب القرآن المتنوعة .

٢-أن الله أقام بها الحجج على عباده ، قال تعالى :﴿ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾[3]قال "الشوكاني"– رحمه الله – (وضربنا لكم الأمثال) في كتب الله وعلى ألسن رسله ، إيضاحاً لكم وتقريراً ، وتكميلاً للحجة عليكم "[4].

٣-أن الأمثال جزء من الميزان ، وهو العدل الذي أنزله الله لعباده ، ليسروا به بين المتماثلات ويفرقوا بين المختلفات قال شيخ الإسلام ــ رحمه الله – وضرب المثال مما يظهر به الحال ، وهو القياس العقلي الذي يهدي به الله من يشاء من عباده ، قال تعالى :﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[5]وقال تعالى:﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[6]،وهذا من الميزان الذي أنزله الله كما

١- الزركشي ، مرجع سابق ، صـــ ٤٨٦،٤٨٧ .

٢-سورة البقرة : جزء من الآية ٢٦ .

٣-سورة إبراهيم : الآية ٤٥ .

٤-الشوكاني ،محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. مطبعة مصطفى الحلبي ،مصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٣- ١٩٦٤م ،(٣/ ١١٦) .

٥-سورة الزمر : الآية ٢٧ .

٦-سورة العنكبوت : الآية ٤٣ .

قال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾[1]. [2]

٤-أنها من وسائل إيضاح الدِّين والدعوة إليه،فهي تقرب المعقول وتجعله في صورة المحسوس [3].قال الحكيم الترمذي –رحمه الله – فالأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار ، لتهدي النفوس بما أدركت عياناً ، فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ، ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة[4].

٥-أنها تشحذ الذهن للتفكر والتذكر ، كما قال الله (لعلهم يتفكرون) وقوله :

(لعلهم يتذكرون) وذلك أنها بيَّنت العلة التي من أجلها ضربَ الله الأمثال للناس وصرفها لهم في كتابه العزيز ؛ وهي رجاء تفكرهم وتعقلهم لها ثم تذكرهم بمعرفة الحق الذي ضربت له والانتفاع به فالأمثال تسهل للناس التفكر والتعقل بما تشتمل عليه من مقايسة الأمور وإلحاق النظير بنظيره ، والمساوة بين المتشابهات في الأحكام وتوضيح الغامض أو المجهول بالمعلوم المحسوس أو المعقول ، وهذا هو الاعتبار المؤدي إلى استخلاص العبر والحكم مما ورد في الكتاب الكريم من الأمثال بمختلف أنواعها [5] .

٦-ومن أهميتها ومزيد شرفها تخصيص أهل العلم بتعقلها مما يدل على علو قدرها؛ فأهل العلم هم الطالبون لها المدركون لأهميتها والمتدبرون لها، والمنتفعون بها، ومن جهة أخرى فإن من عَلِمَهاَ واعتني بها كان ذلك دليلاً على علمه وفقهه كما قال تعالى:(وما يعقلها إلا

١-سورة الشوري: جزء من الآية ١٧ .

٢-الجربوع ،إبراهيم عبد الله ، الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك ،رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية قسم العقيدة عام ١٤٢٩/١٤٣٠هـ صـ ٣٦ .

٣-القياس في القرآن الكريم والسنة النبوية صـ٢٨٩.

٤-الترمذي ،أبي عبد الله محمد بن علي ، الأمثال من الكتاب والسنة ، ت مصطفى عبد القادر عطا ،مؤسسة الكتب الثقافية ط أولى عام ١٤٠٩ه – ١٩٨٩م ، صـ١٣.

٥-الجربوع ،مرجع سابق ١٤٤/١.

العالمون). وقد عدها الأمام "الشافعي"– رحمه الله– مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال :(ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال ، الدوال على طاعته ، المثبتة لاجتناب معصيته ، وترك الغفلة عن الحفظ والازدياد من نوافل الفضل[1].قال الشيخ "عبد الرحمن السعدي"– رحمه الله – في قوله تعالى (وما يعقلها إلا العالمون) وهذا مدح للأمثال التي يضر بها،وحث على تدبرها وتعقلها ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين والسبب في ذلك،أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن إنما هي للأمور الكبار ، والمطالب العالية،والمسائل الجلية، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها ، وحثه عباده على تعقلها ، وتدبرها ، فيبذلون جهدهم في معرفتها ، وأما من لم يعقلها مع أهميتها ، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم ؛ لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأخرى ، ولهذا ، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها [2].

١–السيوطي ، مرجع سابق ، (٤٨٦/١).

٢–السعدي، مرجع سابق ١٣١٥/١٣١٦.

المبحث الرابع : الخصائص التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية :-

تتميز الأمثال القرآنية بجملة من الخصائص التربوية أو الصفات التي تعينها على التأثير على المخاطبين أكثر من الكلام السردي ، أو غيرها من أساليب الخطاب ويمكن جمع هذه الخصائص من خلال كلام أهل العلم في خمس خصائص وهي : دقة التصوير مع صدق المماثلة ، والتصوير المتحرك الحي الناطق ، وتنوع الممثل به ، وتكرار المثل ، وتشويق المثل مع بعده عن النفرة[1].

أولا: دقة التصوير وصدق المماثلة :-

تتميز الأمثال القرآنية بميزة دقة التصوير وصدق المماثلة ؛مما يعين على التأثير وتحقيق الهدف والغرض التربوي لضربها . يقول "الميداني" :" من تتبع الأمثال القرآنية يستطيع اكتشاف خاصية دقة التصوير مع إبراز العناصر المهمة في الصورة التمثيلية ، والتصوير المتحرك الحي الناطق ذو الأبعاد المكانية والزمانية ، والتي تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية والحركات الفكرية للعناصر الحية في الصورة مع صدق الممثلة بين المثل والممثل به له[2] .

وهذه الأمثال التي أودعها الله كتابه تحمل إعجازاً في تراكيبها البلاغية وصورها النفسية ، فالمثل يهدف إلى الغوص في أعماق النفس والدخول في شغاف القلب ليحقق غايته في الإصلاح ، وإبراز النموذج الأكمل في الذات الإنسانية ، ولعل البيان في أساليب المجاز والاستعارة والتشبيه ، توفر الوسائل الناجحة لنقل العواطف وإثارة الإحساس وبهما تتجاوب الأصداء، وتلتقي الأصوات، وتتحرك الكلمات، فمثلاً حينما يصور المثل أعمال

١-حمزاوي ،مرجع سابق ، صـــــــــــــ١٠٣.

٢-الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، أمثال القرآن ، دار القلم ،ط ٢ ، ١٤١٢هـ صـــــ٨٤ .

الكافرين التي لا وزن لها و لا فائدة ترجى منها في الحياة الأخرى ، فإنه يشبهها بذرات الرماد المتناثرة والمتطايرة هنا وهناك في مهب الريح ،كما في قوله تعالى :﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾[1].وفي مثل آخر يقول الله تعالى :﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[2]

ويكشف هذا المثل الأبعاد النفسية ، التي اشتملت عليها شخصية الذي يتخلى تماماً عن آيات الله البينات ويعرض عنها ، ابتغاء عرضٍ زائلٍ ومتاعٍ قليلٍ ، وقد استعار كلمة "انسلخ" وعبَّر بها تعبيراً دقيقاً عن مدى التصميم في الإعراض والتخلي ، وصوَّر بذلك حالة التراع الشديد في مفارقتها ، فهذا التجرد من عناصر الحيز حتى عادت إلى حقيقة أخرى جوفاء مترهلة ، وتأتي الصور متقاطرة العبارات مجلجلة الواقع ، فيعقب صورة الكلب اللاهث في حالته وإخلاده إلى الأرض ، وهي شديدة الأثر في تحقيرها لشأن المشبه وإظهارها لضياعه وتشرده وضلاله[3]. ومن الأمثلة على هذه الخاصية قوله تعالى: ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4]،ويلاحظ في هذا المثل دقة التصوير وصدق المماثلة بين المثل والممثل له ، ففي

١-سورة إبراهيم : الآية ١٨ .

٢-سورة الأعراف: الآيتان١٧٥ ،١٧٦ .

٣-حمزاوي ،مرجع سابق، صـــــ١٠٣ ، ١٠٤ .

٤-سورة هود : الآية ٢٤ .

الآية تمثيل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالأعمى والأصم ، وتمثيل الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم بالبصير والسميع ؛ وذلك لأن الكافرين صرفوا أبصارهم عن رؤية آيات الله ، وتراكبت عليها غشاوة أهوائهم وشهواتهم ورغبات متاع الحياة الدنيا ،وصرفوا أسماعهم عن تفهم كلام الله وكلام رسوله ، فكانوا بسبب ذلك كمن هو مصاب بالعمى والصم ، أما الذين آمنوا فقد رأوا آيات الله فانتفعوا بها وآمنوا بربهم وتدبروا كلام الله وكلام رسوله ففهموا وانتفعوا واستجابوا ، فمثلهم بالنسبة لذا القسم من المعارف الربانية كالبصير حديد البصر والسميع شديد السمع[1].

ثانياً: التصوير المتحرك الحي الناطق :-

وهذا التصوير ذو الأبعاد المكانية والزمانية ، والذي تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية والحركات الفكرية للعناصر الحية في الصورة ومثل هذه الخاصية تتضح جوانبها في قوله تعالى :﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٣٥﴾ ﴾[2].يقول الميداني :" فالواحة التمثيلية قد استكملت كل عناصرها بدقة تامة وهذا يكشف لنا انطباق عنصرا آخر من عناصر خصائص الأمثال القرآنية، وهو دقة التصوير مع إبراز العناصر المهمة من الصورة التمثيلية ، يضاف إلى ذلك بعض الأبعاد المكانية والزمانية . فما أنزل الله من هداية قد جاء من مصدر كامل ، وجاء مدده كاملاً ، وظهر نوره لأهل الأفهام السليمة صافياً ، وقد وضع ضمن كلام بليغ متصف بالكمال ، مشع بالنور من كماله ، وقد وضع في المكان المناسب له ، إذ أنزل على العرب وبلغتهم الدقيقة ،

١-الميداني ، مرجع سابق ، بتصرف صـــ١١٧، ١١٨ .

٢-سورة النور: الآية٣٥ .

أو وضع في قلب المؤمن يهديه وينير له السبيل " [1].

ثالثاً: التنوع في الممثل به :-

ومن الخصائص التي تميزت بها الأمثال القرآنية تنوعها من حيث الممثل به ؛ وذلك لتحقيق الأغراض والأهداف التربوية ، مما يجعل تلك الأمثال تمتاز بالثراء في الألفاظ والكلمات والعبارات والمفاهيم و المعاني التي تضع أمام المخاطب عرضاً متنوعاً من تلك الأمثال ، مما يثري رصيده اللغوي والمعرفي ، فلا غرابة أن أشهر الأدباء في العالم الإسلامي قديماً وحديثاً هم أولئك الذين تشبعوا بأمثاله الفصيحة وتشبيهاته البليغة ، فتنوع الأمثال هو تنوع في الأسلوب التعليمي، الذي يقدم زاداً من المعلومات والمعارف المقدمة بشكل بلاغي إعجازي جميل يحمل دلالات لغوية ،ومعرفية، وشرعية ، ترشحها لتكون أسلوباً تربوياً راقياً . وتنوع الممثل به أو الأمثال عموماً ، وتعدد أوجه التشبيه وأدواته ، يعين في تعليم المخاطب والتأثير فيه من حيث أنه إذا استشكل ممثلاً به أو تشبيهاً ، بسبب عدم إدراكه له ، أو بسبب افتقاره له في مخزونه المعرفي ، لعدم وجود ذلك الممثل به في بيئته التي يعرفها ، جاء مثل آخر بتشبيه آخر بممثل آخر يعرفه المخاطب فيستعيض به عما يجهله ، فالله تعالى يضرب المثل بالعنكبوت والحمار والجمل والفراش المبثوث والنحل وغيرها من الممثلات التي يكثر وجودها في البادية وفي الصحراء ،أوفي بيئة معينة ، وقد يكون المخاطب يعيش في مدينة ، لايعرف عن قرب تلك المثلات ، فتأتي أمثال أخرى من المطر والغيث والسحاب والبحر والنور وغيرها مما هو موجود في بيئته ، فيفهم المثل ، ويتحقق مطلوب الرسالة القرآنية .فالقرآن إذاً يحوي كماً كبيراً من الأمثال التي استقاها الله من البيئة المشاهدة وغير المشاهدة للإنسان ، التي تعين على تقريب المعنى وتكثيف الصور المحسوسة أمام المتعلم ، من خلال تنوع عناصر التمثيل

١-الميداني ،مرجع سابق ، بتصرف صـ١٢٧ ،١٢٨ .

المستوحاة من بيئة الإنسان [1].

رابعاً تكرار الأمثال :-

من الفوائد الهامة للأمثال القرآنية أنها تمتاز بخاصية التكرار ، وهي كغيرها من الآيات القرآنية تكررت عدة مرات في مناسبات عديدة عبر كتاب الله ، وذهب بعض العلماء إلى أن من القرآن ما تكرر نزوله ، وقد يتكرر نزول الآية على سبيل التذكير والموعظة بما يكون باعثاً للسامعين على الأثر والاستجابة . والأمثال القرآنية مواقف نفسية تصف الشخصيات المختلفة ، سواء الصالحة كالرسل والأنبياء أو النماذج الفاسدة كالكفار والمنافقين و العصاة ، وقد تكررت هذه المواقف النفسية في العديد من الآيات والأمثال ، علماً أن ورود التكرار وورود الموقف النفسي ليس تكراراً تطابقياً للموقف للكلمات والجمل كما يتبين ذلك من مقارنة النصوص القرآنية للموقف الواحد ، وإن الورود المتكرر لبعض المواقف ذو أهمية نفسية وتربوية مزدوجة كما يلي :-

١-تكرار يؤكد وظيفة نفسية للمواقف القرآنية ، إذ يؤدي التكرار إلى إبراز جانب مهم في كل مرة يقدم بها القرآن ذلك الموقف بتسليط الأضواء المكثفة عليه ، بحيث عندما تتجمع تلك الجزئيات الموزعة فإنها تتعاون على تقديم الموقف النفسي العام ، بصورة متكاملة في جميع النصوص القرآنية الواردة .

٢-يؤدي التكرار وظيفة تربوية إذ يعمل على تثبيت الفكرة العامة للموقف النفسي وقوة استحضارها ؛ لتكون ملازمة لذهن الإنسان مؤثرة في سلوكه العام ، فالقرآن الكريم ليس كتاب سجل لتدوين أحداث التاريخ الإنساني ، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد يتخذ من مواقف الإنسان منطلقات نفسية تربوية، وتشريعية لتكوين الإنسان الفاضل

١-حمزاوي ،مرجع سابق صـــــــ١٠٧، ١٠٨ .

والمتكامل[1].ويلاحظ في الأمثال القرآنية أن بعضها يتكرر معناه دون لفظه ، وبعضها يتكرر لفظه ،لكنه تكرار يشعر بالجدة وليس بالملل وكأن كل مثل يُقرأ لأول مرة وهذه بعض الشواهد على تكرار الصيغ المتعلقة بالأمثال ، وهي غيض من فيض .

الشاهد الأول :- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾[2].

الشاهد الثاني :-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[3].

أما من ناحية المعنى فثمة أمثال تكررت لأداء معنى واحد وتحقيق هدف واحد ، ومن الشواهد . الشاهد الأول : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾[4].

فمثلاً حينما يصور المثل أعمال الكافرين التي لا وزن لها و لا فائدة ترجي منها في الحياة الأخرى ، فإنه يشبهها بذرات الرماد المتناثرة والمتطايرة هنا وهناك في مهب الريح ،كما في قوله تعالى :﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾[5]

خامساً : التشويق وإبعاد النفرة :-

١-لمحات نفسية القرآن الكريم عبد الحميد الهاشمي صـــــ ١٣٣-١٣٦ .

٢- سورة الإسراء الآية : ٨٩ .

٣-سورة الروم الآية : ٥٨ .

٤-سورة البقرة جزء من الآية : ٢٦١ .

٥-سورة إبراهيم الآية : ١٨ .

يجمع علماء التربية على أن من العوامل المساعدة على التعلم استخدام الأساليب والوسائل المشوقة ، التي تبعث بدورها النشاط والحركة باتجاه الاستيعاب والفهم ، وإن المناهج العلمية والمعلومات والمعارف التي تقدم بأساليب غير مشوقة ، وبطريقة فجة تؤدي بالمتعلم إلى النفور من التعليم ، أو على الأقل إلى النفور من المادة أو الموضوع الذي يراد تعليمه إياه ؛ لذا فكافة النظريات والتجارب التربوية الحديثة في التعلم تجعل هذا العامل محورياً في تنظيراتها ، حتى إنَّ بعض تلك النظريات ذهبت بعيداً إلى حد اقتراح وسائل تعليمية تجمع بين الدراسة واللعب ، خصوصاً عند الأطفال كما في طريقة "ديكرولي"DECROLY التي رفعت شعار " الطفل الذي ينشط وهو مرح "[1]. وكذلك تركيز المربية "ماريا مونتسوري" على المثيرات والمنبهات التي تثير الاهتمام لدى الطفل ، والتي دعتها " المثيرات اللذيذة والممتعة التي تتغلب على الكراهية الطبيعية للجهد "[2].وكذلك المبادئ النفسية التربوية عند "فروبل" الذي أهتم كثيراً بالألعاب والوسائل التربوية ، التي تجعل الفرد يتعلم الأمور الجدية من خلال الوسائط الممتعة والمبهجة "[3]. إن الله سبحانه وتعالى خالق البشر ويعلم أنهم ، بضعفهم ، يتعرضون للملل والخمول والكسل والنفرة .....، الأمر الذي يعيق تعلمهم وفقههم الآيات القرآنية ؛ لذا لم يرد الله أن تكون آياته كلها على نسق واحد من الأمر والنهي والزجر والتخويف والتعقيد ، وإنما أرادها عرضاً مشوقاً ميسراً للذكر يقتل الملل، ويبعث على النشاط المتزايد المعين على التدبر ، حتى يقطع على المعرضين كل ذريعة لرفض رسالة الإسلام . ومما يزيد القرآن تشويقاً في قراءته ألفاظه الجميلة وانسياب آياته وفواصلها ، وبركتها ، إذ أنَّ القرآن آيات مباركة ، حتى إنَّ هذا القرآن صار وسيلةً مسكنةً لألم النبي – صلى الله عليه

١-التربية عبر التاريخ لعبد الله عبد الدايم صـــــ٥٦٢ .

٢-المصدر السابق صـــ ٥٥١

٣-المصدر السابق صـــ ٤٤٦ – ٤٤٧ .

وسلم– فقد كان يركن إلى ترتيل القرآن كلما همه أو أفزعه أو أحزنه أمر فتسليه تلاوته ، ويواسيه ويخفف عنه وطأة المصائب ، وكان يحب أن يسمعه من غيره ، وبالأخص أبي موسى الأشعري فقال له يوماً:"لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود"[1] . والأمثال القرآنية من أكثر الآيات التي تتميز بخاصية التشويق يقرأها القارئ أو يستمع لها المستمع وهو متلذذ بألفاظها ومستمتع بحروفها[2].والتشويق ودفع الملل المتوافر في الأمثال القرآنية ، ليس هدفاً في ذاته ؛ لكنه معين على التعقل والتدبر وهو الهدف الأساسي ، قال "ابن القيم": إن الأمر قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره ومثيله ، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير ، ففي الأمثال القرآنية من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لها أمر لا يجحده أحد)[3] .

كما يبين "الغامدي" في مقاله عن الأمثال القرآنية:(أن المثل القرآني يبعد النفرة والوحشة،وهي معين على الأنس والتقبل للقضية المطروحة ، فالأمثال تنوع في الحديث، وتلون في العرض، ودفع للملل وبعث للنشاط يجعل النفس في تقبل وإقبال ، وفي الأمثال مجال للتجديد مما يجعل النفوس تلتفت إليها، وتستفيد منها، ويصعب تقديم شواهد محددة من الأمثال على هذه الخاصية ، فكل الأمثال القرآنية تصلح أن تكون شاهداً على التشويق ودفع النفرة والملل وشدِّ انتباه المتعلم)[4] .

١–متفق عليه ، رواه البخاري في فضائل القرآن برقم (٥٠٤٨)، ومسلم صلاة المسافرين برقم (٧٩٣).

٢–حمزاوي ،مرجع سابق ، صـــــــــــ١١٥ ،١١٦ .

٣–الجربوع ،مرجع سابق ، ١٤/١

٤–حمزاوي ،مرجع سابق ، صـــــ١١٦ ،١١٧.

المبحث الخامس: الأغراض التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية :-

إن المتكلم الفصيح الذي يلجأ إلى الأساليب غير المباشرة – ومنها الأمثال – في وصف وبيان ما يريد ، إنما يفعل ذلك لحكمة وغرض معين . والأمثال القرآنية ضربت لأغراض سامية ، وكل تلك الأغراض تدور حول غرض أساسي ، هو البيان والإيضاح لمراد – الله عز وجل – والبلاغ لحقيقة دينه ، وحقيقة ما يضاده ، وكل ما يحتاج إليه البشر للتعرف على حق الله –عز وجل – وما يترتب على القيام به من كرامة الله في الدنيا والآخرة ، والتعرف على ضده وما يترتب على من سلكه من سخط الله .

قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾[1].وغاية ذلك البيان هو الترغيب في الحق والحث على اعتناقه ، والترهيب من الباطل والتنفير منه ، والأمثال من رحمة الله – عز وجل – بعباده حيث يسر بها وبغيرها من ضروب القول كلامه للتذكر والتدبر ، كما قال سبحانه ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[2]. وقد جمع الأغراض التي تضرب لأجلها أمثال القرآن الكريم للإمام بدر الدين الزركشي بقوله " وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير ، والوعظ والحث ، والزجر ، والاعتبار ، والتقرير، وترتيب المراد للعقل ، وتصويره في صورة المحسوس .... وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر أو إبطال أمر قال تعالى:

١-سورة الإسراء الآية : ٨٩ .

٢-سورة القمر الآية : ١٧ .

﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]. فامتن علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد[2].

والمتتبع للأمثال القرآنية يجد أن أهم الأغراض التي جاءت لها الأمثال هي :-

الغرض الأول : تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل :-

قال "الميداني": " قد يكون لدي المخاطب نوع جهالة حول الممثل له ويراد رفعها عنه والتمثيل قد يكون وسيلة سهلة للتعليم ورفع الجهالة ، بل ربما كان أحسن الوسائل عند تعذر إحضار الممثل له ، أو إحضار صورته بالفعل ، أمام المخاطب الذي يراد رفع الجهالة عنه . لكن الممثل له قد لا يكون ذا صورة مادية يمكن أن تدرك بالحس الظاهر، بل أمراً فكرياً ذهنياً ، أو أمراً وجدانياً وقد يكون ذا صورة مادية يمكن أن تدرك بالحس الظاهر ويراد من المثل في الحالة الأولى تقريب الصورة الذهنية أو الوجدانية وفي الحالة الثانية تقريب الصورة المادية لذهن المخاطب "[3].

ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾[4].

فضرب الله مثلاً لألوان بشرتهم ونعومتها ، ولمشهد توزعهم في الجنة للخدمة باللؤلؤ المنثور وهو مثل تقريبي ، والحقيقة أعظم من ذلك وأرفع .

الغرض الثاني :- وهو الإقناع بفكرة من الأفكار :-

الإقناع بفكرة من الأفكار قد يصل إلى مستوى الحجة البرهانية وقد يقتصر على مستوى الحجة الخطابية ، وقد يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة والحجَّة البرهانية هي الحجة الملزمة التي تفيد اليقين . أما الحجة الخطابية فهي حجة إقناعية ظنية تفيد

١-سورة إبراهيم جزء من الآية : ٤٥.

٢-الزركشي ،مرجع سابق ، (١/٤٨٦ ،٤٨٧).

٣-الميداني ،مرجع سابق ، صـ ٦١.

٤-سورة الواقعة الآيتان : ٢٢ ،٢٣.

الظن الراجح ، ولفت النظر يكفي فيه إيراد المثل المشابه و لم يشتمل على أية حجة[1].

ومن الشواهد القرآنية على الأمثال التي يقصد منها الإقناع بفكرة من الأفكار، وهذا الإقناع يشتمل على حجة برهانية ما ضربه الله المثل ببدء الخلق لإثبات قدرته على إعادة خلق الأحياء بعد أماتتهم وفناء أجسادهم قال الله تعالى :﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[3] فضرب الله في هذه النصوص مثلاً ببدء الخلق وضرب مثلاً بخلقه للسماوات والأرض الذي هو أكبر من خلق الناس ؛ دليلاً على قدرته سبحانه وتعالى على إعادة خلق الناس بعد فناء أجسادهم . وضرب المثل بكلٍّ من الأمرين قد تضمن حُجة برهانية على قدرة الخالق في إعادة الخلق بعد فنائه ، لأن من قدر على ابتداء الخلق لابد أن يكون قادراً على إعادته لاستواء البدء والإعادة في الواقع بالنسبة إلى قدرة الخالق القادر ، الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له : كن ، فيكون الشيء . ولأن من قدر على خلق الشيء العظيم الكبير، لابد أن يكون قادراً على خلق ما هو أقل وأصغر منه[4] .

الغرض الثالث :- ضرب الأمثال لغرض الإقناع بذكر محاسن الحق والترغيب فيه وذكر

١-الميداني ، مرجع سابق ، صـ ٦٦.

٢-سورة الأنبياء : الآية :١٠٤.

٣-سورة يسن الآيات : ٧٧- ٨٢.

٤-الميداني ،مرجع سابق ، صـــــــــــ٦٦ ،٦٧ .

قبائح الباطل والتنفير منه :-

هذا الغرض قد أستأثر بحظٍ وافرٍ من أمثال القرآن الكريم ، فكثير من الناس قد ينخدع بظاهر الأمر دون أن يسبر غوره ، ويتعرف على خطاياه ، فإذا كشفت له تلك المساوئ المستورة ومثلت له بمثال معقول مطابق ، اقتنع به واستدل به على الحكم الصحيح الذي يجب أن يصير إليه من معرفة حقيقة ذلك الأمر ، وعدم الانخداع بظواهره الخلابة .ومن الأمثال التي تهدف إلى الإقناع بالحق عن طريق ذكر محاسنه ومزاياه ما ورد لتصوير حال الموحد من اطمئنان نفسه ووضوح الرؤية لديه ، وثباته على الصراط المستقيم ، واستمساكه بالعروة الوثقى، كما في قوله تعالى :-﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[1]. وقوله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

ومنها ما ورد لتصوير حال الكافر ، والمشرك ، والمنافق ، من حيرته وقلق نفسه وتخبطه في الظلمات ، وسرعة استجابته للفتن والمهلكات . وقد ورد في هذا المعنى كثير من الأمثال القرآنية منها ما تقدم في قوله تعالى:﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾[3] ومنها ما ورد لتصوير حال الكافر ، والمشرك ، والمنافق من حيرته وقلق نفسه وتخبطه في الظلمات ، وسرعة استجابته للفتن والمهلكات وقد ورد في هذا المعنى كثير من الأمثال القرآنية السابقة .ومنها ما ورد في بيان قبح حال من آمن بكتب الله ثم أعرض عنها لا يتعلمها ولايعلمها مع قدرته على التعليم ، وتوفر أسبابه ، كما في قوله تعالى:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ

١-سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

٢-سورة إبراهيم الآيتان : ٢٤ ،٢٥ .

٣-سورة الزمر جزء من الآية : ٢٩ .

يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾[1]. ومثله ما ورد في بيان قبح حال من تعلم و لم يعمل بعلمه كما في قوله تعالى:﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[2]،ويدخل في هذا الغرض ماورد من الأمثال بقصد المدح أو الذم لكن لا يراد به الإقناع وإنما يراد به الإشادة بالممدوح، وعيب المذموم ، ويصاحب هذا الغرض غرض آخر هو: نصب القدوة الصالحة للاقتداء بالممدوح والتنفير من المذموم ومما ورد في المدح قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[3].ومما ورد في الذم قوله تعالى:﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ ﴾[4].ومما تقدم يتضح أن من أغراض الأمثال *القرآنية* : الإقناع بحسن الأمر الممثل له ، بإبراز محاسنه ومزاياه ، أو الإقناع بقبحه وفساده ، بإبراز محاسنه ومزاياه ، أو الإقناع بقبحه وفساده ، بإبراز مساويه ، وخزاياه . كما تأتي الأمثال لغرض مدح الممثل له ، والإشادة به ، ونصبه قدوة أو ذم الممثل له وعيبه والتحذير منه ومن طريقه[5].

الغرض الرابع :- وهو شحذ ذهن المخاطب ، وتحريك طاقاته الفكرية ، أو استرضاء ذكائه ، لتوجيه عنايته حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكر :-

---

١-سورة الجمعة الآية: ٥ .

٢-سورة الأعراف الآيتان : ١٧٥، ١٧٦ .

٣-سورة الفتح جزء من الآية : ٢٩

٤-سورة التحريم جزء من الآية : ١٠ .

٥-الجربوع ،مرجع سابق ، (١/١٦١-١٦٦) .

هذا النوع من الأمثال يخاطب به الأذكياء وأهل التأمل والتفكر،ومعلوم أن استخدام الأساليب الذكية التي يحتاج إدراكُ المرادِ منها إلى ذكاءٍ ، مما يُرضي الأذكياء ، ويُحَرْكُ طاقاتهم الفكرية ، ويَلْفِتُ أنظارهم بقوة ، ويدفعهم إلى توجيه عنايتهم ، لإدراك المراد بالتأمل وإمعان النظر .

ونظيره في آداب الناس ما يضربونه من أمثال في الأحاجي والألغاز ، يستخرج الأذكياء المراد منها ، وليقاس بها مقدار ذكاء المخاطبين أو سرعة انتباههم . ومن الأمثال القرآنية التي قد تصلح شاهداً لهذا ، قوله الله تعالى:﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1]

إن إنزال القرآن على جبل من الجبال ليس من خبرات الناس ، حتى يضرب المثل به للإقناع ، وللتقرب أو لغير ذلك من الأغراض التي سبق شرحها لكنه مثل يحرك في الأذكياء طاقتهم الفكرية ويُوجه عنايتهم حتى يتأملوا ويتفكروا ويدرسوا ويتابعوا البحث ، رجاء أن يصلوا إلى معارف يحلون بها لغز هذا المثل [2] .

الغرض الخامس :- الدلالة على كثير من الفوائد العلمية والحكم :-

تشتمل الأمثال على كثير من الفوائد العلمية ، في جوانب كثيرة منها العقائد وهي أكثرها ، والأحكام الشرعية ، قال "الزركشي" : " فإن آيات القصص والأمثال وغيرها ، يستنبط منها كثير من الأحكام "[3]. والحكم والعبرة ، وبعض الحقائق العلمية في الأمور الدنيوية ، والظواهر الكونية وغير ذلك .

الغرض السادس :- وهو تقديم أفكار غزيرة بعبارة قصيرة :-

١-سورة الحشر الآية : ٢١ .

٢-الميداني ، مرجع سابق ، صـــــــــ١٠٤ ،١٠٥

٣-الزركشي ،مرجع سابق ، (٤/٢) .

إن تقديم المثل لموضوع من الموضوعات يُغني عن شرح هذا الموضوع بكلام كثير ، قد يكتب في صفحات ، وقد يكتب في سفر كبير ، وقد يكتب في مجلدات ، وهو نظير النماذج التي تقدم للأشياء بالوسائل التعليمية التي تدرك بالحواس الظاهرة . فلو أراد المعلم شرح النموذج الحسي بالكلام لاحتاج دروساً عديدة ، ولما وصل بعد الشرح الطويل في إفهام تلاميذه إلى مثل ما يدركونه بدقائق معدودات حين يشاهدون النموذج الحسي للشيء المراد التعريف به كذلك قد يغني المثل هذا الغناء نفسه ، فيقوم تقديم المثل مقام شرح طويل جداً [1]. ومن ذلك التشبه بالأعمى يغنى عن شرح طويل يفصل فيه حالة الكافر في الحياة الدنيا ، إذ يتخبط على غير هدى في كل تصرفاته .

الغرض السابع : التربية بإبراز القدوة الحسنة ، والحث على الاقتداء بها ، والتنفير من ضدها :- الأمثال من أفضل السبل للتربية ، وتقويم المسالك ، وإصلاح النفوس ، وصقل الضمائر ، وتهذيب الأخلاق، وتنمية الفضائل السامية. ويكون ذلك بتقديم النماذج البشرية الصالحة والنماذج البشرية الطالحة ، بقصد توجيه النفوس المخاطبة إلى الاقتداء بالصالحين وتنفيرها من الطالحين . قال تعالى :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾[2] قال الشيخ "عبد الرحمن السعدي"- رحمه الله - في قوله تعالى (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) حيث بين لهم تعالى أهل الخير وأهل الشر ، وذكر لكل منهم صفة يعرفون بها ويتميزون

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾[3][4] .

وقال الشيخ أحمد بن محمد طاحون " وفي ميدان الهداية إلى الخير ، والتنفير من الشر يقدم

١-طاحون ، أحمد بن محمد ،أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم ، صـــ ٥.

٢-سورة محمد الآية : ٣ .

٣-سورة الأنفال جزء من الآية : ٤٢ .

٤-السعدي ، مرجع سابق (١٦٥٣)

القرآن الكريم نماذج لنفوس بشرية ، وإن في دراستها لعبرة ، وفي تدبرها عظة ، وكم في القرآن الكريم من نماذج لأولياء الله الصالحين : من النبيين ، والحكماء ، والصديقين ، والربانيين ، إنها النماذج الصالحة في معتقداتها ، ومسالكها ، وأخلاقها ، في قلوبهم نور وفي عملهم نور وفي أقوالهم نور ، كما قدم الكتاب العزيز نماذج لنفوس انطوت على الشر والسوء ونفوس انسلخت مما يدعو إليه العلم النافع ، والآيات البينات بعد أن علموها ، فلم يشرفها العلم لأنهم لوثوا أنفسهم بالعجب والغرور ، وطلب الدنيا وإيثارها على الآخرة ؛ وقدم نماذج تتلون كما تتلون الحرباء ، ظاهرها يَسرُ ، وباطنها شر وضُر"[1]. وأمثلة هذا النوع كثيرة في القرآن : منها القصص ،فكل قصص القرآن أمثال منصوبة للاعتبار والاقتداء بالصالحين وتحري طريقهم والابتعاد عن طريق الضالين الهالكين ، سواء ما نص منها على أنها مثل أم لم ينص [2].

١-طاحون ،مرجع سابق ص٨

٢-الجربوع ، مرجع سابق ، (١٦٨/١) .

الباب الأول : القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية المضروبة للمنافقين والمشركين وفيه فصلين :

الفصل الأول : القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية المضروبة للمنافقين .

الفصل الثاني : القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية المضروبة للكفار .

الفصل الأول : القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية المضروبة للمنافقينوفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : النفاق لغةً واصطلاحاً :وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :النفاق لغةً :

اختلفَ أَهلُ اللغةِ في أصلِ النفاقِ فقال أبو عبيدة :"سمي المنافق مُنَافِقاً لأَنَّهُ نافَقَ كاليرْبُوعِ وهُوَ دُخُولُهُ نافِقَاءَهُ . يُقالُ لَهُ الْقاصِعاءُ ، فَإذا طُلِبَ قَصَّعَ فَخَرَجَ مِنَ الْقاصِعاء ، فَهُوَ يَدْخُلُ في النَّافِقاء ويَخْرُجُ مِنَ الْقاصِعاء ، أو يَدْخُلُ في الْقاصِعاء و يَخْرُجُ مِنَ النَّافِقاء، فَيُقالُ هكَذا يَفْعَلُ الْمُنافَقُ ، يَدْخُلُ في الإسْلامِ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ[1].

وقال "ابن الأثير" في النهاية :" والنفاقُ مصدرُ : نَافَقَ – يقال: نَافَقَ يُنَافِقُ نفاقاً ومَنَافَقَةً وهو مأخوذُ من النافقاءِ : أحدُ مخارجِ اليربوعِ من جُحْرِهِ ، فإنه إذا طُلِبَ من واحدٍ هربَ إلى الآخرَ وخرجَ منه– وقيل هو من النَفْقِ ، وهو السربُ الذي يَسْتَتِرُ فيه[2] .

وقال"أبوزيدُ" عن الأصلِ اللغوي بكلمةِ نَفقَ ومما قالهُ :"نَفقَ اليربوع تَنْفِيقاً بالكسر ونافق أي دخل في نافِقائِه ومنه اشْتِقَاقُ المنافِقِ في الدِّينِ ، والنِّفاقُ بالكسر فِعْلُ الْمُنَافِقِ ، والنِّفاقُ الدخولُ في الإسلامِ من وجهٍ والخروجُ عَنْه من آخَرَ مشتقُ من نَافِقَاء اليربوع ، وقد تكرر في الحديث ذكر النِّفاق وماَ تصرَّفَ منه اسماً وفعلاً ، فهو اسمٌ إسلامي لم تَعْرِفْهُ العربُ بالمعنى المخصوص به وهو الذي يستر كُفْرَهُ ويظهر إيمانَه، وإن كان أصله في اللغة معروفاً يقال : نَافَقَ يُنَافَقُ مُنَافَقَةٍ منافقة ونفاقاً وهو مأخوذ من النافِقَاء لا من النَّفقِ وهو السرب الذي يستتر فيه لِستْرِه كُفْرَهُ "[3].

وقال الراغب في غريب القرآن :" وقيل أنه مأخوذ من نافقاء اليربوع ولكن لا من جهة أن المنافق

١-ابن منظور، مرجع سابق ، مادة نفق (٤٥٠٨) .

٢-ابن الأثير ، النهاية ، (٩٥/٥) .

٣-ابن منظور ، مرجع سابق ، مادة نفق (٤٥٠٨) .

يظهر خلاف ما يبطن ولكن من جهة أنه يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه "[1] وأكثر علماء اللغة على أنه مأخوذ من نافقاء اليربوع لا من النفق[2] .وهو الراجح لأن النفق ليس فيه إظهار شيء وإبطان شيء آخر كما هو الحال في النِّفاق . وكونه مأخوذاً من النافقاء باعتبار أن المنافق يظهر خلاف ما يضمر أقرب من كونه مأخوذاً منه باعتبار أنه يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه لأن الذي يتحقق فيه الشبه الكامل بين النافقاء والنفاق هو إظهار شيء وإخفاء شيء آخر إضافة إلى أن المنافق لم يدخل في الإسلام دخولاً حقيقياً حتى يخرج منه[3].

المطلب الثاني :النفاق شرعاً :

هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشر . سُمِّيَ بذلك لأنه يَدْخُلُ في الشرعِ من بابِ ، ويَخْرجُ مِنه من باب آخر .قال "ابن جريج" : " (المنافق يخالف قوله فعله وسره علانيته ، ومدخله مخرجه ، وشهده معينة)[4] وقال" ابن كثير" : (النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر ، وهو أنواع : اعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النار ، وعملي وهو من أكبر الذنوب)[5].

وقال شيخ الإسلام "ابن تيمية" :" النِّفاق كالكفر ولهذا كثيراً ما يقال : كفر ينقل عن الملة ، وكفر لا ينقل ، ونفاق أكبر ، ونفاق أصغر "[6] .

١-الراغب ، أبي القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان صـــ٥٥٧

٢-مقاييس اللغة ، لسان العرب ، تاج العروس .

٣-الحميدي ، الدكتور عبد العزيز عبد الله ،المنافقون في القرآن الكريم ، دار المجتمع للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م .

٤-ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ،مؤسسة قرطبة ط ١ عام ١٤٢١هـــ-٢٠٠٠م ، (٢٨٢/١).

٥-ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ،مؤسسة قرطبة ط ١ عام ١٤٢١هـــ-٢٠٠٠م ، (٢٨١/١).

٦-ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ،طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة،

وقال "الكرماني" :" إن النِّفاق علامة عدم الإيمان ، أو ليعلم منه أن بعض النِّفاق كفر دون بعض ، والنِّفاقُ لغةً مخالفةُ الباطن للظاهر ، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نِفاق لكفر وإلا فهو نِفاق العمل ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه "[1].

وخلاصة القول أن النِّفاق هو القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد أو هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه ، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعني المخصوص به ، وإن كان أصله في اللغة معروفاً . والمنافق لابد وأن تختلف سريرته وعلانيته وظاهره وباطنه ، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق ، قال تعالى:﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا يَكْذِبُونَ ﴾[2] وقال تعالى :﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ﴾[3]. وأمثال هذا كثير ، إذ أخص وأهم ما يميز المنافقين الاختلاف بين الظاهر والباطن ، وبين الدعوى والحقيقة كماقال الله تعالى :

﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ ﴾[4] قال الإمام "الطبري"– رحمه الله – : أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النِّفاق ، وأن هذه الصفة صفتهم . وقال الإمام" ابن القيم"– رحمه الله – :" في بيان مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم: الطبقة الخامسة عشر: طبقة الزنادقة وهو قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل ، وأبطنوا الكفر ومعادة الله ورسله ، وهؤلاء المنافقون ، وهم في الدرك الأسفل من النار فالكفار المجاهرون لكفرهم أخف ، وهم فوقهم في دركات النار .لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسوله ، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق

عام ١٤٢٥هـ (٥٢٤/٧)

١ –ابن حجر ، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار طيبة ،ط١ ١٤٢٦ه ، (١٦٦/١، ١٦٧).

٢ –سورة البقرة : جزء من الآية ١٠.

٣ –سورة المنافقون : الآية ١.

٤ –البقرة : جزء من الآية ٨.

وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين ولهذا قال تعالى في حقهم :﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾[1]،ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر ، أي لا عدو إلا هم ، ولكن لم يرد ها هنا حصر العداوة فيهم وأنهم لا عدو للمسلمين سواهم ، بل هذا من إثبات الأولوية والأحقية في هذا الوصف"[2].

المطلب الثالث :خلاصة القول في العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للنفاق :

إن المتتبع لأقوال أهل اللغة يجد إن القول الراجح في تعريف النِّفاق مأخوذ من نافقاء اليربوع لا من النَفق، لأن النفق ليس فيه إظهار شيء وإبطان شيء آخر كما هو الحال في النِّفاق ، وكونه مأخوذاً من النافقاء باعتبار أن المنافق يظهر خلاف ما يضمر أقربُ من كونه مأخوذاً منه باعتبار أنه يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه،لأن الذي يتحقق فيه الشبه الكامل بين النافقاء والنفاق هو إظهار شيء وإخفاء شيء وأيضاً في تعريف النفاق لغةً أنه مأخوذ من النافقاء : أحد مخارج اليربوع من جحره ، فإنه إذا طُلبَ من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه. وفي الاصطلاح هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشر . سُمِّيَ بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب ويخرج منه من باب، وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3]أي الخارجون من الشرع وجعل الله المنافقين شراً من الكافرين فقال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[4] .ومن ذلك يظهر الترابط القوي بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي والله تعالى أعلم .

---

١ –سورة المنافقون : جزء من الآية ٤ .

٢ –ابن القيم ، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، مكتبة المتنبي القاهرة ، صـــ٤٢٦.

٣ –سورة التوبة : جزء من الآية ٦٧ .

٤ –سورة النساء : الآية ١٤٥ .

المبحث الثاني : دراسة المثلين في قوله تعالى :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]

.وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : مناسبة المثالين وأسباب نزولهما وتعلقهما بما قبلهما من الآيات .

مناسبة المثالين لما قبلهما : أن الله سبحانه لما ذكر فيما قبلهما بعض أحوال المنافقين الذين يظهرون بوجهين ، ويتكلمون بلسانين ،أراد أن يضرب لهم الأمثال ؛ لأن نهج القرآن الكريم ، كنهج لغات العرب في أساليبها ، فقال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[2].

فضرب الأمثال التي تُجْلِي المعاني أتم جلاء ، وتحدث في النفوس من الأثر ، ما لا يقَدَر قَدْره و لا يُسْبر غوره ؛ لما فيها من إبراز المعقولات الخفية في معرض المحسوسات الجليِّة ، وإظهار ما ينكر في لباس ما يعرف ويشهر . وعلى هذا السنن ضرب الله سبحانه مثل المنافقين ، فمثل حالهم حينما أسلموا أولاً ، و دخل نور الإيمان في قلوبهم ، ثم دخلهم الشك فيه فكفروا به ، إذ لم يدركوا فضائله ، و لم يفقهوا محاسنه ، وصاروا لا يبصرون مسلكاً من مسالك الهداية ، و لايدركون وسيلة

---

١ –سورة البقرة : الآيات من ١٧: ٢٠ .

٢ –سورة البقرة : الآيات من ١٧: ١٨ .

من وسائل النجاة ، وقد أضاء ذلك النور قلوب من حولهم من المؤمنين المخلصين بحال جماعة أوقدوا ناراً ؛ لينتفعوا بها في جلب خير ، أو دفع ضر ، فلما أضاءت ما حولهم من الأشياء أو الأماكن جاءها عارض خفي ، أو أمر سماوي ، كمطرٍ شديدة ، أو ريحٍ عاصف ، حرفها وبدّدها فأصبحوا في ظلامٍ دامس ، لا يتسنى لهم الإبصار بحال ،ثم جعلهم مرة أخرى كالصم البكم العمي الذين فقدوا هذه المشاعر والحواس ، إذ هم حين لم ينتفعوا بآثارها فكأنَّهم فقدوها ، فما فائدة السمع إلاّ الإصاغة إلى نصح الناصح وهدي الواعظ ، و ما منفعة اللسان إلاّ الاسترشاد بالقول ، وطلب الدليل والبرهان ، لتتجلى المعقولات وتتضح المشكلات ، وما مزية البصر إلاَّ النظر والاعتبار ، لزيادة الهدى والاستبصار ، فمن لم يستعملها في شيء من ذلك فكأنه فقدها ، وأنى لمثله أن يخرج من ضلالة أو يرجع إلى هدى "[1].

وقال البقاعي – رحمه الله – :" ولما افتتح سبحانه بالذين وطأت قلوبهم ألسنتهم في الإيمان ، وثنى بالمجاهرين من الكافرين الذين طابق إعلانهم إسرارهم في الكفران ؛ أتبعه ذكرَ الساترين الذين خالفت ألسنتهم قلوبهم في الإذعان ، وهم المنافقون وأمرهم أشد لإشكال أحوالهم والتباس أقوالهم وأفعالهم ، فأضر الأعداء من يريك الصداقة فيأخذك من المأمن ، وما أحسن ما ينسب إلى الإمام أبي سليمان الخطابي في المعنى :

تحرز من الجهال جهدك أنهم وإن أظهروا فيك المودة أعداء

وإن كان فيهم من يسرك فعله فكل لذيذ الطعم أوحله داء [2]

لا جرم ثنى سبحانه بإظهار أسرارهم وهتك أستارهم في سياق شامل لقسميهم ، فقبح أمورهم ووهّى مقاصدهم وضرب لهم الأمثال "[3].

---

١ –الهرري : محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، دار طوق النجاة (١/ ١٥٩،١٦٠) .

٢ –البقاعي : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ط ١ (١/ ٩٩،١٠٠) ولم يخرجه .

٣ –المصدر السابق (١/ ٩٩،١٠٠) .

أثر المناسبة :

فيتضح مما سبق أن بيان حال المنافقين ، والتحذير منهم ، بعد بيان حال المؤمنين ، ثم الكافرين ، فيه مزيد تحذير وتنبيه من شرهم ، نظراً لخطورتهم على المجتمع ، ولو سماهم الله تعالى بالمنافقين من أول وهلة لما كان في السياق ما يدعو على التنبيه ، لكن أشار إليهم بأنهم يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر كما يقول المؤمنون ، وبالتالي يصعب على المؤمن تمييزهم ، فكان من الضروري أن يبين الله حقيقتهم في هذا الموضوع .

أما أسباب النزول :

قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1] .

هذا مثل ضربه الله للمنافق لأنه أظهر الإسلام فحقن به دمه ومشى في حرمته وضيائه ثم سلبه في الآخرة عند حاجته إليه روي معناه عن الحسن ، وهذه الأقاويل على أن ذلك نزل في المنافقين وهو مروي عن ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي ومقاتل .أخرج ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله :﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[2] .الآية قال :" إنَّ ناساً دخلوا في الإسلام عند مَقْدِم النبي – صلى الله عليه وسلم – المدينة ، ثم نافقوا ، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة، فأوقد ناراُ فأضاءت ما حوله من قذى أو أذى ، فأبصره حتى عرف ما يتقى ، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره ، فأقبل لايدري ما يتقي من أذى فكذلك المنافق ، كان في ظلمة الشرك فأسلم ، فعرف الحلال من الحرام ، والخير من الشر ، فبينما هو كذلك إذ كفر ، فصار لا يعرف الحلال من الحرام ، ولا الخير من الشر، وأمَّا النور،فالإيمان بما جاء به محمد – صلى الله عليه

---

١ –سورة البقرة : الآية : ١٧– ١٨ .

٢ –سورة البقرة : الآية : ١٧.

وسلم – وكانت الظلمة نفاقهم"[1] .وأخرج ابن جرير أيضا عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[2] ." ضربه الله مثلاً للمنافق . قوله:

﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾[3]. قال : أما النور ، فهو إيمانهم الذي يتكلمون به ، وأما الظلمة ، فهي ضلالتهم وكفرهم يتكلمون به ، وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم ، فعتوا بعد ذلك"[4].

وأخرج ابن جرير أيضاً عن قتادة في قوله تعالى :﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[5] .

"وأن المنافق تكلم بلا إله إلا الله ، فأضاءت له في الدنيا ، فناكح بها المسلمين وغازى بها المسلمين ووارث بها المسلمين ، وحقن بها دمه وماله فلما كان عند الموت سُلبها المنافق ، لأنه لم يكن لها أصل في قلبه و لا حقيق في علمه"[6] . وأخرج ابن جرير أيضاً عن الربيع بن أنس قال : " ضرب مثل أهل النفاق فقال تعالى :﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[7]. قال :"إنما ضوء النار ونورها ما أوقدتها ، فإذا خمدت ذهب نورها . كذلك المنافق ، كلما تكلم بكلمة الإخلاص أضاء له ، فإذا شك وقع في الظلمة . وأيضاً روى ابن جرير عن عبد الرحمن بن زيد في قوله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[8] . إلى آخر الآية ، قال "هذه صفة المنافقين. كانوا قد آمنوا حتى أضاء

---

١ –الطبري : مرجع سابق (١/٣٢٢).

٢ –سورة البقرة آية : ١٧ – ١٨.

٣ –سورة البقرة جزء من آية : ١٧.

٤ –الطبري : ابن جرير ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، دار هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ ، (١/ ٣٢٢).

٥ –سورة البقرة جزء من آية :١٧.

٦ –الطبري : مرجع سابق(١/ ٣٢٢– ٣٢٣).

٧ –سورة البقرة: الآية : ١٧.

٨ –سورة البقرة: الآية : ١٧.

الإيمان في قلوبهم ، كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ، ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه ، كما ذهب بضوء هذه النار ، فتركهم في ظلمات لا يبصرون "[1].

أما سبب نزول قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[2] .قال السيوطي : في قوله تعالى:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾الآية " كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المشركين ، فأصابهم هذا المطرُ الذي ذكر الله ، فيه رعْد شديدٌ وصواعق وبرقٌ ، فجعلا كلما أصابهما الصواعق يجعلان أصابعهما في آذانهما من الفرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما ، وإذا لمع البرق مشياً في ضوئه ، وإذا لم يلمع لم يبصرا قاما مكانهما لا يمشيان ، فجعلا يقولان : ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمداً فنضع أيدينا في يده فأصبحا فأتياه ، فأسلما ووضعا أيديهما في يده ، وحسن إسلامهما ، فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة "[3] .

قال أبوحيان " ضرب الصيب مثل لما أظهر المنافقون من الإيمان ، والظلمات بضلالهم وكفرهم الذي أبطنوه وما فيه من البرق بما علاهم من خير الإسلام وعلتهم من بركته واهتدائهم به إلى منافعهم الدنيوية وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وما فيه من الصواعق بما اقتضاه نفاقهم ، وما هم صائرون إليه من الهلاك الدنيوي والأخروي"[4] .

ومن أقوال أهل العلم وعلماء التفسير المتقدمين يتبن لنا أن أسباب نزول الآيات وما سبقها من الآيات اعتباراً من الآية الثامنة وحتى نهاية الآية العشرون نزلت لتُبيِّن وتفضح أحوال المنافقين

---

١ –الطبري مرجع سابق (١/ ٣٢٤) .

٢ –سورة البقرة :الآيتان ١٩ –٢٠ .

٣ –الدُر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي (١/ ١٧١، ١٧٢).

٤ –البحر المحيط (١/ ٢٢٤) .

وصفاتهم

تعلق آيات المثلين بما قبلهما :

فنجد أن في سورة البقرة نفى الحق سبحانه عن الكتاب الذي أنزله على عبده الريب من جميع الأحوال، نظماً وأسلوباً ، وهداية ومنهجاً ثم ذكر الحق جل شأنه موقف الناس منه ، ومدى انتفاعهم بهدايته ، ومقدار إجابتهم لدعوته فقسمهم إلى ثلاث طوائف : طائفة تؤمن به ، وأخرى كافرة ، وثالثة مترددة حائرة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

وبدأ بذكر أوصاف الطائفة الأولى ، وبيان حقيقتهم وما يؤل إليه أمرهم في الآخرة ، لأن الحديث عنهم يعد تتمة للحديث عن القرآن نفسه ، إذ هو (هدى للمتقين) الموصوفين بالأوصاف المذكورة في الآية الثالثة ، والرابعة ، والخامسة .

ثم انتقل الحق جل شأنه إلى الطائفة الكافرة المجاهرة بالكفر والعناد ، فبين ما انطوت عليه نفوسهم من صلف وغرور ، وإصرار على التحدي والمكابرة ، وعدم الاستجابة إلى الهدى الذي جاءهم به الرسول – صلى الله عليه وسلم – من ربه ، فهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ، حتى يروا العذاب الأليم ، فقلوبهم مطبوعة على الكفر مغلقة أمام كل دعوة إلى الحق ، وأسماعهم موصدة عن سماع النصح والإرشاد ، وعلى أبصارهم غشاوة حالت بينهم وبين النظر في آيات الله الكونية الدالة على وحدانية الله وقدرته وربوبيته .

ثم انتقل الحديث إلى بيان أوصاف الطائفة الثالثة ، وكشف ألاعيبهم ، واستخفافهم بالإسلام والمسلمين ، فقال جل شأنه :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ

شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[1].ولما كان أمر هذه الطائفة الثالثة يدعو إلى الغرابة ، والعجب لشذوذه ، وغموضه ، ضرب الله جل جلاله لبيان شأنهم هذين المثلين ، وهما في بيان موقف المنافقين جميعاً على السواء من قضية الإيمان كما قال بعض المفسرين ، وعلى ذلك يكون المثل الثاني توكيداً للأول ومن باب التفنن في التصوير ، والتنوع في الأساليب البيانية ، مبالغة في التحدي ، وإمعاناً في الإعجاز .

المطلب الثاني :تفسير المثلين وبيان أقوال أهل العلم فيهما:

جاء في تفسير قوله تعالى :﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[2] .

قال العلامة الشيخ أحمد شاكر – رحمه الله – " وتقرير هذا المثل : أن الله ،سبحانه ، شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى ، وحيرورتهم بعد التبصرة إلى العمى ، بمن استوقد ناراً ، فلما أضاءت ماحوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله ، وتأنس بها فبينا هو كذلك إذا طفئت ناره ، وصار في ظلمة شديدة لايبصر ولا يهتدي ، وهو مع ذلك أصم لا يسمع ، أبكم لا ينطق ، أعمى لو كان ضياء لما أبصر ؛ فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك ، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى ، واستحبابهم الغي على الرشد ، وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا ، كما أخبر عنهم تعالى في غير هذا الموضع والله أعلم "[3] .

وقال ابن القيم – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية : " هذا ما وقع في القرآن من الأمثال

---

١ –سورة البقرة : الآيات من ٨ – ١٦ .

٢ –سورة البقرة : الآيات من ١٧ – ١٨ .

٣ –شاكر . العلامة المحقق الشيخ أحمد شاكر ، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ، دار الوفاء ، (١/ ٨٧،٨٨) .

التي لا يعقلها إلا العالمون فإنها تشبيه شيء في حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس ، أو أحد المحسوسين من الآخر ، واعتبار أحدهما بالآخر ، فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين : مثلاً نارياً ومثلاً مائياً ، لما في النار والماء من الإضاءة والإشراق والحياة ، فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزله من السماء متضمناً لحياة القلوب واستنارتها ، ولهذا سماه روحاً ونوراً ، وجعل قابليه أحياء في النور ، ومن لم يرفع به رأساً أمواتاً في الظلمات .

وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي ، وأنهم بمنزلة من استوقد ناراً لتضيء له وينتفع بها ، وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام فاستضاءوا به ، وانتفعوا به ، وآمنوا به ، وخالطوا المسلمين ، ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام ؛ طفئ عليهم وذهب الله بنورهم ولم يقل : بنارهم ، فإن النار فيها الإضاءة والإحراق ،فذهب الله بما فيها من الإضاءة ، وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق ، وتركهم في ظلمات لا يبصرون .

فهذا حال من أبصر ثم عمى ، وعرف ثم أنكر ، ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه فهو لا يرجع إليه، ولهذا قال : {فهم لا يرجعون }[1] .

وجاء في التفسير الموضوعي لسور القرآن " فالمثل الأول للكفار وهو يشبه حالهم بحال رجل استوقد النار للقافلة التي كانت في تيه الظلمة ، فلما أضاءت النار ما حوله من الأماكن وتمكنوا من الانتفاع بضوئها ولم ينتفعوا بدعوته لهذا النور ، وظلوا في دياجير الظلام لا يبصرون من نور الحق شيئاً ؛ فالنور نور الإيمان ، قال تعالى :﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٢﴾ ﴾[2]، وذهاب النور يكون في الدنيا بالعمى والجهل والتخبط في أودية الضلال . وإنما قال ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ﴾للدلالة على

---

١ – ابن القيم ، العلامة ابن القيم الجوزية ، بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن القيم ، دار الجوزي (١/ ٩٨ ، ٩٩)

٢ – سورة الزمر : الآية ٢٢ .

أنه سبحانه كان معهم بمعونته وتوفيقه عندما استوقدت لهم النار فأضاءت ، فلما أعرضوا عن النور غرقوا في ظلمات بعضها فوق بعض ، وأمثال هؤلاء لا يرجى لهم اهتداء ابتداءً ؛ لأنهم سدوا على أنفسهم مفاتيح الخير ، قال تعالى :﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾فهم لا يسمعون الوعظ و لا يطلبون بياناً و لا يبصرون فيعتبروا أو يترجروا .فقد فقدوا كل وسائل التعقل ؛ ولذلك فإنهم لا يرجعون عن الجهالة و لا يهتدون من الضلالة ، فكيف لتائه ضل الطريق عامداً وهو لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا ينطق كيف له أن يرجع "[1].

وهذه بعض آثار السلف التي ذكرها ابن جرير – رحمه الله تعالى – في تأويل هذا المثال فمنها :

ما رواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس ، قال : ضرب الله للمنافقين مثلاً فقال : ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾. أي يبصرون الحق ويقولون به ، حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر ، أطفئوه بكفرهم به ونفاقهم فيه ، فتركهم في ظلمات الكفر ، فهم لا يبصرون هدى و لا يستقيمون على حق وأيضاً روى ابن جرير عن قتادة في تفسير المثل قال : " وهي لا إله إلا الله ، أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وآمنوا في الدنيا ونكحوا النساء وحقنوا دماءهم ، حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، وروى ابن جرير ذلك عن جمع من الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وابن مسعود وقتادة ، ومزاحم ، ومجاهد والربيع بن أنس ، وعبد الرحمن بن زيد . والمعنى كله يدور حول أن الله جل ثناؤه إنما ضرب هذا المثل للمنافقين الذين وصف صفتهم وقص قصصهم "[2] .

أما أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى :﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ

---

١ – نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، طبعة كلية الدراسات العلمية والبحث العلمي ، جامعة الشارقة ، طبعة ١٤٣٠ (١/ ٥٠، ٥١) .

٢ – ابن جرير ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، دار هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ ، بتصريف (١/ من ٣٢٢ إلى ٣٤٢) .

أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[1].يقول ابن كثير – رحمه الله تعالى – " وهذا مثل آخر ضربه الله – تعالى – لضرب آخر من المنافقين ، وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ، ويشكون تارة أخرى ، فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم (كصيب) والصيب : المطر ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وناس من الصحابة ، وأبو العالية ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير وعطاء ، والحسن البصري ، وقتادة وعطية العوفي الخراساني ، والسدي ، والربيع بن أنس .

وقال الضحاك : هو السحاب والأشهر هو المطر نزل من السماء ، في حال ظلمات ،وهي الشكوك ، والكفر ، والنفاق و (رعد) وهو ما يزعج القلوب من الخوف ، فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفزع ، كما قال تعالى : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾[2]وقال تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[3].و(رعد) وهو ما يزعج القلوب من الخوف ، فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفزع "[4] .

وقال – رحمه الله – البرق : هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان ، من نور الإيمان ولهذا قال تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾أي : و لا يجدي عنهم حذرهم شيئاً ؛ لأن الله محيط بهم بقدرته وهم تحت مشيئته وإرادته ، كما قال :﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾

---

١ – سورة البقرة الآيتين : ١٩ ، ٢٠.

٢ – سورة المنافقون آية: ٤.

٣ – سورة التوبة آية : ٥٦.

٤ – ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، مؤسسة قرطبة (١/ ٣٠٠، ٣٠١) .

﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] بهم . ثم قال:﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾[2]

(أي لشدته) وقوته في نفسه ، وضعف بصائرهم ، وعدم ثباتها للإيمان ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾،يقول : يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين وقال ابن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس :

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾أي : كلما ظهر لهم الشكوك أظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين . وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس :﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ﴾،يقول: كلما أصاب المنافقين من عز الإسلام اطمأنوا إليه وإذا أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر ، كقوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ ﴾[3]،وقال محمد بن إسحاق عن محمد (بن أبي محمد) عن عكرمة أو سعيد (بن جبير) عن ابن عباس:

﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ ﴾،أي: يعرفون الحق ويتكلمون به ، فهم في قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر (قاموا) أي : متحيرين . وهكذا قال أبو العالية والحسن البصري وقتادة (والربيع بن أنس) والسدي بسنده عن الصحابة، وهو أصح وأظهر والله أعلم " [4].

ويقول ابن كثير – رحمه الله – وذهب ابن جرير ومن تبعه من المفسرين إلى أنَّ هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين،وتكون " أو " في قوله تعالى﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾

---

١ – سورة البروج الآيات : ١٧ : ٢٠ .

٢ – سورة البقرة الآية : ٢٠ .

٣ – سورة الحج الآية : ١١ .

٤ – ابن كثير ، مرجع سابق تفسير (١/ ٣٠١ ، ٣٠٢) .

بمعنى الواو كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ ﴾[1]،أو تكون للتخيير ، أي : اضرب لهم مثلاً بهذا أو إن شئت بهذا .

قال "القرطبي" : " "أو " للتساوي ، مثل جالس الحسن أو ابن سيرين ، على ما وجهه الزمخشري أن كلاً منهما مساوي للآخر في إباحة الجلوس إليه ، ويكون معناه على قوله : سواء ضربت لهم مثلاً بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم . وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين ؛ فإنهم أصناف ، ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله تعالى في سورة براءة ، ومنهم ، ومنهم ، ومنهم ، يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يعتمدونه من الأفعال ، والأقوال ، فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم ، والله أعلم " [2].

وقال "ابن القيم"– رحمه الله تعالى – : " وشبه نصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد وبرق ، و لا نصيب له فيما وراء ذلك ، مما هو المقصود بالصيب ، من حياة البلاد والعباد ، والشجر ، والدواب ، فإن تلك الظلمات التي فيه ، وذلك الرعد والبرق مقصود لغيره ، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب ، فالجاهل لفرط جهله يقتصر على الإحساس بما في الصيب من ظلمة ورعد وبرق ولوازم ذلك : من برد شديد وتعطيل مسافر عن سفره ، وصانع عن صنعته ، و لا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيب من الحياة والنفع العام "[3].

المطلب الثالث : نوعا المثلين والغرض الذي من أجله ضرب المثلين :

أما عن نوعي المثلين: فيقول الدكتور "محمد بكر إسماعيل"– رحمه الله – " والمثل الأول والثاني من قبيل التشبيه التمثيلي وهو الذي يكون وجه الشبه فيه منتزعاً من عدة أوصاف تمثيل صورة

---

١ – سورة الإنسان الآية : ٢٤ .

٢ – ابن كثير ، مرجع سابق التفسير (١/ ٣٠٦) .

٣ – ابن القيم ، مرجع سابق بدائع التفسير (١/ ٣٠٦) .

كلية لا يمكن انفكاكها تجد فيها الصوت واللون والحركة ففي المثل الأول يشبه الله – تعالى – حال من كفر به سراً وعلانية بحال قوم أوقد لهم رجلٌ منهم ناراً ينتفعون بها ويسيرون على ضوئها فلما أضاءت النار ما حوله ، لم يفتح بعض القوم أعينهم لهذا الضوء الباهر ، بل الأمر ما سلبوا نور أبصارهم ، وتعطلت حواسهم عند هذه المفاجأة ، فذلك مثل النور الذي طلع به محمد – صلى الله عليه وسلم – في تلك الأمة الأمية ، على فترة من الرسل فتفتحت له البصائر المستنيرة هنا وهناك ، بيد أن بعض من كتب الله عليهم الشقاء في الدنيا والآخرة ، وطمست بصائرهم وعميت عن الحق قلوبهم ، لم يلقوا بهذا الضياء بالاً ، ولم يفتحوا أعينهم إليه ، فأخذوا يتخبطون في الظلمات لا يبصرون ما يحدق بهم من الخطر"[1] .

أما نوع هذا التشبيه فهو تمثيلي ليس ذلك لمجرد تصريحه بلفظ المثل في أول الآية وإنما لأننا نلاحظ ما في السياق من تشبيه صورة بصورة أو مجموعة أشياء يقابلها مجموعة أخرى و لايصح تجزئة عناصر كل صورة وتشبيهها بما يقابلها . كذلك نلاحظ أن وجه الشبه أيضاً قد جاء هيئة حاصلة من عدة أمور ، أما إذا أحببنا أن نجري التشبيه ونوضح هذين الطرفين المركبين وهيئة وجه الشبه والأداة لادركناها جميعاً. وبهذا يمكننا أن نقول في إجراء التشبيه : شُبِّهت حال المنافقين في ترددهم وحيرتهم وضياعهم وشدة الأمر عليهم بحال من انطفأت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل وكذلك شبه بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة فيها رعد قاصف وبرق خاطف وخوف شديد من الصواعق .

أما وجه الشبه فهو :الهيئة الحاصلة من عدة أمور مجتمعة يتبعها حيرة وضياع وتخبط وندم في ظلمة حالكة .

وهكذا نلاحظ أنه لا يصحُّ تجزئه تلك الصورة والهيئات إلى أجزاء متعددة بحيث كل منها له ما يشبهه لأننا إن فعلنا ذلك أفقدنا الصورة جمالها وحيويتها التي جاءت عليها .

---

١ – إسماعيل ، د. محمد بكر ، الأمثال القرآنية دراسة تحليلة ، صـــــــ٧٠ ، ٧١ .

قال "الزمخشري" : أن المثلين جميعاً من جهة التمثيلات المتركبة ، دون المفرقة ، لا يتكلف لواحد واحد شيء بقدر شبهه فيه وهذا القول الفحل ، والمذهب الجزل ، بيانه : أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض ، لم يأخذ هذا بحجزة ذاك . فتشبهها بنظائره ، كما جاء في القرآن حيث شبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامنت و تلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها .

الغرض الذي من أجله ضرب المثلين :

لقد تقدم معنا في التمهيد أن هناك أغراض متعددة لضرب الأمثال في القرآن الكريم وقد تتعدد الأغراض في المثل الواحد كما نجد في هذين المثلين أنه تعددت الأغراض، فمن هذه الأغراض في هذين المثلين ضرب المثل لتقريب المعنى للمخاطب فقد جاء المثلين بشكل ملموس ومحسوس للمخاطبين ، وهو أهم الأغراض التربوية على الإطلاق في القرآن ، فقد جاء المثلين كأسلوب لتقريب المعاني الغامضة وتصوير ما هو معقول ليصير محسوساً في متناول إدراك كل إنسان إمعاناً في إقامة الحجة على العباد والبرهنة على صحة الدين ، وتذليلاً لطريق التوحيد والعبودية للعباد .

ونجد أن هذين المثلين من أبواب التشبيه ، وهي صورة بيانية تتضح منها الحقائق الظاهرة، والمعاني الغامضة ، كأنها أمور محسوسة مرئية وهو إخراج ما لاتقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة سواء ذلك بالمثل النار من النار، والنور، والظلمات، أو المثل المائي من الصيب وكذا الخوف من البرق والرعد، ووضع الأيدي في الأذان وغيرها من الصور المحسوسة، وقد تنبه علماء التربية المسلمون إلى هذا الغرض التربوي فبينوه في دراساتهم ، فنجد مثلاً الأستاذ "سعيد إسماعيل على" في دراسته عن الأصول الإسلامية للتربية ، يقول : إن القرآن يستخدم التشبيه والتمثيل كي يقرب المعاني ، ويشير إلى أمور حسية لشرح أفكار مجردة ، فالقرآن لا يخاطب فئة المثقفين بلغته الأدبية ؛ التصوير هو الأداة المفضلة في الأسلوب القرآني ، فهو يعبر بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة

البشرية .

وأيضاً من الأغراض الرئيسة لهذين المثلين شحذ ذهن المخاطب ، وتحريك طاقاته الفكرية أو استرضاء ذكائه ، لتوجيه عِنايته ، حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكر . والأمثال التي يدفع إليها هذا الغرض يخاطب بها الأذكياء ، وأهل التأمل والنظر والبحث العلمي ، وكبراء القوم .

يقول الميداني :" لكن كلمات المثل في القرآن اقتصرت من الممثل به على عبارة :﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾،ووقف النص هنا في إيجاز بديع ، وترك لذكاء المتدبر الحصيف أن يملأ بقايا هذا اللقطة من الممثل به"[1] .

ويقول أيضاً " لكن هذا الذي استوقد النار اتخذ وسائل ليتخلص من ضوئها الذي كشف له ما حوله فدله على خلاف ما يهوى ، إما بعصب عينه ، وإما بإطفاء النار ، وإما بالفرار من موقفها إلى موقع آخر . إن تحديد وسيلة التخلص من ضوء النار لا تتعلق به أهمية حتى تذكر والتعميم أولى ليشمل كل الصور .كل هذا يدركه الفكر الذكي المتدبر اللماح من دون أن يذكر في العبارة "[2].

المطلب الرابع : الفوائد البلاغية والتربوية والإيمانية للمثلين :

أولاً : يقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله تعالى – " من فوائد الآيتين بلاغية القرآن ، حيث يضرب للمعقولات أمثالاً محسوسات ، لأن الشيء المحسوس أقرب إلى الفهم من الشيء المعقول حتى يدركها الإنسان جيداً ، كما قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[3][4].

---

١ – الميداني ، مرجع سابق أمثال القرآن صـــــــ ٣٥٣.

٢ – الميداني ، المرجع السابق صـــــــ٣٥٤ .

٣ – سورة العنكبوت الآية :٤٣ .

٤ – ابن عثمين ، محمد بن صالح العثيمين ، تفسير القرآن الكريم ، دار ابن الجوزي (١/٦٤، ٦٥) .

ثانياً :ومنها :" ثبوت القياس ، وأنه دليل يؤخذ به ؛ لأن الله أراد منا أن نقيس حالهم على حال من يستوقد ؛ وكل مثل في القرآن فهو دليل على ثبوت القياس " [١].

ثالثاً: وتأمل قوله : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾، ولم يقل : بنارهم ، ليطابق أول الآية ؛ فإن النار فيها إشراق وإحراق ؛ فذهب بما فيها من الإشراق – وهو النور – وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق ، وهو النارية . تأمل كيف قال ﴿ بِنُورِهِمْ ﴾ولم يقل :بضوئهم ، مع قوله : ﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾. لأن الضوء هو زيادة في النور . فلو قال : ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل ، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهاباً بالشيء وزيادته ".[٢]

رابعاً : قال بعض أهل العلم : " أفرد النور ؛ لكون الحق واحد وهو صراط الله المستقيم ، وجمعت الظلمات ؛ لأن طرق الباطل متعددة ، ويؤيد ذلك قوله تعالى :﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾[٣][٤] .

خامساً : التشبيه التمثيلي في قوله :﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾.وكذلك في قوله :﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾.والتشبيه التمثيلي : هو أن يكون وجه الشبه منتزعاً من أمور متعددة ، فقد شبه في المثال الأول المنافق بالمستوقد للنار ، وإظهاره الإيمان بالإضاءة ، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وفي المثال الثاني شبه الإسلام بالمطر ؛ لأن القلوب تحيا به ، كحياة الأرض بالمطر ، وشبه شبهات الكفار بالظلمات ، وما في القرآن من الوعد والوعيد ، بالرعد والبرق ، وما يصيب الكفرة من الفتن ، والبلايا بالصواعق " [٥].

---

١ – ابن عثيمين ،المرجع السابق ، (١/ ٦٤) .

٢ – ابن القيم ، مرجع سابق (٩٩/١) .

٣ – سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

٤ – العدوي ، أبي عبد الله مصطفى ، التسهيل لتأويل التنزيل ، مكتبة الهدى ، طبعة أولى ١٤١٦، (١/ ٢٢٣) .

٥ – الهرري ، محمد الأمين ، مرجع سابق (١/ ٢١٩ ، ٢٢٠) .

سادساً : المخالفة بين الضميرين ، فقد وجد الضمير في قوله ﴿ ٱسْتَوْقَدَ ﴾وفي قوله : ﴿ مَا حَوْلَهُۥ ﴾نظراً إلى جانب اللفظ ؛ لأن المنافقين كلهم على قول واحد وفعل واحد ، وجمع في قوله :﴿ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ ﴾رعاية للمعنى لكون المقام مقام تقبيح أحوالهم ، وبيان صفاتهم وضلالهم ، فإثبات الحكم لكل فرد منهم واقع "[1].

سابعاً: تعريف السماء في قوله :﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾،للإيذان بأن انبعاث الصيب ليس من أفق واحد ، فإن كل أفق من آفاقها سماء على حده ، والمعنى أنه نازل من غمام مطبق ، آخذ بأفاق السماء كلها .

ثامناً : التعبير بالأصابع دون الأنامل في قوله: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ ﴾إشارة إلى أنهم لشدة حيرتهم ودهشتهم ، يدخلون أصابعهم كلها في أذانهم لا أناملهم فقط كما هو المعتاد .

تاسعاً : الإظهار في موضع الإضمار في قوله: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾حيث لم يقل : والله محيط بهم بالضمير الراجع إلى أصحاب الصيب ؛ إيذاناً بأن مادهمهم من الأمور الهائلة المحكية بسبب كفرهم.

عاشراً :إيثار المشي في قوله: ﴿ مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾على ما فوقه من السعي والعدو للإشعار بعدم استطاعتهم لهما لكمال دهشتهم وحيرتهم .

حادي عشر: ما في المثلين من شد انتباه السامع إلى المتكلم ، وحمله على التفاعل مع الموضوع المثار، وهذا أول ما ينبغي أن يحرص عليه المتكلم ، أن يشد انتباه السامعين ، ويثير اهتمامهم بما يقول ، ويجذب أنظارهم إلى حديثه ..

ثان عشر : التلوين في أسلوب المتكلم ، مما يدفع الملل والسآمة عن السامعين ويجعلهم في نشاط متجدد ، لاستيعاب الفكرة ، وفهم أبعادها ، وإدراك آثارها ..

---

١ – الهرري ، محمد الأمين ، مرجع سابق (١/ ٢٢) .

ونجد أن المثلين محل الدراسة جمعا لنا هذين الأثرين الظاهرين ، فقد جاء في وصف المنافقين في مقدمات سورة البقرة ، فقد عدد الله تعالى صفاتهم ، في تسع آيات ، تفضح طويتهم ، وتكشف عن زيفهم ، وتناقش فساد مواقفهم وقررت الآيات حقائق عنهم ، وحاورتهم وردت عليهم ، ثم ضرب الله لنا مثلين عنهم ،يجمعان ما تقرر من حقائق ، ويصفان حالتهم النفسية ، وما يعانونه من عذاب نفسي مرير ، وصراع داخلي عميق ، يكاد يفجر قلوبهم ، ويفصم شخصيتهم ، ويمزق كيانهم ، ولعذاب الآخرة أكبر ....

فاقرأ هذه الآيات بتدبر ، وانظر إلى الأثرين السالفين ، البارزين الجليين من عرض المثلين عن المنافقين في نهاية الحديث عن صفاتهم ، فكأن الحوار العقلي بلغ غايته ، وكأن السامع يخشى عليه ألا يبقى مشدوداً كما كان أول عهده بالفكرة ، فجاءت الأمثال لتشد انتباهه من جديد ، ولتعطى تلويناً في الأسلوب القرآني ، يختتم به الحديث ، كأحسن ما ابتدأ .

ثالث عشر: التأثير الوجداني في السامع لغرس القناعة العقلية . لقد كانت وظيفة القرآن الكريم أن ينشئ العقيدة الخالصة ، وموطن العقيدة هو الضمير والوجدان ، وأقرب الطرق إلى الضمير هو البداهة ، وأقرب الطرق إلى الوجدان هو الحس ..... وما الذهن في هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ، و لا أصدقها ، و لا أقربها طريقاً .

وبعض الناس يكبرون من قيمة هذا الذهن في هذه الأيام ، بعد ما فتن الناس بآثار الذهن في المخترعات والمصنوعات والكشوف ، وبعض البسطاء من أهل الدين تبهره هذه الفتنة ؛ فيؤمن بها ، ويحاول أن يدعم الدين بتطبيق نظرياته على قواعد المنطق الذهني ، أو التجريب العلمي .....

إن العقل الإنساني ما هو إلا كوة واحدة من كوى النفس الكثيرة ، ولن يغلق إنسان على نفسه هذه المنافذ إلا وفي نفسه ضيق ، وفي قواه انحسار ، لا يصلح بهما للحكم في هذه الشؤون الكبار فلندع الذهن يدبر أمر الحياة اليومية الواقعة ، أو يتناول من المسائل ما هو بسبب من هذه الحياة ، فأما العقيدة ، فهي من أفقها العالي هناك ، لا يرقى إليه ، إلا من يسلك سبيل البداهة ، ويهتدي بهدي البصيرة ، ويفتح حسه وقلبه ، لتلقى الأصداء والأضواء .

رابع عشر : إن هذين المثلين يعرضان بإشارات سريعة مواطن التأثير الوجداني والنفسي في هذين المثلين، ودورهما في فضح مواقف المنافقين والتنفير من فساد طويتهم وسلوكهم فنلاحظ في هذين المثلين ما يلي :

-أثر المقابلة بين : ﴿ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾وبين ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾وبين ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾.

-ذكر الصمم والبكم والعمى ، ومناسبة ذكر العمى خاصة لفقد النور .

-ذكر الظلمات في الصيب ، وكذلك الرعد والبرق ، وأثر ذلك على النفسي ، إذ إنها أمور مخوفة مرهوبة ...

-صورة جعلهم أصابعهم في آذانهم من الصواعق ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾والأثر النفسي لخوف الموت في النفس البشرية ، كل نفس عموماً .

-المقابلة بين : ﴿ أَضَآءَ لَهُم ﴾وبين ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾.

-الأثر النفسي بالخوف من ذهاب الله بالسمع والأبصار ...وبعد استعراض هذه النقاط التفصيلية عن هذين المثلين ، نلاحظ أنها كلها يجمعها تأثير وجداني عميق ، وأنها ذات أثر نفسي فعال، لما أنها تعرض صوراً تنفر منها النفس البشرية ، وتحذر الوقوع فيها ، هي مثال ما عليه المنافقون ، وما تنطوى عليه سرائرهم من فساد عميق ، وخبث مستعص ، وسلوك متخبط حيران "[1].

خامس عشر: أنَّ هؤلاء المنافقين ليس في قلوبهم نور؛ لقوله تعالى ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾فهؤلاء المنافقون يستطعمون الهدى ، والعلم ، والنور ، فإذا وصل إلى قلوبهم بمجرد ما يصل إليها يتضاءل ، ويزول ؛ لأن هؤلاء المنافقين إخوان للمؤمنين من حيث النسب وأعمام ، وأخوال ، وأقارب ، فربما يجلس إلى المؤمن حقاً ، فيتكلم له بإيمان حقيقي ، ويدعوه ، فينقدح في قلبه هذا

---

١ - البيانوني ، عبد المجيد البيانوني ، ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره ، دار القلم ، الطبعة الأولى ١٤١١ صـــــ ٨٥، ٨٦ .

الإيمان ، ولكن سرعان ما يزول "[1].

سادس عشر: يقول الشيخ "ابن عثيمين"– رحمه الله – ومن فوائد الآيتين : أن الإيمان نور له تأثير حتى في قلب المنافق ، لقوله تعالى :﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾الإيمان أضاء بعض الشيء في قلوبهم ؛ ولكن لما لم يكن على أسس لم يستقر ؛ ولهذا قال تعالى في سورة المنافقين وهي أوسع ما تحدث الله به عن المنافقين : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[2]

سابع عشر: "قال ابن القيم"– رحمه الله – "وقد اشتمل هذان المثلان على حكم عظيمة منها : أن المستضيء بالنار مستضيء بنور من جهة غيره لا من قبل نفسه ، فإذا ذهبت تلك النار بقى في ظلمة ، وهكذا المنافق لما أقر بلسانه من غير اعتقاد ومحبة بقلبه وتصديق جازم كان ما معه من النور كالمستعار"[3].

ثامن عشر: ومنها : أن ضياء النار يحتاج دوامه إلى مادة تحمله ، وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان . فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح ، يقوم بها ويدوم بدوامها . فإذا لم توجد مادة الإيمان طفئ كما تطفأ النار بفراغ مادتها .

تاسع عشر: ومنها : أن الظلمة نوعان ، ظلمة مستمرة لم يتقدمها نور ، وظلمة حادثة بعد النور ، وهي أشد الظلمتين وأشقهما على من كانت حظه . فظلمة المنافق ظلمة بعد إضاءة ، فمثلت حاله بحال المستوقد للنار ، الذي حصل في الظلمة بعد الضوء ، وأما الكافر فهو في الظلمات لم يخرج منها قط "[4].

عشرون: ومنها يقول"أبو حبان" " أن مستوقد النار يدفع بها الأذى فإذا انطفأت عنه وصل الأذى

---

١ – ابن عثيمين ، مرجع سابق (١ / ٦٤) .

٢ – سورة المنافقون : آية ٣ .

٣ – ابن القيم ، مرجع سابق ، التفسير القيم صـــــــــــــــــــ١١٥، ١١٦ بتصرف. .

٤ – ابن القيم ، مرجع سابق ، بدائع التفسير (١/ ١٠٢) .

إليه كذلك المنافق يحقن دمه بالإسلام ويبيحه بالكفر "[1] .

واحد وعشرون :ومنها أن في هذا المثل إيذاناً وتنبيهاً على حالهم في الآخرة ، وأنهم يعطون نوراً ظاهراً، كما كان نورهم في الدنيا ظاهراً . ثم يطفأ ذلك أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة باقية تحمله ، وبقوا في الظلمة على الجسر ، لا يستطيعون العبور ، فإنه لا يمكن لأحدٍ عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر.فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع، والعمل الصالح ، وإلا ذهب الله تعالى به أحوج ما كان إليه صاحبه.فطابق مثلهم في الدنيا بحالتهم التي هم عليها في هذه الدار، وبحالتهم يوم القيامة عندما يقسم النور .ومن ها هنا يعلم السر في قوله تعالى :﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾[2] ولم يقل : أذهب الله نورهم .

ولم يقل : ذهب نورهم ، وفيه سر بديع وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله تعالى ، فإن الله تعالى مع المؤمنين و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[3] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[4]،فذهاب الله بذلك النور هو انقطاع المعية التي خص بها أولياءه فقطعها بينه وبين المنافقين ، فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم و لامعهم ، فليس لهم نصيب من قوله تعالى:

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[5] ولا من قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[6] والله تعالى أعلم.

ثامناً : ومنها : ما قاله ابن القيم " أنّ المثل الأول متضمن لحصول الظلمة ، التي هي الضلال

---

١ – ابن حيان ،محمد بن يوسف الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، دار الكتب العلمية بيروت (١/ ٢٠٩) .

٢ – ابن القيم ، مرجع سابق ، بدائع التفسير (١/ ١٠٣) .

٣ – سورة البقرة : الآية ١٥٣.

٤ – سورة النحل: الآية ١٢٨.

٥ – سورة التوبة: الآية ٤٠.

٦ – سورة الشعراء: الآية ٦٢.

والحيرة التي ضدها الهدى ، والمثل الثاني : متضمن لحصول الخوف الذي ضده الأمن . فلا أمن و لا هدى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1]قال "ابن عباس" وغيره من السلف : مثل هؤلاء في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستضاء ورأى ما حوله . فاتقى ما يخاف ، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره ، فبقى في ظلمته خائفاً متحيراً. كذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم ، وناكحوا المؤمنين ووارثوهم ، وقاسموهم الغنائم ، ذلك نورهم ؛ فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف "[2] .

اثنين وعشرون : قال الشيخ "ابن عثيمين"– رحمه الله – " ومن فوائد الآيتين : تخلي الله عن المنافقين ، لقوله تعالى : ﴿ وَتَرَكَهُمۡ ﴾ويتفرع على ذلك : أن من تخلى الله عنه فهو هالك . ليس عنده نور ، و لا هدى ، و لا صلاح ؛ لقوله تعالى ﴿ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾[3].

ثلاثة وعشرون:وقال الشيخ "ابن عثيمين"– رحمه الله – أيضاً : " ومن فوائد الآيتين : أن هؤلاء المنافقين أصم الله تعالى آذانهم فلا يسمعون الحق،ولو سمعوا ما انتفعوا ، ويجوز أن يُنفى الشيء لانتفاء الانتفاع به، كما في قوله تعالى :﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾[4].

﴾[4]. ومنها أن هؤلاء المنافقين لا ينطقون الحق . كالأبكم . ومنها أنهم لا يبصرون الحق كالأعمى . ومنها أنهم لا يرجعون عن غيهم ؛ لأنهم يعتقدون أنهم محسنون ، وأنهم صاروا أصحاباً للمؤمنين ، وأصحاباً للكافرين : هم أصحاب للمؤمنين في الظاهر، وأصحاب للكافرين في الباطن ؛ ومن استحسن شيئاً فإنه لا يكاد أن يرجع عنه"[5] .

أربعة وعشرون: قال الشيخ "مصطفى العدوي" : "قال بعض أهل العلم: أفرد النور ؛ لكون الحق

---

١ – سورة الأنعام : أية ٨٢.

٢ – ابن القيم ، مرجع سابق ، بدائع التفسير (١/ ١٠٤) .

٣ – ابن عثيمين ، مرجع سابق ، (١/ ٦٥) .

٤ – سورة الأنفال : أية ٢١ .

٥ – ابن عثيمين ، مرجع سابق (١/ ٦٥ ، ٦٦) .

واحد وهو صراط الله المستقيم ، وجمعت الظلمات ؛ لأن طرق الباطل متعددة ، ويؤيد ذلك قوله تعالى :﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[1]. وقال بعض العلماء : أفرد النور لفضله ، وجمعت الظلمات لنقصها ، واستدل له بقوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾[2]فأفرد اليمين وجمعت الشمائل ، وقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾[3]،ومن ذلك أيضاً قوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[4][5].

خمسة وعشرون: أن الصيب مثل للإسلام ،والظلمات مثل لما في قلوبهم من النفاق، والرعد والبرق مثلان لما يخوفون به .

سادس وعشرون: قال "أبوحيان"– رحمه الله – " أنه مثل الدنيا وما فيها من الشدة ، والرخاء ، والنعمة ، والبلاء بالصيب الذي يجمع نفعاً بإحيائه الأرض ، وإنباته النبات ، وإحياء كل دابة ،

---

١ – سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

٢ – سورة النحل : الآية ٤٨ .

٣ – سورة الأحزاب : الآية ٥٠.

٤ – سورة البقرة : الآية ٢٥٧.

٥ – العدوي ، مرجع سابق (٣/ ٢٢٣، ٢٢٤).

والانتفاع به للتطهير وغيره من المنافع، وضر بما يحصل به من الإغراق والإشراق و ما تقدمه من الظلمات والصواعق بالإرعاد والإبراق، وأن المنافق يدفع أجلاً بطلب عاجل النفع فيبيع آخرته وما أعد الله له فيها من النعيم بالدنيا التي صفوها كدر، ومآله بعد إلى سقر "[1] .

سابع وعشرون: قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – "من فوائد الآيتين : تهديد الكفار بأن الله محيط بهم ؛ لقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾،ومنها أن البرق الشديد يخطف البصر ؛ ولهذا يُنهى الإنسان أن ينظر إلى البرق حال كون السماء تبرق ؛ لئلا يُخطف بصره " [2] .

ثامن وعشرون: ويقول الشيخ "ابن عثيمين" ــرحمه الله – : ومنها : " أن من طبيعة الإنسان اجتناب ما يهلكه ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ ﴾،ومنها أيضا : إثبات مشيئة الله ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾[3].

تاسع وعشرون: ومنها " أنه ينبغي للإنسان أن يلجأ إلى الله عز وجل أن يمتعه بسمعه ، وبصره ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾؛ وفي الدعاء المأثور : " متعنا بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا " [4][5].

ثلاثون : ومنها : " أن من أسماء الله أنه قدير على كل شيء ومنها عموم قدرة الله تعالى على كل شيء ؛ فهو جل وعلا قادر على إيجاد المعدوم ، وإعدام الموجود ، وعلى تغيير الصالح إلى فاسد ، والفاسد إلى صالح ، وغير ذلك "[6] .

---

١ – أبو حيان ، مرجع سابق (١/ ٢٢٤).

٢ – ابن عثيمين ، مرجع سابق (١/ ٧١).

٣ – المرجع سابق (١/ ٧٢).

٤ – أخرجه الترمذي ص ٢٠١٢ كتاب الدعوات باب ٧٩ : اللهم اقسم لنا من خشيتك حديث رقم ٣٥٠٢ قال الألباني في صحيح الترمذي حسن [٣/ ١٦٨ ، حديث رقم ٢٧٨٣] .

٥ – المرجع السابق (١/ ٧١).

٦ – المرجع السابق (١/ ٧٢).

المبحث الثالث :- دراسة المثل في قوله تعالى﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾[1].

المطلب الأول :مناسبة المثل لأسماء السورة وتعلقه بما قبله من الآيات وما بعده من الآيات .

***أولاً* : مناسبة المثل لأسماء السورة** : إن هذا المثل يدور حول المنافقين وصفاتهم وسياق المثل فيما قبله وما بعده يتناول صفات أهل النفاق كما سيأتي بحثه في موضعه وقد جاءت أسماء هذه السورة متسقة مع هذا المثل حيث دلة أسماء هذه السورة على معاني متعددة تدور جميعها حول فضح أهل النفاق ومن ذلك :

١-المقشقشة : أي أنها تقشقش من النفاق بمعنى تبرئ منه ومن أهله . فعن زيد بن أسلم رضي الله عنه " أن رجلاً قال لعبد الله : سورة التوبة ؟ قال ابن عمر : وهل فعل بالناس الأفاعيل إلا هي ، ما كنا ندعوها إلا المقشقشة " [2].

---

١ - سورة التوبة الآيات من ٦٨: ٧٠

٢ - أورده السيوطي في الدر المنثور (١٢١/٤) وعزاه لأبي الشيخ وابن مردويه .

٢-المخزية : وسميت المخزية لأنها تخزي الكافرين والمنافقين ، فالله مخزيهم حيث وجدوا لثباتهم على الشرك واستكبارهم عن الحق الذي جاءهم وذكر هذا الاسم بعض المفسرين كالزمخشري ، والرازي ، والنسفي ، والخازن ، والبيضاوي ، وأبي السعود ، والجمل ، والشوكاني ، والألوسي ، كما ذكرها السخاوي ، والسيوطي و لم ينسبها أحد إلى قائل [١] .

٣-الفاضحة : وسميت بالفاضحة لفضحها سلوك المنافقين وما انطوت عليه صدورهم من الخسة والنذالة ، وقد جاء عن بعض الصحابة تسميتها بالفاضحة ففي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير قال " قلت لا بن عباس سورة التوبة ؟ قال : التوبة هي الفاضحة ما زالت تنزل : ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها .... الحديث "[٢] .

٤-الكاشفة : لكشفها عيوب الكفار والمنافقين ولايتهم بعضها بعضاً ضد الإسلام والمسلمين [٣].

٥-المشردة : بمعنى تشرد المنافقين، وتفلج شكيمتهم لتفتيت عصبتهم وعزلهم عن موالاة بعضهم بعضاً ، وسميت بذلك لأنها شردت جموع المنافقين وفرقتهم قاله "الخازن"[٤] .

٦-المبعثرة : لكونها تبعثر عن أسرار المنافقين ، أي تبحث عنها وتثيرها ليقف الجميع على معاول هدمهم وسماها بهذا الاسم ابن عباس ، وعن محمد بن إسحاق قوله : " كانت براءة تسمى في زمان النبي – صلى الله عليه وسلم – المبعثرة لما كشفت من سرائر الناس "[٥] . وعن ثابت بن الحارث الأنصاري أنه قال : " وما كانوا يدعون سورة التوبة الإ المبعثرة ، فإنها تبعثر أخبار المنافقين "[٦] .

٧-الحافرة : وسميت بذلك بسبب حفرها عن قلوب المنافقين وإثارة أسرارهم لكشف ظاهر

---

١ – الدوسري ، منيره محمد ناصر ، أسماء سور القرآن وفضائلها ، دار ابن الجوزي ، الطبعة ١٤٢٦ه ،

٢ – أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة الحشر حديث رقم (٤٨٨٢) .

٣ – مسلم ، د. مصطفى ، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، (١٨٧/٣) .

٤ – تفسير الخازن (٢/ ٣٣٢) .

٥ – أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور (٤/ ١٢١) .

٦ – مصدر سابق ، أسماء سور القرآن وفضائلها صـــــ ٢١٤ ، ٢١٥ .

سلوكهم وباطنه بعد أن أقاموا على النفاق ، ونسب " الألوسي " هذه النسبة إلى الحسن البصري وذكرها ابن الفرس كما قال صاحب الإتقان وذكرها بعض المفسرين "كالزمخشري""والطبرسي""وابن الجوزي""والرازي""والنسفي""والبيضاوي""وأبي السعود" ، "والجمل" وذكرها "السخاوي""والفيروزي آبادي"[1].

٨-المثيرة : وسميت بذلك لأنها أثارت عورات المنافقين وأظهرتها للمسلمين ، ليحسنوا مقارعتهم استعداداً لاستئصالهم لكونهم متناهين في النفاق والبعد عن الإيمان وسماها بهذا الاسم قتادة ، كما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال " كانت هذه السورة تسمى الفاضحة ، فاضحة المنافقين ، وكان يقال لها : المثيرة ، أنبأت بمثالبهم وعوراتهم "[2].

٩-المنكلة : لإعلائها الحرب بشدة على المنافقين والمشركين والدعوة للتنكيل بهم وقتلهم حيث ثقفوا ، لظلم الواحد منهم لنفسه ، ولغيره ، لما فعلوه من الكفر بالله وعدم الانقياد له ولنبيه وقد وقعت هذه التسمية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن وهذا الاسم أيضاً لم ينسب إلى قائل "[3] .

١٠-المدمدمة : أي تدمدم المنافقين بمعنى تهلكهم وتطوي صفحة مكرهم ، لاستمرائهم سلوك النفاق الذي أحدثوه واستدعوه بعد الهجرة [4]. نسبها "الألوسي" إلى سفيان بن عيينة وذكرها كثير من المفسرين في كتبهم كما ذكرها "السخاوي""والسيوطي" في كتابهما[5].

١١-البحوث :بفتح الباء لأنها ما انفكت تسعى للبحث عن جيوب النفاق وأهله،لكشف أسرارهم استعداداً لضربهم والتخلص منهم.وسماها بذلك "المقداد" كما أخرج عنه أنه قيل له:لو قعدت العام عن الغزو قال" أتت علينا البحوث يعني سورة التوبة قال الله عز وجل ﴿ ٱنفِرُواْ

---

١ - مصدر سابق ، أسماء سور القرآن وفضائلها صـــ ٢١٤، ٢١٥ .

٢ - الإتقان (١/ ١٧٣) .

٣ - مصدر سابق أسماء سور القرآن وفضائلها صـــ ٢١٨ .

٤ - التحرير والتنوير ابن عاشور (٩٧/١٠) .

٥ - الاتقان (١٧٣/١) .

خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾[1].

١٢-العذاب : سميت بذلك بسبب براءة السورة من المنافقين والمشركين ، ودعوتها لقتالهم دون رحمة ، بغية تعذيبهم لأجل مخرجات سلوكهم ، وكفرهم لتقصيرهم بحق الله .وسماها بعض الصحابة (سورة العذاب) فعن حذيفة- رضي الله عنه- قال : " التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب ، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه ، و لا تقرؤون منها مما كنا نقرأ إلا ربعها "[2]

١٣.-المنقرة : لأنها نقرت عما في قلوب المشركين وكشفه للمسلمين ، والتسمية ههنا من نقر الطير للخشب أو للحصى ، وفيها من حكمة مفاجأتهم بالخفي من أقوالهم وأفعالهم ، بما لم يتوقعوه أو يألفوه[3]وأسماها بالمنقرة عبد الله بن عبيد بن عمير كما أخرجه عنه أبو الشيخ قال :" كانت براءة تسمى المنقرة ، نقرة عما في قلوب المشركين "[4] .

فهذه جملة من الأسماء الاجتهادية التي سميت بها هذه السورة ومما سبق يتضح أن جميع هذه الأسماء تنصب وتقع على هذه الصفات التي جمعها المثال من صفات المنافقين وتواليهم بعضهم بعضاً .

أما تعلق المثال بما قبله :فإن في هذا المثال تحذير للمنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم المكذبة وقد سبق هذا المثال بيان شافي ووافي لصفات المنافقين .

يقول سيد قطب – رحمه الله – "ثم يجيء المقطع الرابع في سياق السورة وهو أطول مقاطعها ، وهو يستغرق أكثر من نصفها في فضح المنافقين في غزوة تبوك وقبلها وفي أثنائها و ما تلها ، وكشف حقيقة نواياهم وحيلهم ومعاذيرهم في التخلف عن الجهاد وبث الضعف والفتنة والفرقة في الصف ، وإيذاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والخُلص من المؤمنين . يصاحب هذا

---

١ – سورة التوبة جزء من آية : ٤١ .

٢ – أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب التفسير ، تفسير سورة التوبة ، حديث رقم (٣٢٧٤) (٣٦١/٢) ، وأبوعبيد في فضائله ، باب (فضل سورة براءة) ص ١٣ وأورده السيوطي في الدر (٤/ ١٢٠) وعزاه للطبري وأبي الشيخ وابن مردويه .

٣ – تفسير المنار ، محمد شيد رضا (١٤٦/١١) .

٤ – الدر المنثور (٤/ ١٢١) .

الكشف تحذير الخلصاء من المؤمنين من كيد المنافقين ، وتحديد العلاقات بين هؤلاء وهؤلاء ، والمفاصلة بين الفريقين وتمييز كل منهما بصفاته وأعماله ....وهذا القطاع يؤلف في الحقيقة جسم السورة ، ويتجلى من خلاله كيف عاد النفاق بعد فتح مكة فاستشرى بعد ما كاد أن يتلاشى من المجتمع المسلم قبيل الفتح "[1].

ويقول أيضاً سيد قطب – رحمه الله – " من هنا يبدأ الحديث عن الطوائف التي ظهرت عليها أعراض الضعف في الصف وبخاصة جماعة المنافقين ، الذين اندسوا في صفوف المسلمين باسم الإسلام ، بعد أن غلب وظهر ، فرأى هؤلاء أن حب السلامة وحب الكسب يقتضيان أن يحنوا رؤوسهم للإسلام ، وأن يكيدوا له داخل الصفوف بعد أن عز عليهم أن يكيدوا له خارج الصفوف ولن نملك أن نستعرض هنا هذا القطاع بطوله فنكتفي بفقرات منه تدل على طبيعته :

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ

---

١ – قطب ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط ٣٢ لسنة ١٤٢٤/ ٢٠٠٣م ، (١٥٦٧) .

مَغَـٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾.

﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾.

﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۘ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾.

فمن جملة هذه الآيات السابقة للمثال تبين صفات النفاق والمنافقين وسيأتي بينها ولكن المقصود أن ما تعلق بالمثال قبله يرتبط بهذه الصفات التي جاءت في الآيات السابقة من صفات المنافقين قبل المثال وما يتعلق بعده .

فقد جاءت الآيات بعد المثال أيضاً ترتبط بهذه الصفة وهذه القضية قضية النفاق فها نحن نرى أن

الآيات جاءت متعلقة بنفس قضية المثال والقضية الأساسية التي جاءت في السورة فكما سبق أن ذكرنا أن هذه السورة الكريمة تسمى الفاضحة لأنها بينت أسرار المنافقين ، وهتكت أستارهم ، فما زال الله تعالى يقول : ومنهم ومنهم ويذكر أوصافهم إلا أنه لم يعين أشخاصهم .

تعلق المثل بما بعده من الآيات وفي سياق ذلك جاءت الآيات بعد المثال متعلقة بهذه القضية فمن ذلك :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ

﴿ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

وهذه الحملة الطويلة الكاشفة تُشي بما كان للمنافقين في هذه الفترة من محاولات كثيرة لإيذاء الصف المسلم وفتنه وشغله بشتى الفتن والدسائس والأكاذيب عن وجهته"[1].

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه :

جاء في تفسير قوله تعالى:﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[2].

والمعنى والله تعالى أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء المنافقين والمنافقات والكفار الساخرين منك المستهزئين بدينك الذي جئتهم به ، المكذبين للقرآن الجاحدين لوحدانية الله – عز وجل – قل لهم شأنكم في هذا كله شأن الذي سبقوكم من أهل الكفر كانوا أقوى منكم وأعز نفراً ، وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بدنياهم وحظوظهم فيه ورضوا بها بديلاً عن النصيب الأخروي ، فالخلاق هذا النصيب ، أي أنهم استمتعوا بنصيبهم الذي كان لهم في الآخرة إن هم آمنوا ، استمتعوا به في الدنيا ولم يلقوا للآخرة بالاً ، فسلكتم مسلكهم وسرتم سيرهم ، واستمتعوا بنصيبكم في الدنيا وبحظوظكم فيها تاركين أمر الله وراء ظهوركم كما استمتع الذين من قبلكم بحظوظهم ،وخضتم في التكذيب والسخرية و الاستهزاء والكفر والعناد خوضاً كالذين خاضه أولئك فقد كانوا مكذبين معاندين ساخرين مستهزئين ، فأولئك الذين هذه سبيلهم حبطت أعمالهم ، ذهب ثوابها (في الدنيا) فلن يحمدوا عليها واستوفوا باستمتاعهم حظوظهم فيها (والآخرة) أي في الآخرة أعمالهم تكون هباء منثوراً ، ذهب ثوابها وأولئك هم الخاسرون ، خسروا

---

١ – قطب ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط ٣٢ لسنة ١٤٢٤/ ٢٠٠٣م ، (١٥٦٨/١٥٦٩) بتصريف .

٢ – سورة التوبة الآية : ٦٩.

أنفسهم ، وخسروا أعمالهم .

وبنحو هذا قال أهل العلم

قال الطبري – رحمه الله – " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – قل يا محمد ، لهؤلاء المنافقين الذين قالوا : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾، من الأمم الذين فعلوا فعلكم ، فأهلكهم الله ، وعجل لهم في الدنيا الخزي ، مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال في الآخرة .يقول لهم جل ثناؤه : واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذي حل بهم ، فإنهم كانوا أشد منكم قوة وبطشاً ، وأكثر منكم أموالاً وأولاداً ،﴿ فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ ﴾، يقول : فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم ، ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضاً من نصيبهم في الآخرة ، وقد سلكتم ، أيها المنافقون سبيلهم في الاستمتاع بخلاقكم ،يقول : فعلتم بدينكم ودنياكم ، كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم بنصيب من دنياهم ودينهم ، ﴿ وَخُضْتُمْ ﴾، في الكذب والباطل على الله ، ﴿ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ﴾ ، يقول : وخضتم أنتم أيضاً ، أيها المنافقون ، كخوض تلك الأمم قبلكم"[1].وأما قوله ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾،" فإن معناه : هؤلاء الذين قالوا : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾، وفعلوا في ذلك فعل الهالكين من الأمم قبلهم ،

﴿ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾، يقول : ذهبت أعمالهم باطلاً . فلا ثواب لها إلا النار ، لأنها كانت فيما يسخط الله ويكرهه ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾يقول : وأولئك هم المغبونون صفقتهم ، ببيعهم نعيم الآخرة بخلاقهم من الدنيا اليسير الزهيد "[2].

---

١ – الطبري ،أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ،مكتبة هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، لعام ١٤٢٢هـ (١١/ ٥٥٠، ٥٥١) .

٢ –الطبري ،أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ،مكتبة هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، لعام ١٤٢٢هـ (١١/ ٥٥٣) .

قال ابن الجوزي – رحمه الله – " وموضع الكاف في قوله ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾نصب أي : وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم وقال غيره : رجع عن الخبر عنهم إلى مخاطبتهم وشبههم في العدول عن أمره بمن كان قبلهم من الأمم الماضية . قوله تعالى :﴿ فَٱسْتَمْتَعُواْ

بِخَلَٰقِهِمْ ﴾قال ابن عباس : استمتعوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا وقال الزجاج : بحظهم من الدنيا .قوله تعالى : ﴿وَخُضْتُمْ ﴾أي في الطعن على الدين وتكذيب نبيكم كما خاضوا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ﴾لأنها لم تقبل منهم وفي الآخرة لأنهم لا يثابون عليها ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾بفوت الثواب وحصول العقاب [1].

ويقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله –"محذراً للمنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم المكذبة " قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات " ؛ أي : قرى قوم لوط . فكلهم أتاهم رسلهم بالبيانات أي : بالحق الواضح الجلي ، المبين لحقائق الأشياء ، فكذبوا بها ، فجرى عليهم ما قص الله علينا فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم ، ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ ﴾أي : بنصيبكم من الدنيا ، فتناولتموه على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه ، واستعنتم به على معاص الله ، ولم تتعد همتكم وإرادتكم ما خولتم من النعم ، كما فعل الذين من قبلكم ﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ﴾ ، أي : وخضتم بالباطل والزور ، وجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق ، فهذه أعمالهم وعلومهم ، استمتاع بالخلاق ، وخوض بالباطل ، فاستحقوا من العقوبة والإهلاك ما استحق من قبلهم ، ممن فعلوا كفعلهم ، وأما المؤمنون فهم وإن استمتعوا بنصيبهم ، وما خولوا من الدنيا ، فإنه على وجه الاستعانة به على طاعة الله ، وأما علومهم فهي علوم الرسل ، وهي

---

١ –الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ، زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي (٣/ ٤٦٧) .

الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية ، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل .

قوله :﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾إذا أوقع بهم من عقوبته ما أوقع ﴿ كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾حيث تجرءوا على معاصيه ، وعصوا رسلهم واتبعوا أمر كل جبار عنيد "[1].

وهذه بعض آثار السلف في تفسير هذه الآيات :

روى الطبري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : لتأخذن كما أخذ الأمم من قبلكم ، ذراعاً بذراع ، وشبراً بشبراً ، وباعاً بباع ، حتى لو أن أحداً من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه ! قال أبو هريرة " اقرءوا إن شئتم القرآن ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ﴾قالوا : يارسول الله ، كما صنعت فارس والروم ؟ قال : فهل الناس إلا هم "[2][3].

وعن ابن عباس قوله ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾الآية قال ، قال ابن عباس : ما أشبه الليلة بالبارحة ! ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم ، لا أعلم إلا أنه قال : والذي نفسي بيده ، لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم حجر ضب لدخلتموه "[4][5].

---

١ –العثيمين ، محمد بن صالح ، تفسير القرآن الكريم ، دار الهداية ، اليمن ، (٥/ ١٣٣) .

٢ –قال الشيخ محمود شاكر في الأثر إسناده ضعيف فيه " أبو معشر " هو نجيح بن عبد الرحمن السندي " منكر الحديث ولكن هذا الخبر له أصل في الصحيح فقد رواه البخاري في صحيحه من طريق أحمد بن يونس (الفتح : ١٣/ ٢٥٤) .

٣ –الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري ،مكتبة ابن تيمية (١٤/ ٣٤١) .

٤ –قال الشيخ محمود شاكر في تحقيق تفسير الطبري ، فهذا إسناد ضعيف أيضاً ، ولكن له أصل في الصحيح ، كما سلف قبل .

٥ –الطبري ، مصدر سابق (١٤/ ٣٤٢) .

روى الطبري عن الحسن ﴿ فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ ﴾قال : بدينهم [1].

المطلب الثالث : نوع المثال والغرض الذي من أجله ضرب المثال :

ونلاحظ أن الغرض من هذا المثال هو الغرض الثالث والذي جاء في التمهيد وهو" الإقناع بذكر قبائح الباطل والتنفير منه " .

ولذا نجد أن هذا المثال قد سبق بذكر صفات متعددة تفضح تناقض المنافقين ووصف أحوالهم النفسية والعملية ، وكشف حقيقة نواياهم وحيلهم ومعاذيرهم في التخلف عن الجهاد وبث الضعف والفتنة والفرقة في الصف ، وإيذاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والخلص من المؤمنين يصاحب هذا الكشف تحذير الخلصاء من المؤمنين من كيد المنافقين ، وتحديد العلاقات بين هؤلاء وهؤلاء وهذه إشارة إلى بعض هذه الصفات :

١- عدم إعدادهم العدة للخروج مع النبي - صلى الله عليه وسلم – وكرههم لظهور أمر الله تعالى .

٢- ومن صفاتهم أيضاً أنهم يريدون الفتنة وقلب الحقائق .

٣- ومن صفاتهم سعادة أهل النفاق بمصائب المسلمين .

٤- ومن صفاتهم عدم قبول نفقات المنافقين .

٥- ومن صفاتهم الطعن في أمانة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

٦- ومن صفاتهم أذى المنافقين لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– وانتقاصه والقول عليه بأنه أذن

٧- ومن صفاتهم أيضاً الحلف الكذب ليرضوا المسلمين .

٨- ومن صفاتهم أنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف .

٩- ومن صفاتهم أيضاً الاستمتاع بالدنيا وحظوظها على حساب الآخرة .

١٠- ومن صفاتهم أنهم ينقضون العهود مع الله .

---

١ -الطبري ، مصدر سابق (١٤/ ٣٤٣) .

وهذه الحملة الطويلة الكاشفة بذكر قبائح أهل النفاق والتنفير من هذه الأفعال والأقوال المتلاحقة للمنافقين وذلك هو الغرض بذكر هذا المثال وبيان قبح من ذكر في المثال من أهل الكفار من قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات وهذه صفات جامعة بين أهل الكفر وأهل النفاق .

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثال :

إن المتتبع لهذا المثال وما سبقه من آيات متعلقة به وكذا ما تبعه من آيات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع المثال فكثير من أهل العلم وخاصة من صنف في التفسير الموضوعي فنجد "الهرري"– رحمه الله– في تفسيره يقسم الموضوع إلى مقاطع مترابطة فنجد أنه عند تفسير آيات المثال بدأ من قوله تعالى:

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾إلى قوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾. وكذا أيضاً نجد أن أبا حيان في تفسيره يبدأ المقطع من قوله تعالى:﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾التوبة: ٦١. دلالة على تعلق الآيات بالمثال **ولذا نستخرج الفوائد من المقطع ككل وليس آية المثال فحسب** .

أولاً : إفراد الضمير في قوله ﴿ يُرْضُوهُ ﴾إما للتعظيم للجناب الإلهي بإفراده بالذكر أو لكونه لا فرق بين إرضاء الله وإرضاء رسوله ، فإرضاء الله إرضاءً لرسوله – صلى الله عليه وسلم – أو المراد : الله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، كما قاله سيبوية ورجحه النحاس [1].

ثانياً : وفي قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ﴾أي : ألم يعلم هؤلاء المنافقون ، وهو استفهام ، معناه

١ –الهرري ، مصدر سابق (١٦/ ٣٢٣) .

التوبيخ والإنكار ، وقرأ الحسن والأعرج {ألم تعلموا} بالتاء الفوقية على الخطاب ، فالظاهر أنه التفات ، فهو خطاب للمنافقين ، قيل ويحتمل أن يكون خطاباً للمؤمنين فيكون معنى الاستفهام التقدير وإن كان خطاباً للرسول ... فهو خطاب تعظيم والاستفهام للتعجب[1] .

ثالثًا : قال "الألوسي"–رحمه الله – " في قوله تعالى:﴿ نُنَبِّئُهُم ﴾قيل : المراد بالتنبيه المبالغة في كون السورة مشتملة على أسرارهم كأنها تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعي عليهم قبائحهم ، وجوز أن يكون الضميران الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ، وتفكيك الضمائر ليس بممنوع مطلقاً بل هو جائز عند قوة القرينة في ظهور الدلالة عليه"[2] .

رابعا :قال"الهرري"– رحمه الله – تعالى"في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾،وفي هذه الآية وما في معناها : دليل على أن إيذاء الرسول – صلى الله عليه وسلم- كفر إذا كان فيما يتعلق برسالته ، لأن ذلك ينافي الإيمان ، وأما إيذاؤه في شؤونه البشرية والعادات الدنيوية ، فحرام لا كفر ، كإيذاء الذين كانوا يطيلون الجلوس في بيوته لدى نسائه بعد الطعام ، وفيهم نزل ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ﴾[3]وإيذاء الذين كانوا يرفعون أصواتهم في ندائه ويسمونه باسمه ، كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾[4]وإيذاؤه –صلى الله عليه وسلم – بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، كإيذائه في حال حياته ، كالخوض في أبويه ، وآل بيته بما يُعلم أنه يؤذيه لو كان حياً فالإيمان به –صلى الله عليه وسلم – مانع من تصدي المؤمن لما يُعلم أو يظن أنه يؤذيه صلوات الله وسلامه عليه إيذاءً ما ، فهذا الذنب من أكبر الذنوب

---

١ –الهرري ، مصدر سابق (١٦/ ٣٢٤) .

٢ –الألوسي ، روح المعاني ، دار إحياء التراث العربي (١٠/ ١٣٠) .

٣ –سورة الأحزاب جزء من آية :٥٣ .

٤ –سورة الحجرات آية :٢ .

ومعصية من أعظم المعاصي " [1] .

خامساً : ومن الفوائد التربوية هو أن نحلل تحليلاً سيكولوجي (نفسي) لشخصيات المنافقين في مختلف طبقاتهم ، وما طرحوه من مسوغات تبريرية كاذبة لتخلفهم ، إذ من عجيب أمرهم أن ليس فيهم من تنسحب عليه أعذار القعود كالضعفاء والمرضى والفقراء لقوله تعالى:﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾[2].وفيما يلي عرض لجماعات المنافقين وما زعموه من أقوال في بيان تخلفهم ومكرهم ، ظناً منهم أنهم يخادعون الله ورسوله :

١-قال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر إعراضاً عن الجهاد .

٢-انتحل بعض المنافقين الأعذار الكاذبة وجاءوا الرسول – صلى الله عليه وسلم – يحلفون بالله تعالى كاذبين إنهم تخلفوا لأسباب وجيهه وهم متمسكون بحبهم للنبي – صلى الله عليه وسلم – فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[3].

٣-أخذ بعض المنافقين يروج الشائعات الباطلة من باب الحرب النفسية ، ليزرع الخوف والتردد في نفوس المؤمنين ، لتفزيعهم وإضعافهم وثنيهم عن الخروج إلى الجهاد إرجافاً وترهيباً لهم . إذ قال بعضهم لبعض (أتحسبون قتال بني الأصفر "الروم" كقتال العرب بعضهم بعضاً ، والله لكأنّ بكم غداً مقرنين في الحبال أتظنون أنكم قادرون على فتح قصور الروم وحصونها ؟ هيهات هيهات ، فأطلع الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – على ما قالوا فأنكروا وقالوا إنما نخوض ونلعب فأنزل الله فيهم ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ

---

١ -الهرري ، مصدر سابق (١٦/ ٣٢٢) .

٢ -سورة التوبة آية : ٩١.

٣ -سورة التوبة آية : ٥٦.

تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1][2].

سادساً : قال "السعدي"– رحمه الله – في تفسير قوله تعالى:﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[3].

" كانت هذه السورة الكريمة تسمى "الفاضحة " لأنها بينت أسرار المنافقين ، وهتكت أستارهم ، فما زال الله يقول : ومنهم ومنهم ويذكر أوصافهم ، إلا أنه لم يعين أشخاصهم لفائدتين :

إحداهما : أن الله ستير يحب الستر على عباده .

والثانية : أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين ، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلى يوم القيامة ، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب ، حتى خافوا غاية الخوف "[4] .

سابعاً : قال "الهرري"–رحمه الله – في قوله تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾[5] "وقدم المنافقين في الوعيد على الكفار للإيذان بأنهم وإن أظهروا الإيمان وعملوا أعمال الإسلام شر من الكفار ، ولا سيما المتدينين منهم بأديان محرفة أو منسوخة ، كأهل الكتاب وفي هذه الآية دليل على أن وعد يقال في الشر ، كما يقال في الخير. " [6] .

ثامناً : قال ابن عاشور – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى:﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا ﴾[7]"قيل هذا الخطاب التفات ، عن ضمائر الغيبة الراجعة إلى المنافقين ، إلى خطابهم لقصد التفريع والتهديد بالموعظة ، والتذكير عن الغرور بما هم فيه من نعمة

---

١ –سورة التوبة آية : ٦٥.

٢ –التفسير الموضوعي .(٣/ ٢٤٠، ٢٤١).

٣ –سورة التوبة آية:٦٤ .

٤ –السعدي ، مصدر سابق (٣٨٠)

٥ –سورة التوبة جزء من آية :٦٨ .

٦ –الهرري ، مصدر سابق (٣٣٠/١١) .

٧ –سورة التوبة جزء من آية :٦٩ .

الإمهال بأن آخر ذلك حبط الأعمال في الدنيا والآخرة ، وأن يحق عليهم الخسران "[1].

تاسعًا : قال الزمخشري " فإن قلت أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقم ، وقوله (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) مغن عنه ، كما أغنى كالذي خاضوا؟ قلت : فائدته أن قدم الأولين بالاستمتاع ما أوتوا من حظوظ الدنيا ، ورضاهم بها والتهائهم فشبهوا لهم الفانية عن النظر في العاقبة ،وطلب الفلاح في الآخرة ، و أن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به ، ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما يريد أن ينبه بعض الظلمة على سماجة فعله ، فيقول : انت مثل فرعون ، كان يقتل بغير جرم ، ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله . ويقول أيضا : شبه استمتاع المنافقين باستمتاع الذين من قبلهم بالاسم الظاهر ، فقال:﴿ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ ﴾ولم يكن التركيب :كما استمتعوا بخلاقهم ليدل بذلك على التحقير ، لأنه كما يدل بإعادة الظاهر مكان المضمر على التفخيم والتعظيم ، كذلك يدل بإعادته على التحقير والتصغير بشأن المذكور ، كقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾[2]. وكقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3]. و لم يأت التركيب إنه كان و لا أنهم هم "[4].

عاشرًا : قال "أبو حيان الأندلسي"–رحمه الله – في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[5].

" لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في الرغبة في الدنيا ، وتكذيب الأنبياء ، وكان لفظ الذين من

---

١ –ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٥٦/١٠) .

٢ –سورة مريم آية : ٤٤ .

٣ –سورة التوبة جزء من آية : ٦٧ .

٤ –أبو حيان ، مصدر سابق (٥/ ٦٩) .

٥ –سورة التوبة آية : ٧٠ .

قبلكم فيه إيهام نص على طوائف بأعيانها ستة ، لأنهم كان عندهم شيء من أنبائهم ، وكانت بلادهم قريبة من بلاد العرب ، وكانوا أكثر الأمم عدداً ، وأنبياؤهم أعظم الأنبياء ، نوح أول الرسل ، وإبراهيم الأب الأقرب للعرب و مايليها من الأمم مقاربون لهم في الشدة ، وكثرة المال والولد ، فقوم نوح أهلكوا بالغرق وعاد بالريح، وثمود بالصيحة ،وقوم إبراهيم بسلب النعمة عنهم حتى سلطت البعوضة على نمروذ ملكهم ،وأصحاب مدين بعذاب يوم الظلة ، والمؤتفكات بجعل أعالي أرضهم أسافل وإمطار الحجارة عليهم "[1].

حادي عشر : قال الإمام "ابن القيم"– رحمه الله – " أن الله أخبر أن في هذه الأمة من يستمتع بخلاقه ، كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم ، ويخوض كخوضهم ، وأنهم لهم من الذم والوعيد كما للذين من قبلهم ، ثم حضهم على القياس ، والاعتبار بمن قبلهم ، فقال ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[2].

فتأمل صحة هذا القياس وإفادته لمن عُلق عليه من الحكم وأن الأصل والفرع قد تساويا في المعنى الذي عُلق عليه به العقاب ، وأكده كما تقدم بضرب من الأولى ، وهو شدة القوة وكثرة الأموال والأولاد فإذا لم يتعذر على الله عقاب الأقوى منهم بذنبه ، فكيف يتعذر عليه عقاب من هو دونه ؟!"[3].

ثاني عشر : قال "ابن القيم"– رحمه الله – " والمقصود أنه سبحانه جمع الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض بالباطل لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به ، وهو الخوض أو يقع في العمل بخلاف الحق والصواب ؛ وهو الاستمتاع بالخلاق .

فالأول : البدع .

---

١ –أبوحيان الأندلسي ، مصدر سابق (٧٠/٥) .

٢ –سورة التوبة آية : ٧٠ .

٣ –ابن القيم ، مصدر سابق ، بدائع التفسير (١٩/٢) .

والثاني : إتباع الهوى .

وهذان هما أصل كل شر وفتنه وبلاء و بهما كذبت الرسل و عُصِي الرب ، ودُخِلْت النار وحَلت العقوبات. فالأول من جهة الشبهات والثاني من جهة الشهوات ولهذا كان السلف يقولون : احذروا من الناس صنفين :صاحب هوى فتنة هواه ، وصاحب دنيا أعجبته دنياه ، وكانوا يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون . فهذا يشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ويعملون بخلافه ، وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم "[1].

ثالث عشر : إن من المنافقين من انتظمت قصته في السورة للعظة والاعتبار فقد أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه الله من فضله ليصدقن من ماله و ليكونن من الصالحين ، فلما آتاه الله المال واستروح نعيم الترف تناسى ما وعد به آنفاً ، فما وفى بما قال و لا صدق فيما ادعى فقد سكن النفاق قلبه فسكرته خمرة الغنى وسار في الناس في كبر وخيلا ء ، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾[2].

رابع عشر : أن منهم طائفة ظهر فيهم من القرائن ما يبين أنهم قصدوا عدم الخروج للجهاد عن سابق إصرار وعناد وهم أصحاب الهوى ، وأنهم مهما أنفقوا من نفقة طائعين أو مكرهين فلن تقبل منهم ، لأنهم فاسقون والله طيب لا يحب إلا طيباً . ونفقتهم هذه لا يرجون منها طاعة الله ورسوله والدليل على ذلك تثاقلهم في الجهاد ، وتكاسلهم في الصلاة ، فهؤلاء بطلت مساعيهم في

---

١ -المصدر السابق (١٨/٢) .

٢ - سورة التوبة الآيات من ٧٥- ٧٨ .

النفقة والصلاة ، فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة وما أموالهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله أن يعذبهم بها ، وهي حسرة عليهم في الآخرة لأنهم عصوا الله لأجلها لما ألهتم عن ذكر الله ، ولهذا أنزل الله فيهم قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[1].ولتأكيد ذلك خاطب الله عز وجل رسوله – صلى الله عليه وسلم – ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[2]وكرر ذلك في الآية ٨٥ من باب العظة والاعتبار في أموالهم وأولادهم "[3].

خامس عشر : قال "الهرري"– رحمه الله –في قوله تعالى:﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[4]"أي : متشابهون في صفة النفاق والأفعال الخبيثة ؛ أي :أن أهل النفاق رجالاً ونساءً يتشابهون في صفاتهم وأخلاقهم وأعمالهم ، كما قال تعالى في آل إبراهيم وآل عمران ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[5]. وقال الشاعر :

تلك العَصا من هذه العُصية ... هل تلدُ الحيةُ إلا حُيَّة[6]

ثم بين ذلك التشابه فقال :﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾، أي: إن بعضهم يأمر بعضاً بالمنكر ، وهو كل قبيح عقلاً أو شرعاً كالكذب والخيانة ، وإخلاف الوعد ، ونقض العهد ، كما جاء في الحديث الصحيح " آية المنافق ثلاثاً :إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان "

---

١ – سورة التوبة الآيات من ٥٣– ٥٤ .

٢ – سورة التوبة آية : ٥٥.

٣ – مسلم ، مصدر سابق ، (٢٤٦/٣، ٢٤٧).

٤ – سورة التوبة جزء من آية :٧١.

٥ – سورة آل عمران آية :٣٤.

٦ – الهاشمي ،السيد أحمد ، جواهر الأدب ،مؤسسة المعارف ،بيروت ،الباب الثني في فنون الإنشاء صـــ٢٥٦.

[1]عن أبي هريرة -رضى الله عنه-.﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾أي : وينهى بعضهم بعضاً عن المعروف ، وهو كل حسن عقلاً أو شرعاً كالجهاد وبذل المال في سبيل الله للقتال ، كما حكى الله تعالى عنهم ، بقوله ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾؛ أي : وينهى بعضهم بعضاً عن المعروف ، وهو كل حسن عقلاً أو شرعاً كالجهاد وبذل المال في سبيل الله للقتال ، كما حكى تعالى عنهم ، بقوله:﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ "[2][3].

سادس عشر : قال "ابن القيم"– رحمه الله – في قوله تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[4]تأمل كيف جاء بالرضوان مبتدأ منكراً مخبراً عنه بأنه أكبر من كل ما وعدوا به ، فأيسر شيء من رضوانه أكبر من الجنات ، وما فيها من المساكن الطيبة وما حوته ، ولهذا لما يتجلى لأوليائه في جنات عدن ويمنيهم أي شيء يريدون ، " فيقولون : ربنا أي شيء يزيد أفضل مما أعطيتنا ؟ فيقول تبارك وتعالى : إن لكم عندي أفضل من ذلك،أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً "[5].

سابع عشر : قال "ابن القيم" في تفسيره لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾[6] "فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار،وهو جهاد خواص

---

١ – صحيح البخاري ، باب علامة المنافق ، (١/ ٢٧)، رقم الحديث ٢٣.

٢ – سورة المنافقون آية :٧.

٣ – الهرري ، مصدر سابق (١٦/ ٣٢٨، ٣٢٩) .

٤ – سورة التوبة آية : ٧٢.

٥ – ابن القيم ، مصدر سابق ، بدائع التفسير (٢/ ١٩، ٢٠) .

٦ – سورة التوبة آية : ٧٣ .

خواص الأمة وورثة الرسل،والقائمون به أفراد في العالم،والمشاركون فيه والمعاونون عليه،وإن كانوا هم الأقلين عدداً فهم الأعظمون عند الله قدراً "[1].

ثامن عشر : قال "ابن عاشور"– رحمه الله – في قوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾[2] "والوعد أعم من الوعيد فهو يطلق على الإخبار بالتزام المخبر للمخبر بشيء في المستقبل نافع أو ضار أولا نفع فيه و لا ضر ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾[3]. والوعيد خاص بالضار وفعل الماضي هنا : إما للإخبار عن وعيد تقدم وعده الله المنافقين والمنافقات تذكيراً به لزيادة الحقيقة وإما لصوغ الوعيد في الصيغة التي تنشأ بها العقود مثل

(بعت ووهبت) إشعاراً بأنه وعيد لا يتخلف مثل العقد والالتزام . والإظهار في مقام الإضمار لتقرير المحكوم عليه في ذهن السامع حتى يتمكن اتصافهم بالحكم "[4].

تاسع عشر : قال "ابن عاشور"– رحمه الله – في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[5] قال: وصيغة القصر في ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾قصر ادعائي للمبالغة لأنهم لما بلغوا النهاية في الفسوق جعل غيرهم كمن ليس بفاسق.والإظهار في مقام الإضمار في قوله ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾لزيادة تقريرهم في الذهن لهذا الحكم.ولتكون الجملة مستقلة حتى تكون كالمثل "[6].

---

١ – المصدر السابق (٢٠/٢) .

٢ – سورة التوبة آية : ٦٨ .

٣ – سورة يسن جزء من آية : ٥٢ .

٤ – ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٥٥/١٠، ٢٥٦) .

٥ – سورة التوبة جزء من آية :٦٧ .

٦ – ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٥٥/١٠).

المبحث الرابع : دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ ﴾[1].

المطلب الأول : مناسبة المثل وأسباب نزوله، وفيمن نزل وتعلقه بما قبله من الآيات :

مناسبة المثل : تبين لنا الآيات المجيدة ما حصل فعلاً بين المسلمين وبني النضير من اليهود .إذ لما وقع المسلمون في الضائقة بعد معركة أحد ، وما عقبها من الأحداث ، رأي المنافقون واليهود في المدينة أن الفرصة مؤاتية لضربة قاضية على " محمد "– صلى الله عليه وسلم – والمسلمين فدبروا مؤامرة لاغتيال رسول الله — صلى الله عليه – ؛ إلا أن ربه العلي القدير أوحى إليه بتآمرهم عليه ، فبعث إليهم الرسول يأمرهم بالخروج من المدينة ، لأنهم نقضوا عهده ، وقطعوا الميثاق الذي أمنهم فيه ولكن صلافة بني النضير كانت أكبر من أن تجعلهم يطيقون الرضوخ لأمره ، وخاصة بعدما حرضهم عبد الله بن أبي بن أبي سلول على عدم الخروج، ووعدهم بأن ينصرهم مع بني قومه من الخزرج في مقاتلة المسلمين ، إذا أقدموا على قتالهم .... وحاصرهم المسلمون في ديارهم ، فلم يقدم لهم ابن سلول المنافق ولا أبناء ملتهم من اليهود أي عون أو مساعدة لفك الحصار عنهم . فلما وجدوا أنفسهم وحيدين ، و لا نصرة لهم من أحد ؛ نزلوا على حكم الله ورسوله ، وخرجوا

١ – سورة الحشر الآيات من ١٤– ١٧.

من ديارهم وخلفوا وراءهم جميع ممتلكاتهم .

ولذلك لم يكن غريباً من يهود بني النضير ، ومن حرضهم من المنافقين ، ذلك الموقف من التناصر الكاذب ، الذي أدي بهم إلى الخروج من المدينة ، ومن غير أن يعتبروا بما حلَّ ببني قينقاع من إخوانهم اليهود ، عندما نقضوا عهد رسول الله – صلى عليه وسلم – ، فاضطر إلى إجلائهم عن المدينة قبل هؤلاء بزمن يسير ، وكان مثل بني النضير في سماعهم الوعود الكاذبة من المنافقين والركون إلى ادعاء اليهود الآخرين بنصرتهم ، ثم ما حل بهم وقت الحشر – أي عند حصار المسلمين لهم وإخراجهم من ديارهم وممتلكاتهم ، والحسرة تأكلهم – ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ ﴾[1]..... فقد جعل القرآن الكريم ابن أبي في وعوده لبني النضير بالنصرة ، كالشيطان في وعوده الكاذبة للإنسان ،فكما يُضل الشيطان الإنسان ويُغويهُ ثم يتخلى عنه عندما يوقعه في المعصية ، كذلك فعل ابن أُبي ومن معه من المنافقين[2].

أما أسباب نزول المثل وفيمن نزل :

روى "الطبري" بسنده عن ابن عباس – رضي الله عنه – قول :﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ ﴾،يعني بني قينقاع وقال آخرون عني بذلك مشركوا قريش ببدر ثم ساق بإسناده عن مجاهد في قوله :﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾.قال كفار قريش ببدر .

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال إن الله عز وجل مثل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مذيقهم من نكاله بالذين من قبلهم ، من مكذبي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ،الذين

---

١ – سورة الحشر الآيات من ١٥– ١٦.

٢ – الزين ، سميح عاطف ، الأمثال والمثل والمثلات في القرآن الكريم ، دار الكتاب اللبناني صـــــــــــــ٤١٨، ٤١٩.

أهلكهم بسخطه ، وأمر بني قينقاع ووقعة بدر كانا قبل جلاء بني النضير وكل أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم و لم يخصص الله عز وجل منهم بعضاً في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض ، وكلٌّ ذائق وبال أمره ، فمن قرُبت مدته منهم قبلهم فهم ممثلون بهم فيما عنوا به من المثل " [1].

وأما سبب قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ ﴾[2]."ذهب مجاهد وجمهور من المتأولين إلى أن الشيطان والإنسان في هذه الآية اسم جنس ، فكما أن الشيطان يغوي الإنسان ، ثم يفر عنه بعد أن يورطه كذلك أغوى المنافقون بني النضير وحرضوهم على الثبوت ، ووعدوهم النصر ، فلما نشب بنو النضير ، وكشفوا عن وجوههم تركهم المنافقون في أسوأ حال "[3]، وإما أن الآية نزلت في جنس الإنسان أو في إنسان بعينه وقد جاءت الآثار ولكنها ضعيفة في أنه نزلت كما روى "الطبري" من آثر ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : كانت امرأة ترعى الغنم ، وكان لها أربعة إخوة ، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب قال : فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فإنك رجل مصدق يسمع كلامك فقتلها ثم دفنها ، قال فأتى الشيطان إخوتها في المنام، فقال لهم ، إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم ، فلما أحبلها قتلها ، ثم دفنها في مكان كذا وكذا ، فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا وما أدري أقصها عليكم أم أترك؛ قالوا : لا بل قُصها علينا ، قال : فقصها ، فقال الآخر ، وأنا والله لقد رأيت ذلك فأتوه فانزلوه ، ثم انطلقوا به ، فاستعدوا ملكهم على ذلك فأتوه فأنزلوه ،ثم انطلقوا به ، فلقيه الشيطان فقال : إني الذي أوقفتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وأنا أنجيك مما

---

١ –الطبري ، مصدر سابق ، دار هجر ،(٢٢/٥٣٩ ،٥٤٠)

٢ – سورة الحشر ،الآية :١٦

٣ – الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، تفسير الثعالبي ، دار إحياء التراث ، بيروت ،ط أولى ١٤١٨ه صـــــــــــــ٤١٢

أوقعتك فيه، قال : فسجد له فلما أتواه ملكهم تبرأ منه، وأُخِذ فقتل"[1]

فيمن نزلت الآيات :

قال " الهرري " :"نزلت هذه الآيات في رهط من بني عوف ، منهم عبد الله بن أبي بن سلول ووديعة بن مالك وسويد وداعس ، بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لا نسلمكم ، وإن قوتلتم... قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم ....خرجنا معكم ، فتربصوا . ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم – أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة ؛ ففعل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته فيضعه على ظهر بعير فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام "[2].

تعلق الآيات بما قبلها وبما بعدها :

لما ذكر الله تعالى ما حدث لبني النضير من الاستسلام خوفاً ورهبةً لما قذفه في قلوبهم من الرعب ، ثم ذكر مصارف الفيء التي تقدمت .... أردفه بذكر ما حصل من مناصحة المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ، ورفقته لأولئك اليهود ، وتشجيعهم لهم على الدفاع عن ديارهم ، ومحاربتهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما قصه الله علينا وفصله أتم تفصيل ليكون في ذلك عبرة لنا . وإنا لنشاهد كل يوم أن الناس يضل بعضهم بعضاً ويغووهم ثم يتركوهم في حيرة من أمرهم لا يجدون لهم مخلصاً مما وقعوا فيه .

وأما تعلق الآيات بما بعدها :

أن الله سبحانه لما ذكر المضلين من المنافقين ، وبين أن ما يقولون غير ما يبطنون ، وأن مثلهم كمثل الشيطان في الإغواء والإضلال ، ثم أعقبه بذكر الضالين من بني النضير ، وكيف خدعوا بتلك الوعود الخلابة التي كانت عليهم وبالاً ونكالاً ، وكان فيهم سوء حالهم في دنياهم ودينهم

---

١ – الطبري ، مصدر سابق ، دار هجر ،(٥٤٢/٢٢).

٢ –الهرري ، مصدر سابق (١٤٠/٢٩، ١٤١).

..... شرع ينصح المؤمنين بلزوم التقوى ، وأن يعملوا في دنياهم ما ينفعهم في أخراهم حتى ينالوا الثواب العظيم والنعيم المقيم ، وأن لا ينسوا حقوق الله فيجعل الله الران على قلوبهم ، فلا يقدموا لأنفسهم ما به رشادهم وفلاحهم .

المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في تفسير المثل قوله تعالى :﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

والمعنى والله تعالى أعلم : مثل اليهود والمنافقين في تكذيبهم لنبينا –صلى الله عليه سلم – كمثل المكذبين له من الكفار الذين مضوا منذ زمن قريب ومثلهم فيما سيصنعه الله بهم من الانتقام كالذي صنعه الله بهؤلاء الكفار الذين مضوا قريباً . قال فريق من العلماء: إنهم المشركون من أهل مكة الذين أحل الله بهم بأسه ونقمته وعقوبته يوم بدر وقال آخرون : إنهم يهود بني قينقاع وأما قوله تعالى ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[2].أن مثل هؤلاء المنافقين ، في خداعهم لليهود وتخليهم عنهم عند الشدائد ، وتوليهم عنهم عند الملمات والمصائب ، ومثلهم أيضاً معهم في تحريضهم على الشر كمثل الشيطان . فشبه أهل النفاق هنا بالشيطان الذي يزين للناس الكفر والفواحش ويعدهم ويمنيهم وشُبه اليهود بالإنسان . فلما استمع الإنسان أمر الشيطان وأجابه وكفر وجاء وقت حلول العذاب تخلى عنه الشيطان وقال إني بريء منك وكذا أمر الله عز وجل وتولى عنهم أهل النفاق وأنكروهم .

وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك

قال "السعدي "–رحمه الله – في قوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ﴾[3]: وهم كفار قريش ، الذين ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ

---

١ –سورة الحشر الآية :١٥.

٢ –سورة الحشر الآية :١٦.

٣ –سورة الحشر جزء من الآية :١٥.

فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾[1].فغرهم أنفسهم ، وغرهم من غرهم ، الذين لم ينفعوهم ولم يدفعوا عنهم العذاب ، حتى أتوا بدراً بفخرهم وخيلائهم ، ظانين أنهم مدركون برسول الله – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين أمانيهم ، فنصر الله رسوله والمؤمنين عليهم ، فقتلوا كبراءهم وصناديدهم ، وأسروا من أسروا منهم ، وفرَّ من فرَّ ، وذاقوا بذلك وبال أمرهم وعاقبة شِركهم وبغيهم هذا في الدنيا ﴿ وَلَهُمْ ﴾في الآخرة عذاب النار . ومثل هؤلاء المنافقين الذين غروا إخوانهم من أهل الكتاب ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾أي : زين له الكفر وحسنه ودعاه إليه ، فلما اغتر به وكفر وحصل له الشقاء لم ينفعه الشيطان الذي تولاه ودعاه إلى ما دعاه إليه بل تبرأ منه،﴿ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.أي : ليس لي قدرة على دفع العذاب عنك ، ولست بمغن عنك مثقال ذرة من الخير .﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ ﴾.أي : الداعي الذي هو الشيطان والمدعو الذي هو الإنسان حين أطاعه، ﴿ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ﴾؛كما قال تعالى :﴿ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[2].﴿ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ : الذين اشتركوا في الظلم والكفر ، وإن اختلفوا في شدة العذاب وقوته . وهذا دأب الشيطان مع كل أوليائه ، فإنه يدعوهم ويدليهم بغرور إلى ما يضرهم، حتى إذا وقعوا في الشباك ، وحاق بهم أسباب الهلاك ، تبرأ منهم وتخلى عنهم ، واللوم كل اللوم على من أطاعه ؛ فإن الله قد حذر منه وأنذر ، وأخبر بمقاصده وغايته ونهايته ، فالمقدم على طاعته عاص على بصيرة لا عذر له "[3].

وقال "الثعالبي " – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى :﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾.قال: " ابن عباس " هم بنو قينقاع ، لأن النبي – صلى الله عليه – أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير ، والوبال :

---

١ –سورة الانفال جزء من الآية :٤٨.

٢ –سورة فاطر جزء من الآية :٦.

٣ –السعدي ، مصدر سابق ، دار ابن الجوزي ص ١٠١٣، ١٠١٤

الشدة والمكروه ، وعاقبة السوء والعذاب الأليم : هو في الآخرة .

وقوله سبحانه :﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾معناه : أن هاتين الفرقتين من المنافقين وبني النضير ، كمثل الشيطان مع الإنسان ؛ فالمنافقون مثلهم الشيطان ، وبنو النضير مثلهم الإنسان وذهب مجاهد وجمهور من المتأولين إلى أن الشيطان والإنسان في هذه الآية اسم جنس فكما أن الشيطان يغوي الإنسان ، ثم يفر عنه بعد أن يورطه ؛ كذلك أغوى المنافقون بني النضير وحرضوهم على الثبوت ، ووعدوهم النصر، فلما نشب بنو النضير ، وكشفوا عن وجوههم تركهم المنافقون في أسوأ حال ، وذهب قوم من رواة القصص إلى أن هذا في شيطان مخصوص مع عابد مخصوص ؛ اسمه " برصيصا" استودع امرأة جميلة ، وقيل : سيقت إليه ليشفيها بدعائه من الجنون ، فسول له الشيطان الوقوع عليها ، فحملت منه، فخاف الفضيحة ، فسول له قتلها ودفنها، ففعل ، ثم شهره ، فلما استخرجت المرأة وحُمل العابد شر حمل جاءه الشيطان فقال له : اسجد لي سجدة وأنا أخلصك ، فسجد له ، فقال له الشيطان : هذا الذي أردت منك أن كفرت بربك إني برئ منك ، فضرب الله تعالى هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين ، وهذا يحتاج إلى صحة سند ، والتأويل الأول هو وجه الكلام "[1].

ذكر كلام بعض السلف في ذلك :

قال "الطبري "- رحمه الله تعالى –عن "ابن عباس " قوله :﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗا ﴾. يعني بني قينقاع وكذا ساق الطبري بسنده عن "مجاهد" في قوله تعالى :﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ ﴾. قال : كفار قريش ببدر .

ثم قال "الطبري " – رحمه الله – وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : أن الله عز وجل مثل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مذيقهم من نكاله بالذين من قبلهم ، من مكذبي رسول الله –

---

١ –الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، تفسير الثعالبي ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ ، بيروت ، ط ١٤١٨هـ ، (٤١٢/٥)

صلى الله عليه وسلم – الذين أهلكهم بسخطه ، وأَمْر بني قينقاع ووقعة بدر كانا قبل جلاء بني النضير ، وكل أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم ، ولم يخصص الله عز وجل منهم بعضاً في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض وكلٌّ ذائق وبال أمره ، فمن قربت مدته منهم قبلهم فهم ممثلون بهم فيما عُنوا به من المثل .قال " الطبري" – رحمه الله تعالى – عن " مجاهد" ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ ﴾: عامة الناس "[1].

المطلب الثالث : نوع المثال والغرض من ضرب المثال :

أما عن نوع المثال: فهو تشبيه تمثيلي يقول الدكتور " محمد بكر إسماعيل " – رحمه الله – " فقد شبه الله المنافقين وأهل الكتاب معاً أولاً ممن سبقوهم في كل ما عرفوا به جميعاً من كذب وغش وخداع وجبن وسفه ورعب ، وسوء أدب مع الله ، ومع رسوله – صلى الله عليه وسلم – وفي كل ما جبلوا عليه من دناءة النفس ، وخسة الطبع ، وقسوة القلب ، وبذاءة اللسان ، والجهل المركب ، والملق والمداهنة ، وتقلب الأمور ، وإلباس الباطل ثوب الحق ، وسوء العاقبة . والذين سبقوهم هم بنو قينقاع ، فقد نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فأجلاهم المسلمون عن المدينة . وقيل هم أهل بدر ، والأول أظهر والله أعلم .وشبه حال المنافقين الذين قالوا لإخوانهم من أهل الكتاب ما قالوا بحال الشيطان يغر الإنسان ، ويخدعه ، ويزين له القبيح حتى يراه حسناً ، ويهون عليه الأمر حتى يظنه سهلاً ، ويخطو به إلى الكفر خطوة بعد خطوة ، حتى إذا كفر تبرأ منه ، وأراه سوء صنيعه ، فيندم حتى لا ينفعه الندم ، ويذوق ألم وخز الضمير ، وقد لا يشعر بذلك ، فيتمادى في كفره والشيطان يسخر منه ، ويستهزئ به ، ويشمت فيه ، ويذوق حلاوة الظفر به والنصر عليه . وفي هذا التشبيه ، يمثل المنافقون دور الشيطان فهم يعرفون طريق الحق ويحيدون عنه ، وهم يزينون الشر لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ، ويدعونهم إلى محاربة الله ورسوله ، ويشدون ظهرهم في كيدهم للنبي – صلى الله عليه وسلم –

---

١ –الطبري ، مصدر سابق (٢٢/ ٤٤٥)بتصريف.

وخلافهم له ، حتى إذا وقعت الواقعة بهم ، نظر إليهم هؤلاء المنافقون نظر الشيطان إلى صاحبه الذي استجاب له ، وأروهم أنهم لا يستطيعون أن يخفوا إلى نجدتهم،وأنهم يخافون النبي –صلى الله عليه وسلم – والمسلمين ، كما يخاف الشيطان الله رب العالمين . وهنا نذكر قول الله للمؤمنين عن المنافقين :﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[1].ومن هذا التشبيه ثلاثة أطراف ... الشيطان والإنسان الذي أضله الشيطان، والله ، الذي يخافه الشيطان . وفي مقابل هذه الأطراف .... المنافقون ، وإخوانهم اليهود، والنبي وأصحابه الذين يخافهم المنافقون "[2].

الغرض الذي من أجله ضرب المثل :وهو الغرض الثالث الذي قدمه في المقدمة وهو ضرب الأمثال لغرض الإقناع بذكر قبائح الباطل والتنفير منه . فكثير من الناس قد ينخدع بظاهر الأمر دون أن يسبر غوره ، ويتعرف على خطاياه ، فإذا كشفت له تلك المساوئ المستورة ومثلت له بمثال معقول مطابق ، اقتنع به واستدل به على الحكم الصحيح الذي يجب أن يصير إليه من معرفة حقيقة ذلك الأمر ، وعدم الانخداع بظواهره الخلابة . وكذلك ما ورد لتصوير حال المنافق من حيرته وقلق نفسه وتخبطه في الظلمات ، وسرعة استجابته للفتن والمهلكات وما جاء من بيان قبح حال هذا المنافق وبيان مآله وقد جاء في هذا المثل بيان لصفات متعددة للمنافق ومن هذه الصفات المذمومة خوفهم ورهبتهم من المؤمنين أشد رهبة من الله تعالى ولو خافوا الله ما خافوا أحداً من عباده . ويمضي يقرر القرآن حالة قائمة في نفوس المنافقين والذين كفروا من أهل الكتاب ، تنشأ من حقيقتهم السابقة ، ورهبتهم للمؤمنين أشد من رهبتهم لله . ثم قوله تعالى :﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[3].وما تزال الأيام تكشف حقيقة الإعجاز في تشخيص حالة

---

١ –سورة الحشر جزء من الآية :١٣ .

٢ –إسماعيل ، محمد بكر ، مصدر سابق صـــ ٢٥٤، ٢٥٥ .

٣ –سورة الحشر الآية :١٤ .

المنافقين وأهل الكتاب حيثما التقى المؤمنون بهم في أي زمان وفي أي مكان . بشكل واضح للعيان . ولقد شهدت الاشتباكات الأخيرة في الأرض المقدسة بين المؤمنين الفدائيين وبين اليهود مصداق هذا الخبر بصورة عجيبة، فما كانوا يقاتلونهم إلا في المستعمرات المحصنة في أرض فلسطين ، فإذا انكشفوا لحظة واحدة ولو الأدبار كالجرذان حتى لكأن هذه الآية نزلت فيهم ابتداء . وسبحان العليم الخبير ! وتبقى الملامح النفسية الأخرى﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ ...﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾على خلاف المؤمنين الذين تتضامن أجيالهم وتجمعهم آصرة الإيمان من وراء فواصل الزمان والمكان ، والجنس والوطن والعشيرة ... ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ويضرب للمنافقين الذين أغروا إخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب بالمقاومة ، فانتهوا بهم إلى تلك النهاية البائسة . يضرب لهم مثلاً بحال دائمة ، حال الشيطان مع الإنسان ، الذي يستجيب لإغرائه فينتهي وإياه إلى شر مصير "[1].

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل:

أولاً : قال "الميداني" في قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾."فالاستفهام هنا ليس لطلب الفهم ، بل هو مستعمل مجازاً لأغراض أخرى ، منها ما يلي :

١- الإعلام بالمستفهم عنه وبيان حصوله .

٢- لفت النظر إلى المستفهم عنه لمعرفته .

٣- التنبيه على المستفهم عنه لاستحضاره في الذهن .

وكل ذلك يكون بمثابة التمهيد لما يراد التعرف به وبيانه من قضايا تتعلق بالمستفهم ."[2]

ثانياً : وقال "ابن عاشور " – رحمه الله تعالى – في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾والجملة

---

١ -قطب ، مصدر سابق (٦/ ٣٥٢٩) .

٢ – مسلم ، مصدر سابق (٨/ ٧٥) .

استئناف ابتدائي والاستفهام مستعمل في التعجب من حال المنافقين فبني على نفي العلم بحالهم كناية على التحريض على إيقاع هذا العلم كأنه يقول تأمل الذين نافقوا في حال مقالتهم لإخوانهم و لاتترك النظر في ذلك فإنه حال عجيب "[1].

ثالثًا : قال ابن "عاشور "- رحمه الله – في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾، والمراد بإخوانهم بنو النضير وإنما وصفهم بالإخوة لهم لأنهم كانوا متحدين في الكفر برسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – وليست هذه أخوة النسب فإن بني النضير من اليهود ،والمنافقين الذين بعثوا إليهم من بني عوف من عرب المدينة وأصلهم من الأزد . وفي وصف إخوانهم بـــــــ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾إيماءٌ إلى أن جانب الأخوة بينهم هو الكفر إلا أن كفر المنافقين كُفر الشرك وكفر إخوانهم كفر أهل الكتاب وهو الكفر برسالة محمد –صلى الله عليه وسلم –"[2].

رابعًا: وفي قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾فإذا أخرج اليهود فلن يخرج المنافقون معهم ، ولئن قوتلوا من قبل المسلمين فلن يقاتل المنافقون إلى جانب اليهود، وقد تم ما أخبر الله عنه وفي هذا دليل على صحة نبوة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – من جهة علم الغيب ، لأنهم أخرجوا فلم يخرجوا وقوتلوا فلم ينصروهم فتحقق قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾أي: في قولهم وفعلهم "[3]

خامسًا: وفي قوله تعالى :﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[4]. قال " ابن عاشور" – رحمه الله تعالى- " وسَمى الله الخبر شهادة لأنه خبر عن يقين بمنزلة الشهادة التي لا يتجازف المخبر في شأنها "[5] .

---

١ – مسلم ، مصدر سابق (٨/ ٧٥) .

٢ – ابن عاشور ، مصدر سابق (٨/ ٩٩) .

٣ – مسلم ، مصدر سابق (٨/ ٧٢) .

٤ – سورة الحشر جزء من الآية :١١ .

٥ – ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨/ ١٠٠) .

سادساً : وفي قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ ﴾.قال

" ابن عاشور" " بيان لجملة ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾،واللام موطئة للقسم وهذا تأكيد من الله تعالى لرسوله– صلى الله عليه وسلم – أنهم لن يضروه شيئاً لكيلا يعبأ بما بلغه من مقالتهم . وضمير ﴿ أُخْرِجُوا ﴾و﴿ قُوتِلُوا ﴾عائدان إلى ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾، أي الذين لم يخرجوا ولما يقاتلوا وهم قريظة وخيبر ، أما بنو النضير فقد أخرجوا قبل نزول هذه السورة فهم غير معنيين بهذا الخبر المستقبل .والمعنى : لئن اخرج بقية اليهود في المستقبل لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا في المستقبل لا ينصرونهم . وقد سلك في هذه البيان طريق الإطناب . فإن قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾جمع ما في هاتين الجملتين فجاء بيانه بطريقة الإطناب لزيادة تقرير كذبهم "[1].

سابعاً : قال "البقاعي " –رحمه الله – في قوله تعالى : ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾." أنتم يا معشر المسلمين أشد خوفاً وخشية في قلوب المنافقين واليهود من الله فهم يرهبون ويخافون منكم أشد من رهبتهم من الله لأنهم لا يفقهون قدرة الله وعظمته ،والإشارة بذلك إلى ما ذكر من كون رهبتهم منكم أيها المسلمون أشد من رهبتهم من الله بسبب أنهم قوم لا يفقهون عظمة الله فيخشونه حق خشيته والفقه : العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلي وغامضة الخفي بيقظة وقريحة " [2].

ثامناً: وفي قوله تعالى:﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[3].قرأ "ابن كثير" و"أبو

---

١ – ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨/ ١٠٠) .

٢ –مسلم ، التفسير الموضوعي ، مصدر سابق (٨/ ٧٢) .

٣ – سورة الحشر آية :١٤ .

عمرو"﴿ جُدُرٍ ﴾[1]على الجمع فعلى الإفراد المعنى لا يقاتلونكم حتى يكون بينكم وبينهم حاجز من حصن أو سور ، وعلى الجمع لا يقاتلونكم إلا في قرى محصنة ، فكما أن القرى جماعة كذلك الجدر جماعة متعددة ، ويشهد لذلك حال الأحفاد من يهود اليوم حيث يقاتلون بحصون مشيدة من الطائرات والدبابات والسيارات المصفحة ، فإن كانوا في ساحة الوغى بسلاح المشاة فروا لجبنهم ، والأحداث المعاصرة تشهد بذلك".

تاسعًا: قال "سيد قطب"– رحمه الله تعالى – في قوله تعالى :﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾.وتبقى الملامح النفسية الأخرى على خلاف الذين تتضامن أجيالهم ، وتجمعهم آصرة الإيمان من وراء فواصل الزمان ، والمكان ، والجنس ، والوطن ، والعشيرة .....

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾والمظاهرة قد تخدع فترى تضامن الذين كفروا من أهل الكتاب فيما بينهم ، ونرى عصبيتهم بعضهم لبعض ، كما نرى تجمع المنافقين أحياناً في معسكر واحد ، ولكن الخبر الصادق من السماء يأتينا بأنهم ليسوا كذلك في حقيقتهم ؛ إنما هو مظهر خارجي، خادع . وبين الحين والحين ينكشف هذا الستار الخداع ، فيبدو من ورائه صدق الخبر في دنيا الواقع المنظور ، وينكشف الحال عن نزاع في داخل المعسكر الواحد ، قائمٌ على اختلاف المصالح وتفرق الأهواء ، وتصادم الاتجاهات ، وما صدق المؤمنون مرة ، وتجمعت قلوبهم على الله حقاً إلا وانكشف المعسكر الآخر أمامهم عن هذه الاختلافات وهذا التضارب وهذا الرياء الذي لا يمثل حقيقة الحال . وما صبر المؤمنون وثبتوا إلا وشهدوا مظهر التماسك بين أهل الباطل يتفسخ وينهار ، وينكشف عن الخلاف الحاد والشقاق والكيد والدس في القلوب الشتيتة المتفرقة "[2].

عاشرًا: وفي قوله تعالى :﴿ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾"والوبال أصله وخامة المرعى المستلذ به للماشية ، تمش به الإبل فيمرضها أو يقتلها ، فشبه إقدامهم على حرب المسلمين

---

١ – ابن الجزري ، شهاب الدين أبي أحمد بن محمد ، شرح طيبة النشر ، دار الكتب العلمية صـــ٣١٨.

٢ –قطب ، مصدر سابق (٦/ ٢٥٢٩) .

وخيانتهم مع الجهل بعاقبة تلك الحرب بإبل ترامت على مرعى وبيل فهلكت ، وأمرهم هو شأنهم وما دبروه ، وذلك أنهم أوقعوا أنفسهم بالجلاء وترك الديار وما فيها ، والعطف بالواو بين ذوق الوبال والعذاب الأليم يدل على التغاير والاشتراك بينهما وعليه فذوق الوبال كان في الدنيا والعذاب الأليم كان في الآخرة والتعبير بالذوق للدلالة على أن العذاب مأخوذ من أعذبه إذا أزال عذوبته لأنه به تزول حلاوة العيش فينس العذاب ما حال بالإنسان من نعيم سابق"[1].

حادي عشر: قال " ابن عاشور "- رحمه الله - وفي قوله تعالى:﴿ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا ﴾" وجملة ﴿ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا ﴾إلى آخرها استئناف عن جملة ﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞ ﴾لأنه قد يسأل السائل : كيف ذلك ونحن نراهم متفقين ؟ فأجيب بأن ظاهر حالهم حال اجتماع واتحاد وهم في بواطنهم مختلفون فآراؤهم غير متفقة لا إلفة بينهم لأن بينهم إحنا وعداوات فلا يتعاضدون والخطاب لغير معين لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يحسب ذلك . وهذا تشجيع للمسلمين على قتالهم والاستخفاف بجماعتهم . وفي الآية تربية للمسلمين ليحذروا من التخالف والتدابر ويعلموا أن الأمة لا تكون ذات بأس على أعدائها إلا إذا كانت متفقة الضمائر يرون رأياً متماثلاً في أصول مصالحها ولا تفرق جماعتها ، وأنه لا يكفي في الاتحاد توافق الأقوال و لا التوافق على الأغراض إلا أن تكون الضمائر خالصة من الإحن والعداوات . والقلوب : المعقول والأفكار ، وإطلاق القلب على العقل كثير في اللغة "[2].

ثاني عشر : قال " ابن عاشور " في قوله تعالى :﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ ﴾[3] " والمراد أن حالهم المركبة من التظاهر بالبأس مع إضمار الخوف من المسلمين ، ومن التفرق بينهم وبين إخوانهم من أهل الكتاب ، ومن خذلان المنافقين إياهم عند الحاجة، ومن

---

١ –مسلم، مصدر سابق (٨/ ٧٥) .

٢ –ابن عاشور، مصدر سابق (٢٨/ ١١٠) .

٣ –سورة الحشر آية :١٥ .

أنهم لا يقاتلون المسلمين إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، كحال الذين كانوا من قبلهم في زمن قريب وهم بنو النضير فإنهم أظهروا الاستعداد للحرب وأبو الجلاء ، فلم يحاربوا إلا في قريتهم إذ حصنوها وقبعوا فيها حتى أعياهم الحصار فاضطروا إلى الجلاء و لم ينفعهم المنافقون و لا إخوانهم من أهل الكتاب "[1].

ثالث عشر :قال "سيد قطب "- رحمه الله – في قوله تعالى :﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ ﴾" وصورة الشيطان هنا ودوره مع من يستجيب له من بني الإنسان ، تتفقان مع طبيعته ومهمته . فأعجب العجب أن يستمع إليه الإنسان ، وحاله هو هذا الحال !وهي حقيقة دائمة يتنقل السياق القرآني إليها من تلك الواقعة العارضة ، فيربط بين الحادث المفرد والحقيقة الكلية ، في مجال حي من الواقع ، و لا ينعزل بالحقائق المجردة في الذهن فالحقائق المجردة الباردة لا تؤثر في المشاعر ، و لا تستجيش القلوب للاستجابة ، وهذا فرق ما بين منهج القرآن في خطاب القلوب ، ومنهج الفلاسفة والدارسين والباحثين ! وبهذا المثل الموحي تنتهي قصة بني النضير ، وقد ضمت في ثناياها وفي أعقابها هذا الحشد من الصور والحقائق والتوجيهات، واتصلت أحداثها المحلية الواقعة بالحقائق الكبرى المجردة الدائمة ، وكانت رحلة في عالم الواقع وفي عالم الضمير ، تمتد إلى أبعد من حدود الحادث ذاته ، وتفترق روايتها في كتاب الله عن روايتها في كتب البشر بمقدار ما بين صنع الله وصنع البشر من فوارق لا تقاس "[2].

رابع عشر :أن قوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾،هذه الجملة حال من ضمير ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾أي في الآخرة . والتعريف في الشيطان تعريف الجنس وكذلك تعريف الإنسان والمراد به الإنسان الكافر و لم ترد في الآخرة حادثة معينة من وسوسة الشيطان لإنسان معين في الدنيا ، وكيف يكون

---

١ -ابن عاشور، مصدر سابق (٢٨/ ١٠٧) .

٢ -قطب، مصدر سابق (٦/ ٣٥٣٠) .

ذلك والله تعالى يقول : ﴿ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾وهل يتكلم الشيطان مع الناس في الدنيا فإن ظاهر قوله :﴿ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ ﴾،أنه يقوله للإنسان ، وإما احتمال أن يقوله في نفسه فهو احتمال بعيد . فالحق أن قول الشيطان هذا هو ما في آية ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

خامس عشر : قال "ابن عاشور " –رحمه الله – وفي قوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ "وجملة {وذلك جزاء الظالمين } تذييل والإشارة إلى ما يدل عليه فكان عاقبتهما أنهما في النار من معنى ، فكانت عاقبتهما سوأى والعاقبة السوأى جزاء جميع الظالمين المعتدين على الله والمسلمين ، فكما كانت عاقبة الكافر وشيطانه عاقبة سوء كذلك لكون عاقبة الممثلين بهما وقد اشتركا في ظلم أهل الخير والهدى "[2].

المبحث الخامس : دراسة المثل في قوله تعالى:﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾[3].

المطلب الأول : مناسبة المثل لاسم السورة، والمناسبة بين السورة وسابقتها ،وأسباب نزولها ،وفيمن نزلت وتعلق المثل بالآيات السابقة وكذا الآيات اللاحقة :

مناسبة المثل لاسم السورة :

---

١ –سورة إبراهيم جزء من آية :٢٢ .

٢ –ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨/ ١١٠) .

٣ –سورة المنافقون الآيتين : ٤، ٥ .

المناسبة ظاهرة حيث تدور آيات المثال حول عناوين واضحة وهي ذم النفاق والمنافقين ، وكشف مؤامرتهم وفضح دسائسهم ، وتحذير المؤمنين من خصالهم الذميمة ، ويأتي بيان ذلك بالاسم وهو سورة المنافقون .

مناسبة بين السورة وسابقتها :

" الصلة بين سورة "المنافقين" وسورة "الجمعة" : صلةٌ واضحةٌ جليلةٌ ،ولعل من الدلائل على ذلك قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – بها يوم الجمعة يقرأ في الركعة الأولى بسورة الجمعة وفي الثانية بسورة المنافقون [1]، مما يدل على ما بينهم من تلازم وترابط سوف يتضح لنا فيما يلي :

١-في سورة "الجمعة" حديث عن اليهود وهم أشدُّ الناس عداوة للمؤمنين ، ثم جاءت سورة المنافقين لتكشف عن عدو أشد خطراً من اليهود ، فضلاً عما بين العدوين : اليهود والمنافقين على مر العصور من تحالفات ، وما تمكن اليهود في عصرنا هذا إلا بتأمر المنافقين، وكم تسربل يهود بثياب النفاق فأضمروا الكفر وتظاهروا بالإسلام كيداً وتآمراً . وحسبنا الله ونعم الوكيل !

٢-كما تتضح العلاقة بينهما في كذب اليهود والمنافقين في مزاعمهم ، فاليهود زعموا أنهم أولياء لله من دون الناس ، والمنافقون ادعوا الإيمان فجاءت سورة الجمعة مفندة لمزاعم اليهود وتلتها سورة المنافقون تفند أكاذيب المنافقين وتفضح أراجيفهم "[2] .

أسباب النزول وفيمن نزلت :

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما "عن زيد بن أرقم – رضي الله عنه – قال : كنت في غزاة ، فسمعت عبد الله بن أُبي يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعَمِّي أو لعُمر ، فذكره للنبي – صلى الله عليه

١ -صحيح مسلم ، باب صلاة الجمعة ،رقم الحديث ٨٧٧، صـــــــــ٣٣٨.

٢ -مسلم ، مصدر سابق التفسير الموضوعي (٨ / ١٦٨) .

وسلم – فدعاني فحدثته فأرسل رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – إلى عبد الله بن أُبّي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وَصَّدقهُ ، فأصابني هَمٌّ لم يُصبني مثلهُ قط فجلستُ في البيت فقال لي عَمِّي ما أردت إلى أن كذبك رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ومقتك ! فأنزل الله تعالى :﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾فبعث إليَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – فقرأ فقال إنَّ الله قد صدَّقك يازيد "[1].

ورواه الترمذي في السنن : ونصُّهُ عن زَيد بنُ أرقم – رضي الله عنه – قال : " غزونا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكان معنا أناس من الأعراب ، فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقونا إليه ،... فيسبق الأعرابي فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه ، قال فأتى رجل من الأنصار أعرابياً فأرخى زمام ناقته لتشرب ، فأبى أن يدعه فأنتزع قباض الماء فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشجه ، فأتى عبد الله بن أُبَيٍّ ، ثمَّ قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، يعني الأعراب وكانوا يحضرون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عند الطعام ، فقال عبد الله إذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمداً بالطعام فليأكل هو ومن عنده ، ثم قال لأصحابه لئن رجعنا إلى المدينة لُيخرجن الأعز منها الأذل ، قال زيد وأنا ردف رسول الله – صلى الله عليه وسلم –فسمعت عبد الله بن أبي فأخبرت عمِّي فانطلق فأخبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأرسل إليه رسول الله

– صلى الله عليه وسلم – فحَلَفَ وجَحَدَ قال فصدقه رسول الله– صلى الله عليه وسلم – وكذبني، قال فجاء عمي إلىَّ فقال ما أردت إلا أن مقتك رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وكذبك والمسلمون ! قال فوقع علي من الهم ، إذ أتاني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فعرك أُذُني وضحك في وجهي ، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا ، ثم إنَّ أبا بكر لحقني فقال : ما قال لك رسول الله– صلى الله عليه وسلم – ؟ قلتُ: ما قال لي شيئاً إلا أنه عَرَكَ أُذُني وضحك في وجهي

---

١ –رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب قوله تعالى ، الحديث رقم ٤٦١٧، ورواه مسلم في صحيحه أول كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، الحديث رقم ٢٧٧٢ .

، فقال : أبشر ، ثم لحقني عُمَرُ، فقلتُ له مثل قولي لأبي بكر ، فلما أصبحنا قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سورة المنافقين"[1].

وفي مسند الإمام احمد من حديث زيد قال : " ودعاهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليستغفر لهم فَلَوَّوْا رُءُوسهم ....."[2].

تعلق آيات المثل بما قبلها وما بعدها من الآيات :

نجد أن هذه السورة وحدة متكاملة ولذا نجد أن هناك ترابط بين السورة ووحدتها الموضوعية التي تتجلى في بيان صفات المنافقين سواء كان ذلك قبل آيات المثل أو بعد آيات المثل فنجد أن هناك تعلق واضح بين ماسبق المثال وما تخلل المثال وما بعد المثال .

قال "سيد قطب"– رحمه الله – " هي السورة التي تحمل هذا الاسم الخاص " المنافقون " الدال على موضوعها ، ليست هي السورة الوحيدة التي فيها ذكر النفاق والمنافقين ، ووصف أحوالهم ومكائدهم ، فلا تكاد تخلو سورة مدنية من ذكر المنافقين تلميحاً أو تصريحاً ، ولكن هذه السورة تكاد تكون مقصورة على الحديث عن المنافقين ، والإشارة إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم ورويت عنهم ، وهي تتضمن حملة عنيفة على أخلاق المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم ، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين ، ومن اللوم والجبن وانطماس البصائر والقلوب .وليس في السورة عدا هذا إلا لفته في نهايتها إلى الذين آمنوا لتحذيرهم من كل ما لصق بهم صفة من صفات المنافقين ، ولو من بعيد وأدنى درجات النفاق عدم التجرد لله ، والغفلة عن ذكره اشتغالاً بالأموال والأولاد ، والتقاعس عن البذل في سبيل الله حتى يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه البذل و الصدقات "[3].

---

١ –رواه الترمذي في السنن : أبواب تفسير القرآن ، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سُورة المنافقين ، الحديث رقم ٣٣٦٨ وقال :" حديث حسنٌ صحيحٌ".

٢ –رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣٧٣) حديث ١٩٣٥٣، وإسناده صحيح على شرط الشيخين .

٣ –قطب ، مصدر سابق (٦/ ٣٥٧٢) .

المطلب الثاني :أقوال أهل العلم في تفسير المثل قوله تعالى :﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

لما ذكر الله سبحانه وتعالى كذب المنافقين بيَّن هنا شيئاً من خصالهم الذميمة وطباعهم الدنيئة التي تتنافي مع مظهرهم الكاذب ، وتتناقض مع كلامهم المعسول ، حتى إن الناظر إليهم ينبهر بوجوههم الصبيحة ، والسامع لهم يطربُ ويستمع لألسنتهم الفصيحة ، فيصغي إلى قولهم وينخدع بمنطقهم ، ويغتر بهيئاتهم ومناظرهم ، وما لهم من النضارة والرونق ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾فتحسب أن قولهم حق وصدق لفصاحتهم ، وذلافة ألسنتهم "وقد كان عبد الله بن أُبَي رأس المنافقين فصيحاً جسيماً جميلاً ، وكان يحضر مجلس النبي – صلى الله عليه وسلم – فإذا قال سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – مقالته ، قال "الكلبي" : المراد عبد الله بن أبي ، وجد بن قيس ، ومتعب بن قيس كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة"[1]. ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ولكنهم أجسامٌ بلا عقول وألسنة بلا أفئدة ، وهياكل وأشباح بلا أرواح ، وهم في حضورهم مجالس النبي – صلى الله عليه وسلم – كالخُشب المسندة على جدار ، فوجودها كعدمها ، وكذلك المنافقون يخرجون كما دخلوا بل لا يزدادون إلَّا كفراً وارتياباً فهم محجوبون عن الفهم الصحيح ، محرومون من العلم النافع . ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾: وذلك لما جُبلوا عليه من الجُبن والخَوَر" يحسبون كلَّ صيحة يسمعونها واقعة عليهم ، نازلة بهم لفرط جُبنهم ورُعب قلوبهم"[2].وذلك بسبب " هلعهم وتخوفهم من كل ما يُتخيَّل منه بأس المسلمين ، لأنهم أعداء ألدَّاء للمسلمين ينظرون للمسلمين بمرآة نفوسهم ، فكما هم يتربصون بالمسلمين الدوائر ويتمنون الوقيعة بهم ، مع تظاهرهم بالمودة ، كذلك يظنون بالمسلمين التربص بهم وإضمار البطش بهم ، ويخشون في كل لحظة تمر بهم أن ينكشف أمرهم على نحو ما قال أبو الطيب :

---

١ –فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٣٠، ٢٣١) .

٢ – الشوكاني ، مصدر سابق، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٣١) .

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُهُ وصدَّق ما يعتادهُ من توهُّم ..."[1]

فالمنافق أشد الناس جبناً وهلعاً ، فقد الثقة وسُلبَ الأمنَ ، يفزع من أي طيف ، ويرتاع من أي صوت ، كما قال الشاعر في هجاء شخص أكول جبان :

إذا صوت العصفورُ طارَ فؤادُهُ وليثٌ حديدُ النابِ عندَ الثرائِدِ [2]

وكما قال آخر :

أفي السِّلْمِ أعيارٌ جَفَاء وغلظةُوفي الحرب أشباهُ النساءِ الفوارِكِ؟[3]

وقال "سيد قطب"– رحمه الله – وهذا النموذج من الناس ، لا ينقطع في جيل ولا في قبيل ، فهو موجود دائماً، وهو شجاع فصيحٌ بارزٌ حيثما كان هناك أمنٌ ورخاءٌ ومغنمٌ ، وهو جبان صامتٌ مُترو في الشدائد والمخاوف ، وهو شحيحٌ بخيلٌ على الخير وأهل الخير ، لا ينالهم منه إلا سلاطةُ اللسان !"[4].

﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾: "دعوةٌ عليهم بالهلاك والبوار ،وبيانٌ وإعلانٌ عن حرب الله لهم ؛ فكم صُرفوا عن الحق وصَرَفوا عنه مع وضوح الدلائل ! وكم قلبوا الحقائق وخلطوا المفاهيم وزخرفوا الأباطيل ! وكم خدعوا أنفسهم وخدعوا الآخرين معهم . استكبارٌ وعنادٌ"[5] .

قال " الطبري " – رحمه الله – " يقول جلَّ ذكره لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم- : وإذا رأيتَ هؤلاء المنافقين يا محمدُ تُعْجِبُك أجسامهم ؛ لاستواء خَلْقها ، وحُسنِ صُوَرِها ،﴿ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ ﴾يقول جل ثناؤه : وإن يتكلموا تسمع كلامهم ، يشبه منطقهم منطق الناس ،

---

١ –المتنبي ، أبو الطيب أحمد بن الحسين ، ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ،دار المعرفة بدون تاريخ (٤/ ١٣٥).

٢ –الأندلسي ، أحمد بن محمد بن عبد ربه ،العقد الفريد، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤، صـــــ١٢٨.

٣ – ابن هشام ، عبد الملك ، سيرة النبي ، مكتبة الصحابة ، طنطا ،ط١، ١٤١٦(٢/ ٣٣). .

٤ –قطب ، مصدر سابق (٦/ ٣٥٩٢) .

٥ –مسلم ، مصدر سابق ، التفسير الموضوعي (٨/ ١٧٧، ١٧٨) .

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾. يقول : كأن هؤلاء المنافقين خُشُبٌ مُسنَّدة، لا خير عندهم ، و لا فقه لهم و لا علم ، وإنما هم صورٌ بلا أحلام ، وأشباح بلا عقول .

وقوله : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾، يقول جل ثناؤه : يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم وسوء ظنهم وقلة يقينهم ، كل صيحة عليهم ؛ لأنهم على وجل أن يترل الله فيهم أمراً يهتك به أستارهم ويفضحهم ، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم ، فهم من خوفهم من ذلك ، كلما نزل بهم من الله وحي عل رسوله ، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم . يقول الله جل ثناؤه لنبيه – صلى الله عليه وسلم – هم العدو يا محمد فاحذرهم ، فإن ألسنتهم إذا لقوكم معكم ، وقلوبهم عليكم مع أعدائكم ، فهم عين لأعدائكم عليكم . وقوله : ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾. يقول : أخزاهم الله ، إلى أي وجه يصرفون عن الحق"[1] .

قال الشيخ "ابن عثمين " – رحمه الله – وقوله:﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾"من روائها ونضارتها . ﴿ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾أي : من حسن منطقهم تستلذ لاستماعه ، فأجسامهم وأقوالهم معجبة ولكن ليس وراء ذلك من الأخلاق الفاضلة والهدي الصالح شيء .

ولهذا قال : ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾لا منفعة فيها ، و لا ينال منهما إلا الضرر المحض ، ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾وذلك لجبنهم وفزعهم وضعف قلوبهم ، والريب الذي في قلوبهم ، يخافون أن يطلع عليهم ، فهؤلاء ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ ﴾على الحقيقة ، لأن العدو البارز المتميز أهون من العدو الذي لا يشعر به ، وهو مخادع ماكر ، يزعم أنه ولي ، وهو العدو المبين ﴿ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾أي : كيف يصرفون عن الدين الإسلامي بعد ما تبينت أدلته واتضح معالمه إلى الكفر الذي لا يفيدهم إلا الخسار والشقاء[2]" .

---

١ –الطبري ، مصدر سابق ، (٢٢/ ٦٥٢، ٦٥٣) .

٢ –ابن عثمين ، مصدر سابق (١٠/٣٠٦) .

المطلب الثالث : نوع المثل والغرض الذي من أجله ضرب المثل :

نوع المثل : أما نوع المثل فهو فهي هذه الآية تشبيه بسيط وفيه شبه الله تعالى المنافقين بالخشب المسندة عل الجدر فقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾" إن صورتهم وهم يجلسون في مجالس الرسول ــ صلى الله عليه وسلم – وقد أسندوا ظهورهم إلى الجدر ، وتظاهروا بالوقار وأعطوا لأنفسهم أفضل الأماكن في مجالسه ، وقلوبهم ونفوسهم وأفكارُهم وأسماعهم منصرفة كل الانصراف عما يقوله الرسول

–صلى الله عليه وسلم – ويحدث به من أمور تتعلق بالدين وأحكامه ، هذه الصورة تشبه صورة الخشب المسندة على الجدر ، إن الخشب ذات منظر وهياكل عظيمة رفيعة القامة ، لكنها فاقدة الحياة ، لا تسمع و لا تبصر و لا تعي شيئاً ، وهم ذو منظر معجب وهياكل عظيمة رفيعة القامة بين الناس ، لكنهم أجساد فقط ، خالية من روح الإيمان ، وقلوبهم وحواسهم لا تعي شيئاً مما يوجه لها من بيان ومواعظ وإرشادات . "[1].

الغرض الذي من أجله ضرب المثل :

قال "الميداني" : "ويلاحظ في هذا المثل دقة التصوير وحلاوته ، ويظهر من الأغراض فيه التوبيخ والتهكم "[2].وهذا من الغرض الذي قدمنا إليه في مبحث الأغراض التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية الغرض الثالث والذي استأثر بحظ وافر من أمثال القرآن بذم صفات أهل النفاق ويتضح ذلك في هذا المثل عند تشبيههم بالخشب المسندة على الجدار .

قال الدكتور " محمد بكر إسماعيل " : وقوله تعالى :﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾إشارة إلى أن هذا الذي يبدو من المنافقين من حسن المظهر ، ورقة الكلام ، ونعومة اللفظ لا يعدو هذا الظاهر من القوم إنهم أشبه بالخشب المسندة ، لا حياة فيها ، ولا وزن لها ، وإن زينت بالحلي وكسيت بالحرير ..ثم إن

---

١ –الميداني ، مصدر سابق ، أمثال القرآن صـــــ١٩٥ .

٢ –الميداني ، المصدر سابق صـــــــ ١٩٥ .

المنافقين ، وإن بدوا في ظاهرهم على صورة واحدة ، فإنهم في حقيقتهم ، أشتات متفرقون ، لا تجمعهم مشاعر الود، و لا تؤلف بينهم صلات هذا المعتقد الفاسد الذي يدينون به .. تماماً كالخشب المسندة ، كل كتلة منها قائمة إلى جوار غيرها لا تشعر بها و لا تحس بوجودها" [1].

ذكر هذه الصفات التي على جبنهم وكذا فسدت بواطنهم . قال " المراغي ": - رحمه الله – " أي هم أشباح بلا أروح ، لهم جمال في المنظر ، وقبح في المخبر فسدت بواطنهم ، وحسنت ظواهرهم ، فكانت كالخشب الجوفاء التي نخرها السوس ، فهي مع حسنها لا ينتفع فيها بعمل ، و لا يستفاد منها خبر ، ولله در أبي نواس :

لا تخدعنك اللحى ولا الصور ... تسعة أعشار من ترى البقر

تراهم كالسراب منتشراً ... وليس فيه لطالب مطر

في شجر السرو منهم مثل ... له رواءُ وما له ثمر "[2].

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً : "تضمنت هذه السورة الكريمة ضروباً من البلاغة وأنواعاً من الفصاحة والبيان والمعاني والبديع :

فمنها: تأكيد المنافقين كلامهم بـــــــــ {إنَّ }و{اللام} : في قوله ﴿ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾للإيذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم .

ومنهم : التأكيد بالقسم ، و{إنَّ} و {اللام } في قوله ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾زيادة في التقرير والبيان "[3].

---

١ -إسماعيل ، مصدر سابق صـــــــ٢٦٢ .

٢ -المراغي ، أحمد مصطفى ، تفسير المراغي ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ، ط ١٣٦٥هـــ ، (٢٨/ ١٠٨).

٣ -الهرري ، مصدر سابق ، (٢٩ / ٣٥٠) .

ثانيا: الجملة الاعتراضية في قوله : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾،جاءت معترضة بين الشرط وجوابه ؛ لبيان أنهم ما قالوا ذلك عن اعتقاد ، ولدفع توهم تكذيب دعواهم الشهادة بالرسالة . والأصل :﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾،فجاءت الجملة الاعتراضية تقريراً لمنطوق كلامهم لكونه مطابقاً للواقع "[1] .

ثالثا: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾،لغرض ذمهم والإشعار بعلية الحكم ، وكان الظاهر أن يقال : إنهم لكاذبون ، لسبق المرجع .

رابعًا: إطلاق الشهادة التي هي الإخبار عن حق على زورهم مجازاً كإطلاق البيع على الفاسد " [2] .

خامسا:قال " ابن عاشور"– رحمه الله – والمقصود من قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾، إعلام النبي –صلى الله عليه وسلم – وإعلام المسلمين بطائفة مبهمة شأنهم النفاق ليتوسموهم ويختبروا أحوالهم ، وقد يتلقى النبي – صلى الله عليه سلم – بطريق الوحي تعينهم أو تعيين بعضهم "[3]. يقول "سيد قطب " والتعبير من الدقة والاحتياط بصورة تثير الانتباه ، فهو يبادر بتثبيت الرسالة قبل تكذيب مقالة المنافقين ، ولولا هذا التحفظ لأوهم ظاهر العبارة تكذيب المنافقين في موضوع شهادتهم وهو الرسالة ، وليس هذا هو المقصود ، إنما المقصود تكذيب إقرارهم فهم لا يقرون الرسالة حقاً و لا يشهدون بها خالصي الضمير "[4].

سادسا : " وجملة ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾معترضة بين الجملتين المتعاطفتين وهذا الاعتراض لدفع إيهام من يسمع جملة ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾أنه تكذيب لجملة ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾فإن المسلمين كانوا يومئذ محفوفين بفئام من المنافقين مبثوثين بينهم هجِّيراهم فتنة المسلمين فكان

---

١ –الهرري ، مصدر سابق ، (٢٩ / ٣٥٠) بتصريف .

٢ –الهرري ، مصدر سابق ، (٢٩ / ٣٥٠) .

٣ –ابن عاشور ، مصدر سابق ، (٢٨ /٢٣٤) .

٤ –قطب ، مصدر سابق ، (٦ / ٢٥٧٤) .

المقام مقتضياً دفع الإيهام وهذا من الاحتراس "[1].

سابعًا : قال "الهرري" – رحمه الله – : " الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله ﴿ جُنَّةً ﴾، لأن الجنة حقيقة فيما يستتر به ويتقى به من المحذور كالترس ، ثم استعير لما يجعلونه وقاية لدمائهم وأموالهم من إظهار الإسلام "[2].

استدراك : عقب شيخنا الدكتور محمد بن أحمد بن عبد المعطي فقال:" إطلاق الاستعارة على" جُنة" هنا فيه نظر إذ من المعلوم أن الاستعارة بنت التشبيه وما دام الطرفان موجودان أعني المشبه وهو ﴿ أَيْمَٰنَهُمْ ﴾والمشبه به وهو ﴿ جُنَّةً ﴾فمن ثم لا يقال عنها استعارة بل هي تشبيه بليغ حيث شبه الأيمان وهو معنوي بالجنة وهو شيء حسي، وهما مفعولان ، واتخذوا التي هي من أخوات ظن تفيد التصير والتحويل كقولهم اتخاذ النجار الخشب باباً "

ثامنًا : وفي قوله تعالى :﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾جعلوا من الأيمان جُنة ووقاية للتمويه والخداع ، والصد عن سبيل الله ، واتخاذها جُنة عبارة عن إعدادهم وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ، ليحلفوا بها ، ويتنصلوا من سوء الفعال والمقال ، فهم مع صدودهم عن الحق وإعراضهم عنه وإحجامهم عن الدخول في الإسلام والانقياد لأحكامه ، قد صدوا الناس عن الإيمان والهجرة والجهاد ، وأعمال الطاعة والبر بما يشيعونه في المجتمع المسلم من تشكيك وقدح وطعن ، فبئس العمل عملهم ومن دقة التعبير القرآني تصويرهم وهم في قلقهم النفسي وقد استتروا بدرع واه من الأيمان الكاذبة ، لأنهم يعتبرون أنفسهم في حالة حرب مفتوحة مع المؤمنين "[3].

تاسعًا : قال " سيد قطب " –رحمه الله – ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾وهي توحي بأنهم كانوا يحلفون الأيمان كلما انكشف أمرهم ، أو عرف عنهم كيد أو تدبير ، أو نقلت عنهم مقالة سوء في المسلمين

---

١ –ابن عاشور ، مصدر سابق ، (٢٨/ ٢٣٥) .

٢ –الهرري ،التفسير الموضوعي ، مصدر سابق ، (٨/ ١٧٣) .

٣ –مسلم ، مصدر سابق ، (٢٩/ ٣٥١) .

. كانوا يحلفون ليتقوا ما يترتب على افتضاح أمر من أمورهم ، فيجعلون أيمانهم وقاية وجنة يحتمون وراءها ، ليواصلوا كيدهم ودسهم وإغواءهم للمخدوعين فيهم "[1].

عاشراً: قال " ابن عاشور " : والمعنى : جعلوا أيمانهم كالجنة يتقي بها ما يلحق من أذى . فلما شبهت الأيمان بالجنة على طريقة التشبيه البليغ ، أتبع ذلك بتشبيه الحَلف باتخاذ الجنة ، أي استعمالها ، ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ ﴾استعارة تبعية ، وليس هذا خاصاً بحلف عبد الله بن أبي أنه ما قال ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾، كما تقدم ذكر سبب نزولها ، بل هو أعم ، ولذلك فالوجه حمل ضمائر الجمع في قوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ ﴾

.[2]

حادي عشر : قال " ابن عاشور " ﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾" تفريع لصدهم عن سبيل الله على الحلف الكاذب لأن اليمين الفاجرة من كبائر الإثم لما فيها من الاستخفاف بجانب الله تعالى ، ولأنهم لما حلفوا على الكذب ظنوا أنهم قد أمنوا اتهام المسلمين إياهم بالنفاق فاستمروا على الكفر والمكر بالمسلمين وذلك صد عن سبيل الله ، أي إعراض عن الأعمال التي أمر الله بسلوكها . وفعل {صدوا } هنا قاصر الذي قياس مضارعه يصد بكسر الصاد . وجملة ﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾تذييل لتفظيع حالهم عن السامع وساء من أفعال الذم تُلحق ببئس عل تقدير تحويل صيغة فعلها عن فعل المفتوح العين إلى فعل المضمومها لقصد إفادة الذم مع إفادة التعجب بسبب ذلك التحويل كما نبه عليه صاحب الكشاف وأشار إليه صاحب التسهيل "[3].

ثان عشر : فقوله: ﴿ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ﴾خبر عن اسم الإشارة ، ومعني الباء السببية . ﴿ ثُمَّ ﴾للتراخي الرتبي فإن إبطان الكفر مع إظهار الإيمان أعظم من الكفر الصريح . وأن كفرهم أرسخ فيهم من

---

١ –مسلم ، مصدر سابق ، (٢٩/ ٣٥١) .

٢ –ابن عاشور ، مصدر سابق ، (٢٨/ ٢٣٦) .

٣ –ابن عاشور ، مصدر سابق ، (٢٨/ ٢٣٦) .

إظهار إيمانهم ويجوز أن يراد مع ذلك التراخي في الزمن وهو المهلة . فإسناد فعل ﴿ءَامَنُواْ﴾إليهم مع الإخبار عنهم قبل ذلك بأنهم كاذبون في قولهم ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾مستعمل في حقيقته ومجازه فإن مراتب المنافقين متفاوتة في النفاق وشدة الكفر فمنهم من آمنوا لما سمعوا آيات القرآن، أو لاحت لهم أنوار من النبي – صلى الله عليه وسلم – لم تثبت في قلوبهم ثم رجعوا إلى الكفر للوم أصحابهم عليهم أو لإلقائهم الشك في نفوسهم قال "ابن عطية" : وقد كان هذا موجوداً . قلت : ولعل الذين تابوا وحسن إسلامهم من هذا الفريق . فهؤلاء إسناد الإيمان إليهم حقيقة "[1] .

ثالث عشر:قال " الهرري " – رحمة الله – " التشبيه المرسل التمثيلي في قوله :﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾فالمشبه هم ، أي : رؤوساء المنافقين من المدينة ، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله- صلى الله عليه وسلم – ، ويستندون فيه إلى الجدر ، وكان النبي ومن حضر يتعجبون من هياكلهم المنصوبة . والمشبه به هو الخشب المنصوبة المسندة إلى الحائط ، ووجه الشبه : كون الجانبين أشباحاً خالية عن العلم والنظر ، عل حد قول حسان – رضي الله عنه – :

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير "[2].

رابع عشر: قال " الهرري" – رحمه الله تعالى – " التشبيه التمثيلي أيضاً في قوله:﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ ؛ أي إنهم لجبنهم وهلع نفوسهم واضطراب قلوبهم إذا ناد مناد في المعسكر ، أو انفلتت دابة ، أو نشدت ضالة .. وجفت قلوبهم وزايلهم رشدهم ، وحسبوا أن هناك شراً يتربص بهم وكيداً ينتظر الإيقاع بأرواحهم . وقد رمق الأخطل سماء هذا المعنى ، فقال :

ما زالت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكرُّ عليهم ورجالاً

ويمكن أن يقال : إن وجه الشبه بالخشب بل جعلها مسندة إلى الحائط لعدم الانتفاع بها لإنها إذا

---

١ –ابن عاشور ، مصدر سابق ، (٢٨/ ٢٣٧) .

٢ –الهرري ، مصدر سابق ، (٢٩/ ٢٥٣) .

كانت في سقف أو مكان ... ينتفع بها "[1].

خامس عشر : أسلوب التجريد في قوله :﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ﴾للدلالة على وقوعه وتحققه .

سادس عشر: وفي قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾؛وذلك لما جبلوا عليه من الجبن والخور ، ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾، يسمعونها واقعة عليهم ، نازلة بهم لفرط جبنهم ورعب قلوبهم؛ وذلك بسبب هلعهم وتخوفهم من كل ما يتخيل منه بأس المسلمين ، لأنهم أعداء ألداء للمسلمين ينظرون للمسلمين بمرآة نفوسهم ، فكما هم يتربصون بالمسلمين الدوائر ويتمنون الوقيعة بهم ، مع تظاهرهم بالمودة،كذلك يظنون بالمسلمين التربص بهم وإضمار البطش بهم ، ويخشون في كل لحظة تمر بهم أن ينكشف أمرهم على نحو ما قال أ بو الطيب :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

فالمنافق أشد الناس جبناً وهلعاً ، فقد الثقة وسلب الأمن ، يفزع من أي طيف ، ويرتاع من أي صوت كما قال الشاعر في هجاء شخص أكول جبان :

إذا صوت العصفور طار فؤاده وليث حديدُ الناب عند الثرائد

وكما قال آخر :

أفي السلم أعيار جفاء وغلظة وفي الحرب أشباه النساء الفوارك ؛"[2].

" وهذا النموذج من الناس ، لا ينقطع في جيل ولا في قبيل ، فهو موجود ودائم . وهو شجاع فصيحُ بارز حيثما كان هناك أمن ورخاء ومغنم ، وهو جبان صامت مترو في الشدائد والمخاوف ، وهو شحيح بخيل عل الخير وأهل الخير ، لا ينالهم منه إلا سلاطة اللسان !"[3].

سابع عشر : قال " ابن عاشور " في قوله تعالى :﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾فالخطاب في هذه

---

١ -الهرري ، مصدر سابق ، (٢٩/ ٢٥٣) .

٢ -سبق تخريجه صـــــ١١٩ .

٣ -قطب ، مصدر سابق ، (٦/ ٣٥٩٢) .

الآية لغير معين يشمل كل من يراهم ممن يظن أن تغره صورهم فلا يدخل فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – لأن الله قد أطلعه على أحوالهم وأوقفه على تعينهم فهم كالخطاب الذي في قوله في سورة الكهف: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾[1].والظاهر أن المراد بضمير الجمع واحد معين أو عدد محدود إذ يبعد أن يكون جميع المنافقين أحاسن الصور . وعن ابن عباس كان ابن أبي جسيماً صحيحاً صبيحاً ذلق اللسان . وقال الكلبي : المراد ابن أبي والجد بن قيس ومعتب بن قُشير كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة . وقال في الكشاف : وقوم من المنافقين في مثل صفة ابن أبي رؤساء المدينة "[2].

ثامن عشر: قال " ابن عاشور " في قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾:" هذه الجملة بمنزلة بدل البعض من مضمون جملة ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾، أي من مخالفة باطنهم المشوه للظاهر المموه ، أي هم أهل جبن في صورة شجعان . وهذا من جملة ما فضحته هذه السورة من دخائلهم ومطاوي نفوسهم كما تقدم في الآيات السابقة وإن اختلفت مواقعها من تفنن أساليب النظم ، فهي مشتركة في التنبيه على أسرارهم "[3].

تاسع عشر: " والتعريف في " العدو" تعريف الجنس الدال على معين كحال حقيقة العدو فيهم ، لأن أعدى الأعادي العدو المتظاهر بالموالاة وهو مداح وتحت ضلوعه الداء الدوي . وعلى هذا المعنى رتب عليه الأمر بالحذر منهم . والعدو : اسم يقع على الواحد والجمع . والمراد الحذر من الاغترار بظواهرهم الخلابة لئلا يُخلص المسلمون إليهم بسيرهم و لا يتقبلوا نصائحهم خشية المكائد . والخطاب للنبي –صلى الله عليه وسلم – ليبلغه المسلمين فيحذروهم "[4].

عشرون : قال " القرطبي " –رحمه الله – : "﴿ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾وجهان

---

١ –سورة الكهف جزء من آية :١٨ .

٢ –ابن عاشور، مصدر سابق (٢٨/ ٢٣٩) .

٣ –ابن عاشور، مصدر سابق (٢٨/ ٢٤٠) .

٤ –ابن عاشور، مصدر سابق (٢٨/ ٢٤١، ٢٤٢) .

أحدهما: فاحذر أن تثق بقولهم أو تميل إلى كلامهم .

الثاني : فاحذر مما يلتهم لأ عدائك و تخذيلهم لأصحابك "[1] .

واحد وعشرون: وفي قوله تعالى:﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾:" تذييل فإنه جمع على الإجمال ما يغني عن تعداد مذامهم كقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾.مسوق للتعجب من حال توغلهم في الضلالة والجهالة بُعدوهم عن الحق .

فافتتح التعجب منهم بجملة أصلها دعاء بالإهلاك والاستئصال ولكنها غلب استعمالها في التعجب أو التعجب من سوء الحال الذي جره صاحبه لنفسه فإن كثيراً من الكلم التي هي دعاء بسوء تستعمل في التعجب من فعل أو قول مكروه مثل قولهم : ثكلته أمه ، وويل أمه ، وتربت يمينه . واستعمال ذلك في التعجب مجاز مرسل للملازمة بين بُلوغ الحال في السوء وبين الدعاء على صاحبه بالهلاك ، إذ لا نفع له و لا للناس في بقائه ، ثم الملازمة بين الدعاء بالهلاك وبين التعجب من سوء الحال. فهى ملازمة بمرتبتين كنايةٌ رمزية "[2] .

ثان وعشرون: في التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾.

" ولفرط عداوتهم ولشدة التحذير منهم جاء التعبير عنهم بالعدو بلام الجنس للدلالة على شدة عداوتهم وفداحة مخاطرهم ، فكأنهم هم العدو الأول والأخير ، أو اللام هنا للعهد الذهني ، فإذا ذكرت العداوة فليتبادر ذكرهم إلى الأذهان فهم شُرٌ مستطير وداء عضال ، و لا تغفل عنهم أيها المسلم اليقظ ؛ فهم لا يغفلون ولا تنم فهم لا ينامون ، بل يواصلون المكر والتدبير ليل نهار ، فلتجعل عداوتهم نصب عينك ولتستحضرها في ذهنك ، و لا يغرنك تبسمهم في الكلام على وجه التودد والتقرب " [3].

---

١ -الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ١٢٦) .

٢ -ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨ /٢٤٢) .

٣ -مسلم ، التفسير الموضوعي ، مصدر سابق (٨/ ١٧٦) .

ثلاثة وعشرون:منها طباق السلب في قوله﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾.

أربعة وعشرون : قال " سيد قطب "- رحمه الله - : في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ۝٥ ﴾." فهم يغفلون الغفلة ، ويطلقون القولة . فإذا عرفوا أنها بلغت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جبنوا أو تخاذلوا وراحوا يقسمون بالأيمان يتخذونها جُنة فإذا قال لهم قائل : تعالوا يستغفر لكم رسول الله ، وهم في أمن من مواجهته ، لووا رؤوسهم ترفعاً واستكباراً ! وهذه وتلك سمتان متلازمتان في النفس المنافقة . وإن كان هذا التصرف يجئ عادة ممن لهم مركز في قومهم ومقام . ولكنهم هم في ذوات أنفسهم أضعف من المواجهة ؛ فهم يستكبرون ويصدون ويلوون رؤوسهم ما داموا في أمان من المواجهة . حتى إذا ووجهوا كان الجبن والتخاذل والأيمان !"[1].

خمسة وعشرون:"ومنها القول بالموجب في قوله ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ ﴾لأن حقيقة القول بالموجب :رد الخصم كلام خصمه من فحوى كلامه ، فإن موجب قول المنافقين الآنف ذكره في الآية :إخراج الرسول للمنافقين من المدينة ، وقد كان ذلك ،ألا ترى أن الله تعالى قال على إثر ذلك:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾"[2].

ستة وعشرون : قال " ابن عاشور " – رحمه الله - " وافتتحت الجملة بضميرها الظاهر دون الاكتفاء بالمستتر في ﴿ يَقُولُونَ ﴾معاملة لهم بنقيض مقصودهم فإنهم ستروا كيدهم بإظهار قصد النصيحة ففضح الله أمرهم بمزيد التصريح ، أي قد علمتُ أنكم تقولون هذا ،وفي إظهار الضمير أيضا تعريض بالتوبيخ كقوله تعال:﴿ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴾"[3] .

---

١ -قطب ، مصدر سابق (٦/ ٣٥٧٩) .

٢ -الهرري ، مصدر سابق (٢٩/ ٣٥٢) .

٣ -سورة ص جزء من آية :٦٠.

وليكون للجملة الاسمية إفادة ثبات الخبر ، وليكون الإتيان بالموصول مشعراً بأنهم عرفوا بهذه الصلة ، وصيغة المضارع في: ﴿ يَقُولُونَ ﴾. يشعر بأن في هذه المقالة تتكرر منهم لقصد إفشائها "[1].

سبعة وعشرون: وفي قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾[2]. قال " سيد قطب " – رحمه الله –: "وهي قولة يتجلى فيها خبث الطبع ، ولؤم النحيزة . وهي خطة التجويع التي يبدو أن خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان ، في حرب العقيدة ومناهضة الأديان ، ذلك أنهم لخسة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة كما هي في حسهم فيحاربون بها المؤمنين .إنها خطة قريش وهي تقاطع بني هاشم في الشعب لينفضوا عن نصرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويسلموه للمشركين !وهي خطة الشيوعيين في حرمان المتدينين في بلادهم من بطاقات التموين ، ليموتوا جوعاً أو يكفروا بالله ويتركوا الصلاة !وهي خطة غيرهم ممن يحاربون الدعوة إلى الله وحركة البعث الإسلامي في بلاد الإسلام ، بالحصار والتجويع ومحاولة سد أسباب العمل والارتزاق .... وهكذا يتوافى على هذه الوسيلة الخسيسة كل خصوم الإيمان ، من قديم الزمان ، إلى هذا الزمان ... ناسين الحقيقة البسيطة التي يذكرها القرآن لها قبل ختام هذه الآية : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾"[3]. ويتضح ذلك أيضاً الآن لما يحدث لثورات الربيع العربي فعندما وصل الإسلاميون إلى الحكم في مصر يضيق عليهم ويتكالب أهل الباطل على تفجير المشكلات الاقتصادية مثلما حدث من سحب الدولارات من البنوك أو افتعال أزمات الكهرباء والسولار وغيرها حتى يكفر الناس بالحل الإسلامي . وأيضا ما نجده في سوريا من التجاهل لأبسط ما ينادون به من حقوق الإنسان بل التضييق على المعونات حتى يرضخ الشعب وذلك لأن من حمل اللواء هناك هم أبناء الصحوة الإسلامية ولكن نقول لهم خزائن الله ملأى

---

١ – ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨/ ٢٤٦) .

٢ – سورة المنافقون ، جزء من الآية :٧ .

٣ – قطب ، مصدر سابق (٦/ ٣٥٧٩).

ثمانية وعشرون : وفي قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾.قال "ابن عاشور ": "وخزائن السماوات مقار أسباب حصول الأرزاق من عيون رسمية وأشعة الشمس والرياح الصالحة فيأتي ذلك بتوفير الثمار والحبوب وخصب المرعي وتزايد النتاج وأما خزائن الأرض فما فيها من أهرية ومطامير وأندر ، ومن كنوز الأحوال وما يفتح الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – من البلاد وما يفي عليه من أهل القرى.واللام في ﴿ وَلِلَّهِ ﴾أي التصرف في ذلك ملك لله تعالى . ولما كان الإنفاق على فقراء المسلمين مما يعين على ظهور الدين الذي أرسل الله به رسوله – صلى الله عليه وسلم – كان الإخبار بأن الخزائن لله كناية عن تيسير الله تعالى لرسوله – صلى الله عليه وسلم – حصوله ما ينفق منه كما دل عليه قوله – صلى الله عليه وسلم – لما قال له الأنصاري (و لا تخش من ذي العرش إقلالاً) [1] " بهذا أمرت" وذلك بما سيره الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – من زكوات المسلمين وغنائم الغزوات ، وما فتح الله عليه من البلاد بخيراتها ، وما أفاء الله عليه بغير قتال "[2].

تسعة وعشرون :" وتقديم المجرور من قوله :﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾لإفادة القصر القلب وهو قلب للازم قولهم لا لصريحة لأن المنافقين لما قالوا ﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾حسبوا أنهم إذا قطعوا الإنفاق على من عند رسول الله لا يجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما ينفق منه عليهم فأعلم الله رسوله مباشرة وأعلمهم تبعاً بأن ما عند الله من الرزق أعظم وأوسع . واستدراك قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾لرفع ما يتوهم من أنهم حين قالوا :﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾كانوا قالوه عن بصيرة ويقين بأن انقطاع إنفاقهم على الذين يلوذون برسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقطع رزقهم فينفضون عنه بناءً على أن القدرة على الإنفاق منحصرة فيهم لأنهم أهل الأحوال وقد غفلوا عن تعدد أسباب الغنى وأسباب الفقر " [3].

---

١ – رواه الطبراني في المعجم الكبير وأبو نعيم في الحلية والبزار وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٢٦٦١،(٦/٣٤٧).

٢ – ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨/ ٢٤٨)

٣ – ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨/ ٢٤٨)

ثلاثون : "والقول في الاستدراك بقوله:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾نظير القول آنفاً في قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾وعدل عن الإضمار في قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾وقد سبق اسمهم في نظير ما قبلها لتكون الجملة مستقلة الدلالة بذاتها فتسير سير المثل .وإنما نفي عنهم هنا العلم تجهيلاً بسوء التأمل في أمارات الظهور والانحطاط فلم يفطنوا للإقبال الذي في أحواله المسلمين وازدياد سلطانهم يوماً فيوماً وتناقص من أعدائهم فإن ذلك أمر مشاهد فكيف يظن المنافقون أن عزتهم أقوى من عزة قبائل العرب الذين يسقطون بأيدي المسلمين كلما غزوهم من يوم بدر فما عده"[1] .

المبحث السادس : وفيه بيان صفات المنافقين من خلال الأمثلة السابقة والوسائل الشرعية لمواجهة النفاق وأساليبه[2].

المطلب الأول : صفات المنافقين كما جاءت في الأمثال القرآنية :

كان المنافقون يعيشون مع المؤمنين جنباً إلى جنب ؛ يؤكلونهم ويجالسونهم ويخالطونهم ، لكنهم انفردوا عنهم بصفات أصبحت للمؤمنين حتى لا ينخدعوا بهؤلاء القوم ؛ فعراهم ، وأخزاهم ، وفضحهم دون أن يذكر أسماءهم ؛ ليبقى النظر في الصفات ومدى تحققها كل عصر وحين هو الضابط في معرفة المنافقين . و لم تكن الإشارة القرآنية للمنافقين وصفاتهم مقتصرة على سورة أو سورتين ، بل إن عامة السور المدنية

– كما يقرر شيخ الإسلام –"ابن تيمية " يُذكر فيها المنافقون[3] ومن هنا فقد كان من الضروري أن نتتبع هذه الصفات ونتعرف إليها ، ونضعها في إطارها التصنيفي المناسب ؛ ذلك أنه من خلال البحث والاستقراء تبين أن هناك بعض صفات للمنافقين في الكتاب الكريم تعتبر خصائص ذاتية

---

١ – ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨/ ٢٥٠)

٢ –هذا المبحث استفدت فيه كثيراً من رسالة ماجستير بعنوان "دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة "، عادل علي الشدي ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، طبعة أولى ١٤٢٤ه

٣ – ابن تيمية ،مصدر سابق (٧/ ٤٦٣).

للمنافق وخصائص غير ذاتية توجد في جيل من المنافقين دون جيل نتيجة لعوامل المكان والزمان ، وارتباط ذلك بالظروف التي يعيشها المنافقون ، وحدود علاقتهم بالسلطة في مجتمعهم ، ومدى قرب أو بعد هذه السلطة عن تطبيق شرع الله تبارك وتعالى وإليك مجمل هذه الصفات الذاتية والغير ذاتية :

الصفة الأولى : **إدعاء الإيمان كذباً** :

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾[1].

روى أسباط عن السدي في قوله :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾قال : " هم المنافقون "[2].وروى ابن كثير عن ابن عباس ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾يعني المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم ، وكذا فسرها بالمنافقين من الأوس والخزرج أبو العالية والحسن وقتادة والسدي "[3].وروى ابن جرير الطبري إجماع المفسرين على أن هذه الآية نزلت في المنافقين فقال :" وأجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق وأن هذه الصفة صفتهم "[4].

ولقد اقترن إدعاء هؤلاء الناس بتكذيب من رب الناس لهذا الادعاء الكاذب بعده مباشرة ، فلم يدع السياق أي مجال للشك في كذب هؤلاء الناس في دعواهم الإيمان بالله وبكتابة وبرسوله – صلى الله عليه وسلم – فقد كشفت هذه الآيات حقيقة ادعائهم ؛ فنفت عنهم صفة الإيمان ، ووصفتهم بالخداع والشك والكذب ، وتذهب الآيات إلى أكثر من ذلك ، فتكشف أسباب تصورهم هذا فهم يعتقدون في دخيلة أنفسهم أن عقيدة المسلمين ما هي إلا نتيجة السفه وقلة العقل والفهم ، وهم يستنكفون لذلك –حسب زعمهم – من اعتناق مثل تلك العقيدة .

---

١ – سورة البقرة ، الآية : ٨.

٢ – القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر ،الجامع لأحكام القرآن ، مؤسسة الرسالة ، طبعة اولى ١٤٢٧هـ، (١/ ٢٩٣)

٣ – ابن كثير ، مصدر سابق ، (١/ ٢٨٢)

٤ – الطبري ، مصدر سابق ، (١/ ٢٧٥) .

الصفة الثانية :الخداع والمراوغة :

ودليله قول الله تعالى:﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾[1]."وهذه صفة أخرى من صفات القوم : الخداع الذي يتضمن معنى المكر والمراوغة ، ولكن يتبين من ذلك أيضاً سفههم وخفة عقولهم إذ أنهم يعتقدون أن هذا الخداع والمكر ينطلي على ربهم وعلى المؤمنين ، وهذا وهم منهم لأن الله تعالى لاتخفى عنه خافية ، وقد أخبر عباده المؤمنين بصفات أهل النفاق ليحذروهم و لا يأمنوا جانبهم"[2] .قال "الفخر الرازي " –رحمه الله – : " وأما حد المخادعة فهو إظهار ما يوهم السلامة والسداد ، وإبطان ما يقتضي الإضرار بالغير والتخلص منه ، فهو بمنزلة النفاق في الكفر ، والرياء في الأفعال الحسنة " [3]. قال "الطبري " – رحمه الله – " وخداع المنافق ربه والمؤمنين ، إظهاره بلسانه من القول والتصديق ، خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب ؛ ليدرأ عن نفسه بما أظهر بلسانه ما اظهر من التصديق والإقرار من القتل والسِّباءِ . فذلك خِداعُه ربه وأهل الإيمان بالله " [4].

"والذي نخلص إليه أن المخادعة والمراوغة صفة متأصلة في المنافق مما يجعله مصدر خطر دائم بمراوغته وتلونه ومخادعته لأهل الإيمان ، ولذلك فإنك ترى المنافق كثير التقلب والتغير ؛ يتقدم في أمر فإذا سئل عنه أنكره ونفاه ، ويترك أمراً فإذا عوتب فيه أصر على أنه لم يتركه بل فعله وأذاه ، وهكذا يسير وديدنه المخادعة والمراوغة للمؤمنين ، ولا سيما أهل العلم والصلاح منهم الذين يريدون استجلاء الحقيقة ومعرفة الخبر الصحيح عن حال هؤلاء القوم وفعالهم "[5].

---

١ – سورة البقرة ، الآية :٩ .

٢ – الشدي ، عادل بن علي ، دارسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة ،دار الوطن للنشر، طبعة أولى ١٤٢٤هـ ، صـ٩٧.

٣ – الشدي ، مصدر سابق ، صـ١٠٧ .

٤ – الطبري ، مصدر سابق ، (١/ ٢٧٩، ٢٨٠) .

٥ – الشدي ، مصدر سابق ، صـ١٠٧.

الصفة الثالثة : **مرض القلب** :

وهذا دليله قوله تعالى :﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾[1]. إن المنافق شخص مريض ، ليس مرضاً بدنياً فقد يكون من أشد الناس قوة وهيئة كما قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾[2].ولكنه مريض القلب والمرض : " هو كل ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة من علة أو نفاق ،أو تقصير في أمر قاله ابن فارس . وقيل : هو الألم ، فيكون على هذا مستعاراً للفساد الذي في عقائدهم ، إما شكاً ، أو نفقاً ، أو جحداً ، أو تكذيباً "[3] . ويقول " ابن القيم " – رحمه الله – " ومرض القلب خروجه عن صحته واعتداله . فإن صحته أن يكون عارفاً بالحق له ، مؤثراً له على غيره ، فمرضه إما بالشك فيه ، وإما بإيثار غيره عليه . فمرض المنافقين مرض شك وريب ، ومرض العصاة مرض غي وشهوة ، وقد سمى الله سبحانه كلاً منهما مرضاً .

قال "ابن الأنباري " : أصل المرض في اللغة : الفساد ، مرض فلان : فسد جسمه ، وتغيرت حاله . ومرضت بالمرض : تغيرت وفسدت قالت ليلى الأخيلية :

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقص دائها فشفاها

وقال آخر :

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة لفقد الحسين ، ونقصان ، وظلمة

والمرض يدور على أربعة أشياء : فساد ، وضعف ، ونقصان ، وظلمة، وقال "الأزهري" عن المنذري عن بعض أصحابه : المرض هوإظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها . قال : والمرض الظلمة ، وأنشد:

وليلة مرضت من كل ناحية فما يضئ لها شمس و لاقمر

هذا أصله في اللغة . ثم الشك ، والجهل ، والحيرة ، والضلال ، وإرادة الغي ، وشهوة الفجور في القلب تعود إلى هذه الأمور الأربعة ، فيتعاطى العبد أسباب المرض حتى يمرض ، فيعاقبه الله بزيادة

---

١ – سورة البقرة ، جزء من الآية :١٠.

٢ – سورة المنافقون ، جزء من الآية :٤.

٣ – الشوكاني ،محمد بن علي ،فتح القدير ،مكتبة الحلبي ،الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ(١/ ٤١) .

المرض ، لإيثاره أسبابه وتعاطيه لها "[1].

***الصفة الرابعة :*إظهار الصلاح ، مع إفسادهم في الأرض :**

قال تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[2]. وما دام أنهم قد ادعوا الإيمان في بادئ الأمر – مع كذبهم في دعواهم – فمن باب أولى أنهم سيدعون الصلاح والإصلاح ، ويتظاهرون به أمام الناس مع كونهم مفسدين والفساد هو : الخروج عن حال الاستقامة والنفع . وقيل : هو التخريب وخروج الشئ عن كونه منتفعاً به ، ونقيضه الصلاح والمراد منه : الصد عن سبيل الله والإفساد في الأرض هو حال المنافقين ، وحين يقول لهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو بعض المؤمنين ، أو بعض من كانوا يُلقون إليه الفساد فلا يقبله منهم بل ينقلب واعظاً لهم ﴿ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾. حينئذ يُغالطون الواقع ، ويستكبرون عن الحق بل ويزعمون أن عملهم الذي يقومون به ، ويراه المؤمنون إفساداً ، هو ذاته إصلاح في نظرهم هم وحدهم . وتأمل كم من المراحل البعيدة بين وصف فعل بأنه إفساد ووصف ذات الفعل بأنه إصلاح ؛ فإن بينهما مرتبة أن يكون الفعل فاسداً في نفسه و لا يتعدى خطره ليكون إفساداً ، ثم مرتبة أن يكون الفعل ليس بفاسد و لا بصالح بل فعل مباح لا يتعدى إلى غيره ، وبعد ذلك كله تأتي مرتبة كون الفعل إصلاحاً يتعدى إلى الخلق إضافة إلى نفعه لصاحبه ، لكن المنافقين يتجاوزون كل هذه المراتب فيصنفون فعلهم الذي نفر منه المؤمنون – ورأوه إفساداً وخطراً في الأرض – على أنه إصلاح وخير في الأرض . وهذه الصفة من لوازم النفاق ، فالمنافق لما كان يظهر الإيمان ويبطن الكفر ، فهو دائماً يظهر مفردات الإيمان من الصلاح والإصلاح ويبطن مفردات الكفر من الفساد ، فإذا طلع أحد من المؤمنين على حقيقة عمله وواجهه بذلك ادعى أنه ما قصد إلا الإصلاح ، وأخذ يضفي على عمله نوعاً من الشرعية حتى يتقبله الناس و لا يرفضونه .

---

١ – ابن القيم ،شفاء العليل ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ص (٩٨ ، ٩٩) .

٢ – سورة البقرة الآيتان : ١١ ،١٢ .

الصفة الخامسة :السخرية من المؤمنين ودينهم :

ودليله قوله تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

وتلحظ ومن خلال هاتين الآيتين ملحوظتين :

أولهما : وصف المنافقين للمؤمنين بالسفه .

ثانيهما : اعتراف المنافقين لأوليائهم بأنهم إنما صحبوا المؤمنين للاستهزاء بهم .

فهم يصفون كبار الصحابة و سادات المؤمنين بالسفه لإيمانهم وتصديقهم ، ويتهكمون بهم ، ويسخرون منهم في خلواتهم ، لكن الله يفضحهم ويُعلن ما استسروا به ، بل ويرد عليهم تهمتهم وفريتهم ، فيقول وقوله الحق ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾. فإن السفه الحقيقي أن يسلك الإنسان السبيل الذي عاقبته الشر والمضرة ، وهو يعتقد أنه يفعل الحق والصواب ، وهذا هو عين ما فعله أولئك المنافقون بسلوكهم درب النفاق بدلاً من الإيمان ، ولو كانوا من أهل العقول والأحلام لما سلكوا هذا السبيل ، ولما اتهموا أهل الإيمان – السالكين درباً عاقبته الخير والسعادة – بالسفه ونق العقل . والسخرية والاستهزاء من أهم علامات المنافق ، فتراه يسخر من أهل الإيمان والاستقامة ، فلا يترك مجلساً و لا مناسبةً إلا وسلط عليهم فيها لسانه بالغمز والسخرية والاستهزاء .

الصفة السادسة : الحلف الكاذب والتستر بالأيمان :

والدليل قوله تعالى :﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[2].إن التذبذب والاضطراب وعدم الثبات على المواقف من أهم ما يبرز شخصية المنافق ، وهو يعلم ذلك من نفسه لما يحدث في قلبه من خوف ووجل نتيجة تصرفاته الخاطئة ، ومواقفه النفاقية ، ولذلك فإن

---

١ – سورة البقرة : الآيتان : ١٣، ١٤ .

٢ – سورة المنافقون : الآية: ٢ .

المنافق اعتاد على الحلف الكاذب لتبرير مواقفه ، ولبيان أنه ما قصد به إلا الخير والصلاح .

قال الشوكاني : " أن جعلوا حلفهم الذي حلفوا لكم ؛ إنهم لمنكم ، وإن محمداً لرسول الله وقاية تقيهم منكم ، وسترة يستترون بها من القتل والأسر "[1] .فليس عندهم تعظيم لله – عزو جل – و لا يخافون من الكذب عليه ، بل المهم عندهم أ لا يُساء بهم الظن ، وأن تحمل أقوالهم وأفعالهم على أحسن محمل . قال تعالى :﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2].

الصفة السابعة : **الخوف الدائم من أن يفضح الله أمرهم للناس :**

ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[3].

الآيات التي كشفت نفاقهم ، وأبانت زيغ قلوبهم ، وكان أكثرها في سورة التوبة ولذلك قال قتادة : كانت تسمى السورة : الفاضحة ، فاضحة المنافقين .

وقال " القرطبي " – رحمه الله – عن هذه السورة : " ولهذا سميت : الفاضحة ، والمثيرة ، والمبعثرة ، وقال الحسن : كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفارة ، لأنها حفرت ما في قلوب المنافقين فأظهرته "[4].

فكان عقابهم بأن فضحهم الله في الدنيا وجعل النار مصيرهم في الآخرة . وفي إخراج الله ما يحذرون وجهان ذكرهما "ابن الجوزي ": أحدهما : مظهر ما تسرون .

والثاني : ناصر من تخذلون "[5].

---

١ – الشوكاني :مصدر سابق (٥ / ٢٦٥) .

٢ – سورة التوبة الآية :٥٦ .

٣ – سورة التوبة الآية :٦٤ .

٤ – تفسير القرطبي (٨ /١٩٦).

٥ – زاد المسير (٣ /٤٦٣).

قال "القرطبي" – رحمه الله – : " وقيل : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾[1]. كلام ضميره فيه لا يفتقر إلى ما بعده ، وتقديره : يحسبون كل صيحة عليهم ،أنهم قد فطن بهم وعُلم بنفاقهم؛ لأن للريبة خوفاً ، ثم استأنف الله خطاب نبيه –صلى الله عليه وسلم – فقال : ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ ﴾وهذا معنى قول الضحاك "[2].

الصفة الثامنة : **الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ، ومحبة نشر الفاحشة في المؤمنين :**

ودليل ذلك قوله تعالى﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[3].قال "ابن جرير" :" وهو الكفر بالله وبمحمد – صلى الله عليه وسلم – وبما جاء به ، وتكذيبه ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾يقول : وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله وبما جاءهم من عند الله "[4] .وقال "الشوكاني ": ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ ﴾هو كل قبيح عقلاً وشرعاً

﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾هو كل حسن عقلاً وشرعاً "[5].

فتبين بذلك أن المنافقين يأمرون بكل منكر ، وينهون عن كل معروف ، ومن فعل ذلك فقد بلغ الغاية في الكفر والخسة ورداءة الطبع وموت القلب ، وهم كذلك يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، كما قيل : " تود الزانية لو زنت كل النساء " ، حتى لا يكون لأحد مزية على أحد ، وكذلك المنافق لما كان معدن كل خلق قبيح ، فمعنى أن يقع المؤمنون في الفاحشة بل وفي الكفر أيضاً ، لأنه إذا تحقق ذلك ما استطاع أحد أن ينكر على هذا المنافق خلقاً أو تصرفاً .قال تعالى :﴿ إِنَّ

---

١ – سورة المنافقون : الآية : ٤

٢ – تفسير القرطبي : (١٧/ ١٢٦) .

٣ – سورة التوبة الآية :٦٧.

٤ – الطبري : مصدر سابق (١٠/ ٥٤٨).

٥ – الطبري : مصدر سابق (١٠/ ٥٤٨).

ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1][2].

الصفة التاسعة : **أخوتهم لليهود ومناصرتهم لهم :**

قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[3]. إن الكفر ملة واحدة ، وإن تعددت أشكاله ، وتنوعت أسبابه ، واختلفت مشاربه واتجاهاته ، والكفار يختلفون ، وقد يصل مدى الاختلاف فيما بينهم إلى سفك الدماء وهتك الأعراض وإحراق الأخضر واليابس .ولكن إذا كان الخطر الذي أمامهم هو الإسلام ، وإذا كانت الصحوة الإسلامية هي المؤرق لمضاجعهم ، وإذا علت الأصوات من كل مكان تطالب بعودة الإسلام وهيمنته من جديد ،تجمع هذا الشتات ، وتحالفت قوى الكفر جميعاً لصد هذا الخطر الإسلامي المرتقب ، ولو أدت تلك الصيحات الخافتة المنادية بعودة الإسلام في مهدها .

الصفة العاشرة :الاستكبار عن قبول الحق ، والإعراض عن التوبة :

قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[4]. قال الحافظ " ابن كثير " في تفسيره : " يقول تعالى وإذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس ؛ أي :كإيمان الناس بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، والجنة والنار ، وغير ذلك مما أخبر المؤمنين به وعنه ، وأطيعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزواجر ﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ يعنون –لعنهم الله – أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم –رضي الله

---

١ – سورة النور : الآية : ١٩ .

٢ – الشدي ، مصدر سابق ، صـــــــــــــــــ٢٤١.

٣ – سورة الحشر الآية :١١ .

٤ – سورة البقرة الآية :١٣ .

عنهم – ، قال أبو العالية والسدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وغير واحد من الصحابة ، وبه يقول الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم يقولون : أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء ؟ والسفهاء جمع سفيه لأن الحكماء جمع حكيم والحلماء جمع حليم ، والسفيه هو الجاهل ، الضعيف الرأي ، القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار "[1].

الصفة الحادية عشر : حسن المظهر وسوء المخبر :

ودليله قوله تعالى :﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾[2]. قال "ابن كثير" :" أي وكانوا أشكالاً حسنة وذوي فصاحة وألسنة ، وإذا سمعهم السامع ينصت إلى قولهم لبلاغتهم ، وهو مع ذلك في غاية الضعف ، والخور ، والهلع ، والجزع ، والجبن " [3].

فالمنافق قد يكون حسن المظهر ، جميل الثياب ، سوى الهندام ، فصيح اللسان يُعجب السامعين قوله ، ويهتز له الحضور طرباً ، ومع ذلك فهو خبيث النفس ، سيء الطبع ، قلبه خاوي عن الفضائل ، مظلم بالشهوات والشبهات ، قفر إلا من الخبث والرذائل .

الصفة الثانية عشر : التواصي بالحصار الاقتصادي على المؤمنين حتى يتركوا دينهم :

ودليل هذه الصفة قوله تعالى :﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾[4]. قال "سيد قطب " – رحمه الله – هي خطة كل محارب للدعوة إلى الله ، وحركة البعث

---

١ – ابن كثير ، مصدر سابق (١/ ٢٨٩، ٢٩٠) .

٢ – سورة المنافقون جزء من الآية :٤ .

٣ – ابن كثير ، مصدر سابق (١٤/ ٦) .

٤ – سورة المنافقون ، جزء من الآية : ٧ .

الإسلامي في بلاد الإسلام ؛ بالحصار ، والتجويع ، ومحاولة سد أسباب العمل ، والارتزاق "[1].

قال "ابن عاشور " – رحمه الله – : "هذا أيضاً من مقالاتهم في مجامعهم وجماعتهم ، يقولونها لإخوانهم الذين كانوا ينفقون على فقراء المسلمين تظاهراً بالإسلام ، كأنهم يقول بعضهم لبعض : تظاهر بالإسلام بغير الإنفاق . وكلامهم هذا ظاهرة النصيحة ، وباطنه الكفر والخديعة "[2] .

قال " سيد قطب " – رحمه الله –:" وهكذا يتوافى على هذه الوسيلة الخسيسة كل خصوم الإيمان من قديم الزمان ، إلى هذا الزمان ، ناسين الحقيقة البسيطة التي يذكرهم القرآن بها قبل ختام هذه الآية ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾[3]. ومن خزائن الله في السموات والأرض يرتزق هؤلاء الذين يحاولون أن يتحكموا في أرزاق المؤمنين ، فليسوا هم الذين يخلفون رزق أنفسهم ، فما أغباهم وأقل فقههم ، وهم يحاولون قطع الرزق عن الآخرين وهكذا يُثبت الله المؤمنين ، ويقوي قلوبهم على مواجهة هذه الخطة اللئيمة والوسيلة الخسيسة ،التي يلجأ أعداء الله إليها في حربهم "[4]

الصفة الثالثة عشر : **التذبذب في المواقف وعدم الثبات على الرأي :**

ودليله قوله تعالى :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ﴾[5] .

قال " ابن كثير " : " إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران ، واستبدالهم الضلالة بالهدى ، فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون ، أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى ، و لا يخلص إليها خير، فلا تعى و لا تهتدى "[6]. وهذا التذبذب في المواقف وتقديم العاجلة على الآجلة ، وشراء

---

١ – قطب ، مصدر سابق (٦/ ٣٥٧٩) .

٢ – التحرير والتنوير ، مصدر سابق (٢٨/ ٢٤٦) .

٣ – سورة المنافقين ، جزء من الآية :٧.

٤ – قطب، مصدر سابق ، (٦/ ٣٥٧٩) .

٥ – سورة المنافقين ، الآية : ٣.

٦ – قطب، مصدر سابق ، (٦/ ٣٥٧٩) .

الضلالة بالهدى، سبب في سوء الخاتمة ، والموت على الكفر والضلال والعياذ بالله ، ومن كان هذا حاله لا يغفر الله له ، و لا يرحمه ، و لا يدخله جنته كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ﴾[1].

***الصفة الرابعة عشر* : البخل بما في أيديهم ، ولمز الباذلين من المؤمنين ، واتهام نواياهم :**

إن المنافق لا يؤمن بالله ورسوله ، ويعمل على تقويض دعائم هذا الدين وهدم أصوله ومبانية ، وهو يعلم أن المال عنصر رئيس في دعم حركة الجهاد في سبيل الله ، وكذلك في دعم حركة بناء مؤسسات الدولة التي تعمل على تماسكها واستمرارها ؛ ولذلك فإن هذا المنافق يبخل بما لديه من مال ، لإعاقة مسيرة الجهاد في سبيل الله ، ولإحداث الشلل في مؤسسات الدولة ، ونسي المسكين أن لله خزائن السموات والأرض وأن الله – عز وجل – في غنى عن أموال المنافقين التي ينفقونها عن طيب نفس ، بل لا ينفقونها إلا رياء وسمعة ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾[2] .

الصفة الخامسة عشر : إيذاء النبي – صلى الله عليه وسلم – بوصفه بما لا يليق ، ولمزه في الصدقات ، واتهامه في عرضه :

ودليل هذه الصفة قوله تعالى : ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾[3] . قال الحافظ " ابن كثير " – رحمه الله – " يقول الله : ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالكلام فيه ، ويقولون: ﴿ هُوَ أُذُنٞ ﴾أي من قال شيئاً صدقه فينا ، ومن حدثه

---

١ – سورة النساء : الآية : ١٦٨ .

٢ – سورة التوبة : الآيات : ٧٥– ٧٧ .

٣ – سورة التوبة : آية : ٦١ .

صدقه ، فإذا جئناه وحلفنا له صدقنا "[1] .

وقد استحق هؤلاء اللعنة في الدنيا والآخرة ؛ بإيذائهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإدخالهم الحزن على قلبه ، فهو لا يستحق ذلك منهم ، بل كان الأولى أن يوقروه ، ويتأدبوا معه ؛ لأنه جاءهم بالخير والهدى والصلاح .

المطلب الثاني : الوسائل التربوية والإيمانية لمواجهة النفاق وأساليبه :

بعد أن عرضنا للنفاق ودراسة أمثاله وأثار النفاق الخطيرة على الأمة الإسلامية ، ووضحت صفات هؤلاء المنافقين وكذلك أساليبهم ووسائلهم في تدمير المجتمع ؛ لذا كانت وجوباً المواجهة الفورية للنفاق وأهله وأساليبهم ، وعدم تأخيرها لأي سبب من الأسباب وتحت أي ظرف من الظروف ، وحين تتخلف المواجهة أو تضعف عزيمة المواجهين فإن ذلك سيؤدي إلى تدمير المجتمع على أيدي المنافقين باستخدام وسائلهم وسيتسلق المنافقون ويظهرون ، ويجتهدون في تحقيق أهدافهم وعلى رأسها : تدمير الإسلام والقضاء على المسلمين .ومن رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن شرع لها وسائل فعالة وحاسمة وشاملة لمعالجة قضية النفاق ،والتعامل مع المنافقين ويتضح ذلك من خلال المنهج القرآني في ذلك وأن هناك وسائل شرعية معدة لمواجهة النفاق وأساليبه وأهله ويمكن تقسيم ذلك إلى قسمين:

القسم الأول : **وسائل وقائية :**

ويغلب عليها جانب حماية المجتمع ووقايته من أن يتزلق عدد أكبر من أفراده إلى هاوية النفاق ، وبالتالي حصر النفاق وأهله في أضيق دائرة ممكنة ، قبل البدء في التعامل معهم ومع ظاهرهم ، وكذلك توفير الحماية للمجتمع من مخططات المنافقين قبل وقوعها ، فالوقاية خير من العلاج ، كما يُلمس من هذه الوسائل تركيزها على إسقاط النفاق كفكر قائم ومنهج متبع في حياة مجموعة من الناس وإليك بعض الوسائل الوقائية ومنها :

١) التنفير من النفاق والمنافقين ، والتحذير من الاغترار بهم .

---

١ – ابن كثير ، مصدر سابق (٧/ ٢٢٥) .

يجب أن يحمى المجتمع من النفاق عن طريق التنفير منه ومن أهله ، ليكرههم الناس ، وينفروا عن أفكارهم ومناهجهم . و لا يتأتى ذلك إلا بوصفهم بما يستحقون من أوصاف : (الكذب ، والفسق ، والجبن ، والسفه ، والإجرام ، والتردد ، والتذبذب ، والبخل ، وأخوة اليهود ، والكفر ، وكلها أوصاف شرعية وردت في الكتاب العزيز ، و لاشك أن تداولها يؤدي إلى التنفير من النفاق والمنافقين وبذلك تتم الوقاية من أن ينجرف بعض السفهاء فيغتروا بأفكار المنافقين وأفعالهم . قال تعالى :﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾[1]. وقال سبحانه :﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[2]. وقال سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[3].وقال سبحانه :﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[4]. فكل هذه الآيات تنفر من المنافقين ، وتصفهم بخصلة مرذولة بين البشر ألا وهي الكذب . وقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[5]. وقال تعالى مبيناً سفههم ، وضعف عقولهم ، وقلة فقههم وعلمهم وإدراكهم لحقائق الأمور : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[6].ويأتي الذم لهم كذلك بأخوهم اليهود ، ومحبتهم لهم ، لينفر المؤمنين من سبيل يوالي أهله أراذل خلق الله ، من أحفاد القردة ، والخنازير ،

---

١ – سورة المنافقون ، الآية : ١ .
٢ – سورة المجادلة ، الآية : ١٤ .
٣ – سورة التوبة ، الآية : ١٠٧.
٤ – سورة المجادلة، الآية : ١٨.
٥ – سورة التوبة، الآية : ٦٧.
٦ – سورة البقرة، الآية : ١٣.

إذ يقول سبحانه في شأن المنافقين مع يهود بني قريظة:﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1].وأخيراً فقد وصفهم الله بالكفر به وبرسوله ، وحسبك بهذا منفراً ومبغضاً لهم عند كل من له حظ من إيمانٍ بالله واليوم الآخر ؛ قال تعالى :﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾[2].

٢) التذكير بشدة عقوبتهم وعظيم عذابهم :

المداومة على التذكير بالعقوبات الأخروية التي تقع على المنافقين تنفع المؤمن ، وتجعل بينه وبين النفاق حاجزاً قوياً ، لا يتجاوزه حتى في أشد حالات ضعفه وغفلته وارتكابه للمعاصي والآثام . ولذا فقد جاء القرآن الكريم ببيان ما أعده الله للمنافقين من العذاب الأليم ، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[3]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[4]. وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾[6].

٣) إعداد القوة المادية المحسوسة لإرهاب المنافقين ، وردع من في قلبه مرض :

" المنافقون لا يعترفون إلا بمنطق القوة المادية ، و لا شيء يقي المجتمع من شرورهم في أية لحظة والتنكيل بهم ، و لا يتأتى ذلك إلا باستمرار إعداد العدة المانعة ، والقوة العسكرية الدافعة ، من

---

١ – سورة الحشر، الآية : ١١.
٢ – سورة التوبة ،جزء من الآية : ٥٤.
٣ – سورة النساء،جزء من الآية : ١٤٠.
٤ – سورة النساء، الآية : ١٤٥.
٥ – سورة التوبة ،الآية : ٧٣.
٦ – سورة النساء ،الآية : ١٣٨.

معدات قتالية متفوقة ، وجيوش كثيفة مدربة لإخافة الأعداء الظاهرين والمستترين ، قال تعالى :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[1].ومن هنا فإن الدولة المسلمة يجب عليها أن تسعى في تقوية نفسها من أعدائها خارج حدودها وداخلها ، فإن لها من الأعداء داخل حدودها من ينتظر ضعفها لُيسفر عن نفاقه وبغضه ، فكان ذلك الإعداد وسيلة وقائية بإذن الله في وجه المنافقين"[2].

٤) تنقية وسائل الـــتأثير في المجتمع كالجيش ، والإعلام ، والتعليم من المنافقين وأفكارهم:

" لما كان المنافقون رجساً ودنساً ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾[3]لذا فإن من الواجب على المسؤلين أن يُطهر المجتمع ويُنقى من المنافقين ، لمنعهم من التأثير السيئ فيه . ويعظم هذا الواجب ويتأكد عند تناول وسائل التأثير الكبيرة في المجتمع ، فحينئذ يجب تطهير هذه الوسائل من المنافقين ، الذين يتسللون إليها ويعملون فيها ، كما يجب تطهيرها من أفكار المنافقين التي قد تدخل إلى هذه الأجهزة ، عبر المناهج المقررة ، أو القواعد والقرارات المكتوبة ،أو نحو ذلك ، لا سيما وأننا قد عرفنا أن من أهداف المنافقين السيطرة على هذه الوسائل ، ليتمكنوا من التحكم في أجيال المجتمع ؛ تعليماً ، وإعلاماً ، ثم إنهم يتوجون ذلك ويحمونه بمحاولة السيطرة على وسائل القوة العسكرية المسلمة ، ليحموا بها فكرهم وذواتهم . لقد أمر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – بمنع مشاركة المنافقين في الجيش المسلم وذلك في قوله تعالى:﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾[4]

ولم يرد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ولى منافقاً على أمر من أمور المسلمين ، ولو كان

---

١ – سورة الأنفال ،جزء من الآية : ٦٠.

٢ – الشدي ، مصدر سابق صـــــــــــــــــ٣٧٠،٣٦٩.

٣ – سورة التوبة ،جزء من الآية :٩٥.

٤ – سورة التوبة ، الآية :٨٣.

صغيراً ، مع كون بعضهم ذوي كفاءة وقوة وجلد ، ولا شك أن حماية الدين مقصد عظيم من مقاصد الشريعة فإذا تقرر أن المنافقين يسعون إلى هدم الدين ، فإنه يحرم حينئذ تمكينهم من الوسائل المعينة على تحقيق هدفهم "[1] .

٥) عدم تعيين من ظهرت عليه علامات النفاق في المناصب المؤثرة :

إن توفر الكفاءة شرط أساسي ؛ يجب مراعاته عند تولية منصب مؤثر لأي أحد من الناس ، ومن ظهرت عليه علامات النفاق فإنه ليس بكفءٍ لإسناد العمل إليه ، وإن كان متصفاً بأعلى درجات الخبرة الفنية أو الشهادات الدراسية ، ذلك أن الرجل لا يُعتبر كفؤاً إ لا بتوفر أمرين : الأمانة ، والقوة ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]وقال تعالى :﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾[3] .ومن البديهي أن المنافق لا يُمكن وصفه بالأمانة والحفظ، لخيانته لله تعالى ومخادعته له ، ولكذبه ومراوغته للمؤمنين في أمر الإيمان ، و لانعدام الوازع الديني والرادع الأخلاقي لديه ، وقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن من علامات المنافق أنه : "إذا أؤتمن خان "[4]وينسحب مفهوم الأمانة على بقية الوظائف المؤثرة والمناصب الحساسة ،فإن صاحبها مستأمن عليها ؛ بما فيها من الأسرار والأخطار والآثار .

٦–مراقبة تصرفات من يُظن فيه النفاق ، والشك فيه ، والحذر منه :

" الأصل الشرعي أنه لا يجوز تتبع المسلمين ، وتسقط زلاتهم ، ومراقبة أفعالهم ، و لا الشك فيهم، وتخونهم مع كونهم أمناء ، لكن أهل النفاق قد أخرجوا أنفسهم – في الحقيقة – من أهل الإسلام، وبدرت منهم تصرفات تدل على خيانتهم وإضمارهم الشر للمسلمين ولدينهم . فمن هنا كان الحذر منهم واجباً شرعياً بنص قول الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم –

---

١ – الشدي ، مصدر سابق بتصريف صـــــــــــــــــــــــــ٤٧٢.

٢ – سورة القصص ، جزء من الآية :٢٦ .

٣ – سورة يوسف ، الآية :٥٥ .

٤ – أخرجه البخاري ، في كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ، حديث رقم (٣٣).

:

﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾[1] ، وإذا تقرر أنهم هم العدو ، فإن مراقبة تصرفاتهم واقتراحاتهم وأفعالهم ، وحملهم على المحمل السيئ اللائق بنفاقهم ومراوغتهم ، يُعد ترجمة عملية للأمر بأخذ الحيطة والحذر منهم ، واعتبارهم العدو الحقيقي للإسلام والمسلمين"[2] .

أما القسم الثاني : وسائل علاجية :

ويغلب عليها جانب التعامل مع الحالات النفاقية القائمة ، والشخصيات المنافقية المتزعمة لهذه الطائفة ، واتخاذ التدابير اللازمة للزجر والردع والمعاقبة لأشخاص المنافقين وذواتهم ، وليس فكرهم ومنهجهم فقط ، بل إن الأمر ليصل إلى الغوص في أعماقهم واستثارة مكامن الخير التي قد تكون باقية لديهم ، ومخاطبة مشاعرهم وإحساسيهم ، ومع ذلك فإن هذه الوسائل تعالج أفعالهم ، وتُحدد عقوباتهم ، وطريقة التعامل مع أفرادهم بما ينسجم وعقلياتهم ، وطريقة فهمهم للأمور ، وخضوعهم الدائم لمنطق القوة المادية المسيطرة .

ورغم أن هناك تداخلاً بيِّناً بين الوسائل الوقائية والعلاجية ؛ بمعنى أن الوسائل العلاجية في نهاية المطاف تؤدي عند تطبيقها إلى وقاية المجتمع من شرور المنافقين ، وتنفر أفراده من سلوك سبيلهم ، كما أن الوسائل الوقائية تُعالج في جزء منها بعض الحالات النفاقية التي تحتاج إلى مواجهتها ، بل إن الوسيلة الواحدة قد تصلح لأن تكون وقائية وعلاجية في آن واحد وهذه

بعض الوسائل العلاجية ومنها :

١) وعظهم وتذكيرهم ، وتخويفهم بالله ، وبما أعد للمنافقين من العذاب الأليم :

المنافق وإن كان بعيداً عن الهداية والنور – لأنه يعرف الحق ويتظاهر به ثم يكفر به في باطنه – إلا أن المنهج الشرعي يقتضي عدم إغفال وسيلة الوعظ والتذكير، ومخاطبة القلب وتخويفه من الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، والذي سيجمع الخلائق في يوم عظيم لا يجتاز عقبته إلا

---

١ – سورة المنافقون ، الآية :٤ .

٢ – الشدي ، مصدر سابق صـــــــــــــــــــــــــــــــ٤٧٥، ٤٧٦ .

أهل الصدق والإيمان والقلوب السليمة ، أما أهل الزيغ والنفاق فإن مصيرهم الدرك الأسفل ، من النار ، حيث العذاب المستعر والجحيم المستمر .

إن خطاب المنافقين بهذه الطريقة يكون أبلغ في إقامة الحجة عليهم أولاً ، واستصلاح كل من بقي فيه –منهم – ذرة من إيمان وصدقاً ثانياً ، ويشعرهم بان مجتمعهم يرجو لهم الخير إن سلكوا دربه واستقاموا عليه ، و لا يريد لهم الهوان العاجل والآجل ، بل يصلح إلى علاجهم وشفائهم من مرضهم القاتل . ومن الواضح أن المنافقين إنما دخل عليهم النقص من مرض قلوبهم

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾[1] . و لاشيء يشفي أمراض القلوب ويصلحها مثل الوعظ بالقرآن الكريم ، قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2]. لكن شفاء قلوب المنافقين عن طريق وعظهم بالقرآن وتأثيره مرتبط بحياة القلب أو موته ، فإن كان في القلب حياة مع المرض فإن القرآن فيه الشفاء بإذن الله لما في الصدور ، أما إن كان القلب ميتاً خاوياً فإن القرآن لا يزيده إلا ألماً وحسرة ،

قال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[3]. وقال سبحانه : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ ﴾[4].

٢) البراءة منهم وهجرهم ، ومقاطعة مجالسهم ، وعدم موالاتهم ومحبتهم :

---

١ – سورة البقرة ، الآية :١٠ .

٢ – سورة يونس ، الآية :٥٧ .

٣ – سورة الإسراء ، الآية :٨٢.

٤ – سورة فصلت ، جزء من الآية :٤٤ .

قال تعالى : ﴿ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1].والشاهد أن هذه الآية صريحة في النهي عن اتخاذ المنافقين أولياء ، بما في ذلك من المحبة والنصرة والطاعة ، فكل ذلك لا يجوز أن يبذله المسلم للمنافق وتمتد البراءة من المنافقين والمفاضلة لتشمل مهاجرتهم ومقاطعتهم – حتى مجالسهم – لأنهم شيء آخر غير المسلمين ، وإن كانوا يعيشون بينهم ، قال تعالى مذكراً المؤمنين:﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠ ﴾[2]. وهكذا فإن الخطاب للمؤمنين في هذه الآية ينهاهم عن مجالسة كل من يخوض في آيات الله ، ويسخر ويستهزئ بالإسلام وأهله منافقاً كان أو كافراً ، والسبب في ذلك هذه المجالسة نوعاً من الولاء ، والمؤمن مطالب بإظهار البراءة من المنافقين ثم إن فيها تأنيساً لهم ومشاركة وإشعاراً لهم بالرضا عن صنيعهم . ويثمر أسلوب المقاطعة غالباً في معالجة قضية المنافقين بحصرهم في دائرة أصحابهم من أهل النفاق والكفر ، وعدم نفاذ تأثيرهم إلى المسلمين ، ومعاقبتهم بالهجر والمقاطعة التي يشعرون من خلالها أنهم جسم غريب في المجتمع المسلم .

٣)حرمانهم من قبول مشاركتهم مع المسلمين في الجهاد والأعمال التي ظاهرها الخير بعد أن يُعلم بنفاقهم :

قال تعالى : ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣ ﴾[3]. فمنع الله – عز

---

١ – سورة النساء ، الآيتان :٨٨، ٨٩ .

٢ – سورة النساء ، الآية :١٤٠ .

٣ – سورة التوبة ، الآية :٨٣.

وجل – نبيه – صلى الله عليه وسلم – من قبول المنافقين في الجيش المجاهد في سبيل الله ، كوسيلة شرعية يواجه بها النفاق وأهله الذين يندسون في الصفوف حين يحلو لهم ذلك، ويتخاذلون حين تحمر الحدق ويشتد البأس ، فيخذِّلون في الناس ، ولذا قال تعالى :

﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1]. وهكذا فقد بين الله سبحانه ما يترتب على خروجهم في صف واحد مع المسلمين من المفاسد العظيمة ، من إثارة للخوف والوهن ، وتحريك الفتنة بين المسلمين ، مع وجود من يستمع إليهم من المسلمين والفرار حين اللقاء ، فلذلك جاء الأمر بالمنع من مشاركتهم في الجهاد ، وحرمانهم مما فيه من الخير العميم والأجر الكريم في الدنيا والآخرة . إن الفهم الخاطئ لمعنى الجهاد هو الذي دفع المنافقين إلى اتهام المؤمنين لحسدهم لهم ، ورغبتهم في الاستئثار بالغنائم دونهم كما في قوله تعالى :﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾[2].ومع ذلك فقد بقي هذا الحكم الرباني وسيلة شرعية في مواجهة النفاق وأهله ، وعلاجاً مركزاً لحال المنافقين الذين يعلم المؤمنون أنهم ليسوا بأهلٍ لشرف المشاركة في الجهاد في سبيل الله ، الجهاد الذي ترخص فيه المُهج والأرواح لغاية سامية لا يملكها المنافقون ، و لا يدافعون عنها . وهكذا حين حاول المنافقون إقناع النبي – صلى الله عليه وسلم –والمؤمنين بإتاحة الفرصة لهم لبناء مسجد يجتمع فيه المسلمون فاظهر الله خبث سرائرهم وبين حقيقة فعلهم فقال:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ

---

١ – سورة التوبة ، الآيتان :٤٧ ، ٤٨.

٢ – سورة الفتح ، الآية : ١٥.

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُ ﴾[1].وبعد أن كذبهم في دعواهم وبين حقيقة مقصدهم جاء النهي عن مشاركتهم في عملهم ولو كان ظاهره الخير فقال سبحانه :﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ ﴾[2].

٤)عدم الرضا عنهم ، أو قبول اعتذار من ثبت كذبه منهم :

الرضا عمل قلبي تتبعه آثار على الجوارح ، وتصرفات ظاهرة أثناء التعامل ، من بشاشة في الوجه ، ولين في الحديث ومسامحة عن الأخطاء ، وقبول للطلبات ، ونحو ذلك من علامات الرضا ، وكل ذلك لا يجوز أن يقوم به المسلم في حق المنافق ، فإن المنافق قد أسخط الله واستحق عقابه فكيف نرضى عنه ؟! قال تعالى : ﴿ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٩٦ ﴾[3].بل أمر الله نبيه أن يخبرهم أنه لا يصدقهم في أعذارهم الكاذبة فقال سبحانه :﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦ ﴾[4].فقبول اعتذار أهل النفاق الذين ثبت كذبهم مرفوض مهما كان السبب لأن الله قد أرشدنا إلى الوسيلة الشرعية التي نتعامل بها مع من ثبت كذبه منهم، بأن لا نقبل اعتذاره ، بل نخبره بتكذيبنا إياه ، وبأن عمله مفضوح ، وأن المسلمين قد وضعوه تحت المجهر ، فلا بد أن يستقيم على الدرب أمامهم ، فيؤدي ذلك إلى كف الكثير من شروره، وردع الآخرين من المنافقين عن إظهار عمل يؤدي

---

١ – سورة التوبة ، جزء من الآية : ١٠٧.

٢ – سورة التوبة ، الآية : ١٠٨.

٣ – سورة التوبة ، الآية : ٩٦.

٤ – سورة التوبة ، الآيتان : ٦٥، ٦٦.

بهم إلى عدم قبول اعتذارهم عنه . ولربما أدى هذا المسلك الشرعي مع المنافق إلى جعله يُفكر في حقيقة وصفه وحاله الذي جعل المسلمين لا يرضون عنه فيرجع إلى الحق ويُقلع عن الغي وذلك خير أو يرحل عن مجتمع المسلمين ويلحق بغيرهم وذلك خير أيضاً .

٥)جهادهم وإظهار الغلظة عليهم :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[1].وتكرر نزول هذه الآية مرة أخرى في سورة التحريم . والجهاد يكون بالرمح والسنان ، كما يكون بالحجة والبيان ، ويكون كذلك بالعمل في الميدان، وبالتالي فإن مجاهدة المنافقين في هذه الآية تعني مواجهتهم والتصدي لهم في كل ميدان يدخلونه ، مواجهتهم في ميدان الاقتصاد ، والسياسة والقتال ، والفكر ، والأدب ، والشعر ، والصحافة والتعليم ، والإعلام وكل مجال يظهرون فيه يجب على المسلمين أن يجاهدوهم فيه ، ويبذلوا غاية طاقتهم في التغلب عليهم ودحرهم ، لأنهم الأعداء الحقيقيون الذين تجب مواجهتهم وجهادهم، بل وتجب الغلظة عليهم والشدة التي يستحقونها من المؤمنين جزاء لهم على عداوتهم للإسلام وأهله .ومقتضى الآية يدل على وجوب جهاد المنافقين كما يُجاهد الكفار؛ لعطف المنافقين على الكفار دون التفصيل في نوع الجهاد المطلوب للمنافقين ، فإخراج معنى الجهاد إلى معنى أقل من القتال الذي هو المطلوب مع الكفار يحتاج إلى دليل يسنده ويعضده . وأصحاب القول بأن جهاد المنافقين يكون تارة بالغلظة عليهم وترك الرفق معهم وتارة حجة بإقامة الحجة عليهم يستدلون بأن المنافقين لا يُظهرون الكفر أمام المسلمين فكيف يُمكن قتالهم مع إعلانهم الإسلام؟ والجواب على ذلك أننا إنما وصفناهم بالمنافقين لفعل واضح وعلامات بينة ظهرت منهم فاستحقوا وصفهم بالمنافقين ، وهذه العلامات يخرج بها صاحبها عن حظيرة الإيمان ، ويدخل إلى زمرة الكافرين المعاندين ؛ فمن ظهر منه ذلك منهم فإنه حينئذ تجب مجاهدته ومقاتلته

---

١ – سورة التوبة ، الآية : ٧٣.

باعتباره مرتداً عما كان يُعلن من الإسلام ، وأما من لم يظهر عليه علامة بينة تدلُّ على نفاقه فإننا لا نستطيع أن نصفه بالنفاق أو نجزم بأنه من المنافقين ، وبالتالي فلا يجوز قتاله وقتله ، بل نبقى على حذر منه واختبار له ، لوجود الظن السيئ فيه ، والشك في كونه منافقاً "[1].

٦) تهديدهم بفضح خباياهم أمام المسلمين ، وبنفيهم وقتلهم :

قد يتسنى لبعض الخاصة من المسلمين الاطلاع على شيء من خبايا المنافقين ومخططاتهم ، ثم تترجح لديه المصلحة في عدم معاقبتهم على فعلهم – مع قدرته عليهم – لعدم الثبوت القطعي لما نسب إليهم ، أو لسبب قوي آخر ، فحينئذ فإن المنافق يجب أن لا يَشعر بالأمان والستر على أفعاله القبيحة بل ينبغي أن يُهدد بأنه في حالة استمراره على هذا الطريق فإننا سنفضح خباياه ونجلي أستاره أمام المسلمين جهاراً نهاراً ، وهذا التهديد سيقع على المنافق موقعاً صعباً ؛ لخوفه الشديد من افتضاح أمره ، وجبنه الأكيد الذي دفعه للتستر بالنفاق . وفي حالة استمرارهم على نفاقهم وتآمرهم فيمكن أن تتطور هذه الوسيلة الشرعية لتشمل تهديدهم بالعقوبات الرادعة من نفي وتغريب وتشريد عن البلد ، أو حبس طويل الأمد ، ويمكن أن يصل المسلمون معهم إلى التهديد بقتلهم وإزهاق أرواحهم ؛ عقاباً لهم على ردتهم ونفاقهم وزندقتهم ، وتعزيراً لأهل النفاق المتربصين بالمسلمين الدوائر . وأما الدليل على مشروعية التهديد للمنافقين بالفضح ، والنفي والقتل فقال تعالى : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾[2].وقال سبحانه ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن

---

١ – ولمزيد من التفصيل في هذه القضية يراجع التفسير الكبير للرازي (١٦/ ١٣٤) وتفسير ابن كثير (٢/ ١٥٦) ، وأحكام القرآن ، لأبن العربي (٢/ ٩٧٨)

٢ – سورة التوبة ، الآية :٦٤

قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾[1].وحين يُواجه المنافقون – وهم أهل الجبن والخور- بهذا الأسلوب الشديد الغليظ ، المشتمل على التهديد والوعيد لهم بما يستحقونه ، ويرون مظاهر البراءة منهم وبغضهم في المجتمع المسلم القوي القادر على تنفيذ تهديده ؛ فإنهم سيخنسون ويذلون ويطأطئون رؤوسهم ، ولن يجرؤوا على الكيد المفضوح والتآمر الواضح وبهذا تؤدي هذه الوسيلة الشرعية غرضها وغايتها ، وتعالج أمر هذه الفئة المنحرفة بأسلوب القوة التي تخدم الحق وتسنده لتكون المواجهة للنفاق مواجهة شرعية جهادية تفضح خبايا المنافقين إن تمادوا في غيهم وتهددهم وتخوفهم إن استمروا على أحقادهم قال تعالى :﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾[2].

٨–عدم الاستغفار لهم والترحم عليهم أو الصلاة على ميتهم :

كما قال تعالى :﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[3].وقال سبحانه:

﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾[4].فنهى الله نبيه عن الاستغفار للمنافقين لأن المغفرة لا تحل عليهم بسبب كفرهم الباطن ، وكرهم للدين وأهله ؛ فإن الاستغفار وطلب الرحمة إنما يكون للمؤمن – ولو بلغ ما بلغ من المعصية التي لا تخرجه من الإسلام – أما المنافق فإنه ليس من أهل الإيمان والإسلام حتى يجوز الاستغفار له ، بل إنه يلتحق حُكماً في موضوع الاستغفار بالمشركين حيث يقول تعالى :

---

١ – سورة الأحزاب ، الآيات :٦٠ –٦٢.

٢ – سورة محمد ، الآيتان :٢٩ ،٣٠.

٣ – سورة التوبة ،الآية :٨٠.

٤ – سورة المنافقون ،الآية :٦.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾[1].ولا شك أن هذه الوسيلة في التعامل معهم تعد عقوبة معجلة لهم ، فإنهم يحرمون من دعاء المؤمنين وترحمهم واستغفارهم فلا يفوزون بذلك كما يفوز به أصحاب المعاصي من المؤمنين فضلاً عن سواهم من المحسنين بل إن الله تعالى ينهى نبيه – صلى الله عليه وسلم – حتى عن الصلاة على من مات منهم ، والسير في جنازته ، والقيام على قبره قال تعالى:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[2].

١ – سورة التوبة،الآية :١١٣.

٢ – سورة التوبة،الآية :٨٤.

الباب الأول

الفصل الثاني

القيم التربوية والإيمانية المضروبة للكفار

المبحث الأول : تعريف الكفر لغةً واصطلاحاً:

المطلب الأول : الكفر لغةً :قال "الزبيدي"- رحمه الله – :" الكفر ، بالضمِّ : ضِدُّ الإيمان ، ويُفْتَحُ، وأصل الكُفْر مِن الكَفْرِ بالفَتْح مَصْدَر كَفَر بمَعْنَى السَّتْر ، (كالكُفور والكُفَرانِ ، بضمهما) ، ويُقال : (كَفَرَ نِعْمَةَ الله يكْفُرها) ، من باب نَصَر "[1].

وقال "الزبيدي "- رحمه الله – أيضاً : قال بعض أهل العلم : " الكفر على أربعة أنحاء : كُفْر إنكار ، بأن لا يعرف الله أصلاً ، و لا يعترف به ، وكُفْرُ جُحود ، وكُفْرُ مُعَانَدَة ؛ وكُفْرُ نِفاق ، مَنْ لقي ربَّه بشيء من ذلك لم يَغْفِر له ، ويَغْفِرُ ما دُونَ ذلك لِمَنْ يَشاءُ"[2].

وقال ابن "منظور "- رحمه الله – : "وكُلُّ مَنْ سَتر شيئاً ، فقَدْ كَفَرَهُ . والكافِرُ :الزَّرَّاعُ لسَتْرِهِ البَذْرَ بالتُراب والكُفَّارُ: الزُّرَّاعُ . وتَقُولُ العربُ للزَّرَّاعِ : كافِرٌ لأنهُ يَكْفُرُ البَذْرَ المَبْذُورَ بتُرابِ الأُرْضِ المُثارَةِ إذا أمَرَّ عَلَيْها ما لَقَهُ ؛ وَمِنْهُ قولهُ تعالى :﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾[3]أي : أعجَبَ الزُّرَّاع نُباتُهُ ، وإذا أعَجَبَ الزُّرَّاعَ نباتُهُ مُعُ عِلمهمْ بِهِ فَهُوَ غايةُ ما يُستحْسَنُ، والغيثُ المَطَر ها هنا ؛ وَقَدْ قيلَ: الكُفَّارُ في هذه الآية الكُفَّارُ بالله وَهُمْ أشدُّ إعْجاباً بزينة الدُّنْيا وَحَرْثِها مِنَ المؤمنينَ"[4].

وقد جاء إطلاق الكفر في اللغة على عدة تسميات ، كلها ترجع إلى هذا المعنى . فأطلق على "

---

١ – الزبيدي ، مصدر سابق (١٤/ ٥٠) .

٢ – الزبيدي ، مصدر سابق (١٤/ ٥١).

٣ – سورة الحديد : جزء من آية : ٢٠ .

٤ – ابن منظور ، مصدر سابق ، (٥/ ٣٨٩٩) .

التراب" ، لأنه يستر ما تحته ، وعلى (القير والزفت) الذي تطلى به السفن لسواده وتغطيته "[1].

قال ابن " منظور" – رحمه الله – " والكَفْرُ ، بالفَتْح : التَّغطيةُ . وَكَفَرتُ الشَّيءَ أكفِرُهُ ، بالكَسرِ ، أَيْ سترْتُهُ والكافِرُ : اللَّيْلُ ، وفي الصحاحِ : اللَّيْلُ المُظلمُ ، لأَنَّهُ يُستُر بظلمتهِ كُلَّ شَيءٍ وكَفَرَ اللَّيْلُ الشَّيءَ وكَفَرَ عَلَيْهِ : غطَّاهُ"[2].

المطلب الثاني : الكفر اصطلاحاً :وقد جاء تعريفه في كلام العلماء بعدة ألفاظ فقال "الراغب الأصفهاني ": "الكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية ، أو النبوة ، أو الشريعة ، أو ثلاثيتها "(٣) ، وقال "ابن القيم " –رحمه الله – الكفر جحد ما علم أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – جاء به سواء كان المسائل التي يسمونها علمية أو عملية ، فمن جحد ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد معرفته بأنه جاء به كافر في دق الدين وجله " [4].

وقال السعدي – رحمه الله – " حد الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده هو : جحد ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو جحد بعضه "[5] ، وقال "القرافي"– رحمه الله – : "أصل الكفر إنما هو : انتهاك خاص لحرمة الربوبية،إما بالجهل بوجود الصانع أو صفاته العلا،ويكون الكفر بالفعل كرمي المصحف في القاذورات أو السجود للصنم،أو التردد للكنائس في أعيادهم بزي النصارى،ومباشرة أحوالهم،أو جحد ما علم من الدين بالضرورة " [6]

وقال "ابن حزم" – رحمه الله – :"في تعريف الكفر في الشريعة : جحد الربوبية وجحد نبوة نبي من الأنبياء صحت نبوته في القرآن ، أو جحد شيء مما أتى به رسول الله –صلى الله عليه وسلم –

---

١ – ابن منظور ، مصدر سابق ، (٥/ ٣٩٠٠) .

٢ – ابن منظور ، مصدر سابق (٥/ ٣٨٩٩) .

٣ – الراغب ،أبو القاسم الحسين محمد ،المفردات في غريب القرآن ،دار المعرفة ، بيروت ، صـــــــــــــــ٤٣٤.

٤ – مختصر الصواعق صـــــــــ ٦٢٠ .

٥ – الإرشاد إلى معرفة الأحكام صـــــــــــ٢٠٣، ٢٠٤ (تراجع) .

٦ – الفروق للقرافي (٤/ ١٢٧٧) .

، مما صح عند جاحده بنقل الكافة ، أو عمل شيء قام البرهان بأن العمل به كفر "[1]. ونقل "الأزهري" عن "الليث" في تعريفه، أنه : نقض الإيمان وبه قال "ابن فارس" وهذه التعريفات وإن اختلفت في ألفاظها ، فهي متقاربة في المعنى ، ومدارها على معنيين : إما تعريف الكفر باعتبار مضادته للإيمان ، كما في تعريف "الليث" "والكوفي" ، وإما تعريف الكفر بجحد ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – ، كما في بقية التعريفات كما يلاحظ على التعريفات أنها قد عرفت الكفر ، وحددت مفهومه في الشرع بما يقتضي حصره في الكفر الأكبر ، وهذا هو حقيقة الكفر في الشرع عند الإطلاق ، وإن كان يطلق مقيداً على الكفر الأصغر " [2] .

المطلب الثالث : العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للكفر :

المعنى الشرعي للكفر مستقى من المعنى اللغوي للفظة الكفر ، كما دلت على ذلك أقوال العلماء.

قال "الليث": " إنما سمي الكافر كافراً لأن الكفر غطى قلبه "[3] . وقال "الأزهري": " ومعنى قول الليث قيل له كافرٌ لأن الكفر غطى قلبه ، يحتاج إلى بيان يدل عليه ، وإيضاحه أن الكفر في اللغة معناه التغطية ، والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره كما يقال لابس السلاح : كافر ، وهو الذي غطاه السلاح "[4]. ثم قال أيضاً: وفيه قول آخر أحسنُ مما ذهب إليه الليث ، وذلك أن الكافر لما دعاه الله جلَّ وعلا إلى توحيده ، فقد دعاه إلى نعمة ينعم بها عليه إذا قبلها ، فلما رَدَّ ما دعاه إليه من توحيده كان كافراً نعمة الله أي مغطياً لها بإبائه "[5].

فظهر بهذا ارتباط المعنى الشرعي للكفر بالمعنى اللغوي ، وأن المعنى الشرعي مستمد من المعنى اللغوي ، وإن اختلفت أقوال العلماء في وجه الترابط بينهما بعد اتفاقهم أن معنى الستر والتغطية

---

١ – الفصل في الملل (٣/ ٢٥٣) .

٢ – استفدت هذه التعريفات من كتاب التكفير وضوابطه للشيخ إبراهيم الرحيلي (الرحيلي ، إبراهيم بن عامر ، التكفير وضوابطه ، دار الأمام أحمد ،صـــــــ٥٦، ٥٧ .

٣ – الأزهري : أبو منصور محمد بن احمد ، تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (١٠/١٩٦) .

٤ – الأزهري ، مصدر سابق (١٠/ ١٩٧،١٩٦) .

٥ – ابن منظور ، مصدر سابق (٥/ ٣٨٩٩) .

كامن في المعنى الشرعي والله أعلم .

المبحث الثاني : دراسة المثل في قوله تعالى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾[1].وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :مناسبة المثل لما قبله وما بعده وأثر المناسبة والعبرة منه :

مناسبة المثل لما قبله : قال " الهرري" – رحمه الله – :" مناسبة هذه الآية لما قبلها : أنه سبحانه وتعالى لما ذكر أن هؤلاء الكفار إذا أمروا بإتباع ما أنزل الله ... أعرضوا عن ذلك ، ورجعوا إلى ما ألفوه من إتباع الباطل الذي نشؤوا عليه ، ووجدوا عليه آباءهم ، ولم يتدبروا ما يقال لهم ، وصموا عن سماع الحق ، وخرسوا عن النطق به ، وعموا عن أبصار النور الساطع النبوي ... ذكر هذا التشبيه العجيب في هذه الآية منبهاً على حالة الكافر في تقليده أباه ، ومحقراً نفسه إذ صار هو في رتبة البهيمة ، أو في رتبة داعيها على الخلاف المذكور في هذا التشبيه " [2].

أثر المناسبة :قال "البقاعي":"أن هذا المثل يزيد السامع معرفة بأحوال الكفار ، ويُحقِّر إلى الكافر نفسه إذا سمع ذلك ، فيكون كسراً لقلبه وتضيقاً لصدره ، حيث صيره هذا المثل كالبهيمية ، فيكون في منتهى الزجر والردع عن سلوك طريق التقليد الأعمى ،الذي لم يجن سالكوه إلا الويلات المتتابعات والمتتبع لأحوال الأمم السالفة يجدُ أن ضُلاَّلهم كانوا يتذرعون بأفعال آبائهم ،ويعتقدون أنهم أهدى سبيلاً من الأنبياء والرسل، فكانت عاقبة أمرهم الهلاك والخسران المبين "[3].

مناسبة المثل لما بعده :قال " أبو حيان " – رحمه الله – :" أنه لما بين التوحيد ودلائله و ما للتائبين والعاصين أتبع ذلك بذكر إنعامه على الكافر والمؤمن ليدل أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام . وقال " المروزي " : لما حذر المؤمنين من حال من يصير عمله عليه حسرة أمرهم بأكل الحلال لأن مدار

---

١ – سورة البقرة : الآية : ١٧١ .

٢ – الهرري ، مصدر سابق (١/ ٦٥٢) .

٣ – البقاعي، نظم الدرر ، (١/ ٣١٩) .

الطاعة عليه "[1]

قال البقاعي :

" ولما كان في بيان هذه المحرمات الإشارة إلى عيب من استحلها من العرب ، وترك ما أمر به من الطيبات جهلاً وتقليداً ، تلاها بتكرار عيب الكاتمين لما عندهم من الحق مما أنزل في كتابهم "[2].

أثر المناسبة : " من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هذا الكلام فيه تهيئة للتخلص إلى ابتداء شرائع الإسلام ، وإبطال لما شرعه أهل الكتاب في دينهم ، فيكون التخلص مُلوَّناً بلوني الغرض السابق ، والغرض اللاحق "[3].

العبرة من المثل : "وعند دراسة العبرة من هذا المثل ، لابد من تدبر وتأمل بشاعة الصورة الحسية التي رسمها السياق لهؤلاء المُعرضين عن الحق بل المتعامين عن الحقيقة ، بل ما أشد بشاعة أولئك القوم الذين هم في صورة البشر ، ثم تكون البهائم مثلاً لهم يُضرب من عند خالِقهم – سبحانه وتعالى – في كتاب عزيز مطهر لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، يقرأه من الناس أو يسمعه من يسمعه ترى هل هناك رادع أقوى من هذه الصورة الحسية البشِعة لأمثال هؤلاء ؟!وكيف يقبل إنسان سويٌّ وهِب نعمة العقل والوجدان أن يهبط إلى هذا الدرك الذي أصبحت فيه البهائم أفضل منه ؟! فهي تسمع و لا تعقل لأن ليس لها عقل و لا إدراك ... أما هو فيسمع ويتغاض عما يسمع حتى كأنه أصم ، ويرى و يتعاش حتى كأنه أعمى ثم منح نعمة النطق ولكنه خرس عن الحق ونأى بجانبه حتى كأنه لم يوهب ذلك اللسان و لا ذلك العقل الذي فُضل به في الأصل على البهائم لقد كان في هذا المثل خير رادع لهؤلاء لو كانوا يسمعون حقاً أو لأمثالهم في كل زمان ومكان ولم لا والصورة واضحة وضوح الشمس بشعة تشمئز منها النفس وتأباها

---

١ – أبوحيان ، مصدر سابق ، (١/ ٦٥٢) .

٢ – الأزهري ، مصدر سابق (١٠/ ١٩٦ ،١٩٧) .

٣ – مذكور ، أحمد بن محمد بن قاسم ، المناسبة وأثرها في تفسير التحرير والتنوير ، رسالة ماجستير عام ١٤٢٩ صـــــــــــ٢٢٦.

الطباع السليمة والعقول الراجحة "[1] .

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم في ذلك :

قال "أبو جعفر الطبري " – رحمه الله – : " اختلف أهل التاويل في معنى ذلك : فقال بعضهم معنى ذلك : مثل الكافر في قلة فهمه عن الله ما يتلى عليه في كتابه وسوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله ويوعظ به مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعق بها و لا تعقل ما يقال لها . ثم قال "الطبري": ومثل وعظ الذين كفروا وواعظهم ، كمثل نعق الناعق بغنمه ونعيقه بها . فأضيف (المثل) إلى الذين كفروا ، وترك ذكر (الوعظ والواعظ) ، لدلالة الكلام على ذلك ، كما يقال (إذا لقيت فلاناً فعظمه تعظيم السلطان) ، يراد به : كما تعظم السلطان ، وكما قال الشاعر :

فلست مسلماً ما دمت حيًّا على زيد بتسليم الأمير " [2].[3]

وقال "القرطبي "– رحمه الله – : " والمعنى ومثلك يا محمد ، ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم فحذف لدلالة المعنى وقال أيضاً : قال "قطرب" : المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم ما لا يفهم يعني الأصنام كمثل الراعي إذا نعق بغنمه وهو لا يدري أين هي "[4].

قال "الثعالبي"– رحمه الله – " المرادُ تشبيه واعظ الكافرين ، وداعيهم بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل ، فلا تسمع إلا دعاءه ،ونداءه ، و لا تفقه ما يقول ؟ هكذا فسر "ابن عباس " و"عكرمة" ، و " السدي" ، و"سيبويه " فذكر تعالى بعض هذا الجملة، وبعض هذه ، ودل المذكور على المحذوف ، وهذه نهاية الإيجاز والنعيق زجر الغنم ، والصياح بها "[5].

قال الشيخ " أحمد شاكر ": ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾أي : فيما هم فيه من الغي والضلال

---

١ – رزق ، مصدر سابق صـــــــــــ٦٩ .

٢ – الجاحظ ، البيان والتبيان ، (١/ ٥٨٢) باب تفضيل الشعر ومداراة البليغ ، الموسوعة الشاملة .

٣ – الطبري ، مصدر سابق ،(٣/ ٥١،٥٢) ، بتصرف

٤ – القرطبي ، مصدر سابق ، (٣ /١٩، ٢٠) بتصرف .

٥ – القرطبي ، مصدر سابق ، (٣ /١٩، ٢٠) بتصرف .

والجهل كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها ، بل إذا نعق بها راعيها ، أي : دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول و لا تفهمه ، بل إنما تسمع صوته فقط هكذا روي عن " ابن عباس " "وأبو العالية " ، " ومجاهد" ، " وقتادة" ، وغيرهم نحو هذا . وقيل : إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لاتسمع و لا تبصر ، ولا تعقل شيئاً ، اختاره " ابن جرير " والأول أولى ؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئاً و لا تعقله و لاتبصره ، و لا بطش لها ولا حياة فيها .

وقوله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾أي : صم عن سماع الحق ، بكم لا يتفوهون به ، عمى عن رؤية طريقه ومسلكه ﴿ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾أي :لايعقلون شيئاً و لا يفهمونه ، كما قال تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1][2]

قال " السعدي " –رحمه الله – : " لما بين تعالى عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل وردهم لذلك بالتقليد علم من ذلك أنهم غير قابلين للحق و لا مستجبين له ، بل كان معلوماً لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم ، أخبر تعالى أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها وليس لها علم بما يقول داعيها ومناديها ، فهم يسمعون مجرد الصوت الذي تقوم به عليهم الحجة ، ولكنهم لا يفقهونه فقهاً ينفعهم ، فلهذا كانوا صماً لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول ، عمياً لا ينظرون نظراً اعتباراً ، بكماً فلا ينطقون بما فيه خير لهم ، والسبب الموجب لذلك كله أنه ليس لهم عقل صحيح بل هم أسفه السفهاء وأجهل الجهلاء . فهل يستريب العاقل أن من دُعِي إلى الرشاد وزيد عن الفساد ، ونُهيَ عن اقتحام العذاب ، وأُمِرَ بما فيه صلاحه وفلاحه وفوزه ونعيمه ، فعصى الناصح ، وتولى عن أمر ربه ، واقتحم النار على بصيرة واتبع الباطل ونبذ الحق ، أن هذا ليس له مسكة من عقل ؟ وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء فإنه من أسفه السفهاء"[3].

---

١ – سورة الأنعام : آية : ٣٩ .

٢ – شاكر ، مصدر سابق (٢٠٧/١).

٣ – السعدي ، مصدر سابق ، ـــ٧٩

وقال " ابن القيم " – رحمه الله –: " وسواء كان المعني (ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع من الدواب إلا أصواتاً مجردة) أو كان المعنى ، (ومثل الذين كفروا حين ينادون كمثل دواب الذمي ينعق بها فلا تسمع إلا صوت الدعاء والنداء) فالقولان متلازمان بل هما واحد وإن كان التقدير الثاني أقرب إلى اللفظ وأبلغ في المعنى فعلى التقديرين لم يحصل لهم من الدعوة إلا الصوت الحاصل للأنعام فهؤلاء لم يحصل لهم حقيقة الإنسانية التي يميز بها صاحبها عن سائر الحيوان "[1].

أقوال السلف في هذا المثل :

روى " الطبري " عن "عكرمة" في قوله تعالى :﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾.قال : مثل البعير أو مثل الحمار تدعوه فيسمع الصوت و لايفقه ما يقول . وروى أيضاً عن " ابن عباس " قال : هو مثلُ الشاة ونحو ذلك وعن ابن عباس أيضاً : كمثل البعير والحمار والشاة ونحو ذلك وعن " ابن عباس " أيضاً : كمثل البعير والحمار والشاة ، إن قلت لبعضها : كُل . لا يعلم ما تقولُ غير أنه يسمع صوتك ، كذلك الكافر إن أمرته بخير أو نهيته عن شر أو وعظته لم يعقل ما تقول ، غير أنه يسمع صوتك ، وروى عن "مجاهد" قال: مثل الكافر مثل البهيمة تسمع الصوت و لا تعقل .

وأما قوله تعالى :﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾. روى "الطبري" عن "قتادة" قال: يقول : صم عن الحق فلا يسمعونه و لا ينتفعون به و لا يعقلونه ، عُمي عن الحق والهدى فلا يبصرونه ، بكم عن الحق فلا ينطقون به . وروى عن "السُدي" : يقول : عن الحق. وروى عن " ابن عباس " يقول : لا يسمعون الهدى و لا يبصرونه و لا يعقلونه " [2].

---

١ – ابن القيم ، مصدر سابق ، الضوء المنير على التفسير (١/ ٣٠٦).

٢ – الطبري ، مصدر سابق ، (٣/ ٥١،٥٢) بتصرف .

المطلب الثالث : نوع المثل والغرض الذي من أجله ضرب :

نوع المثل : هذا المثل جاء على هيئة التشبيه التمثيلي أو المركب الذي هو عبارة عن تشبيه صورة بصورة ، وعند إجراء التشبيه هنا نقول : شبهت حال داعي الكفار أثناء إعراضهم عنه ، وعدم سماعهم له ولنصحه بحال راعي البهائم أثناء صياحه بهما وندائه لها وهي لا تفقه من قوله إلا أصواتاً تتردد ونداء يتكرر. أما وجه الشبه فهو الهيئة الحاصلة من عدة أمور مجتمعة وهي صوت ينادي مع جماعة يقرع الصوت آذانها فلا تجيب أو لا تفقه ما يتردد في سمعها .

وهكذا نلاحظ كيف جاءت الصورة جميلة معبرة بطريقة التشبيه التمثيلي وهي من غير شك أبلغ مما لو ذهبنا إلى الرأي القائل بتقسيم الصورة إلى أجزاء متعددة يقابل كُل جزء منها نظيره في الأخرى .

إذ أننا في هذه الحالة نلمح التفكك كما تفقدها جمالها وجلالها المطلوب .

أما بالنظر إلى سياق الآية ، فنلاحظ البلاغة في نظم ألفاظ السياق وعباراته بما فيه من إيجاز جميل وألفاظ معبرة موحية .

الغرض الذي من أجله المثل :

وبعد دراسة هذا المثل وبيان أقوال أهل العلم نجد أن الغرض هو الغرض الثالث الذي تقدم ذكره وهو التنفير من الباطل وبيان قبحه والتحذير منه يقول "السبحاني " : أن الآية بصدد ذمهم وأنهم لا يعتنقون الإيمان و لا يمتثلون للأوامر الإلهية ونواهيها وعلى ذلك تصبح الآية نوع مدح لهم ، لأنهم لو كانوا كالبهائم السائمة يجيبون دعوة النبي كقبولها دعوة الراعي و يترجرون بزجره كانتهائها عن نهي الراعي ، فيكون ذلك كله خلاف المقصود "[1].

ويقول الدكتور " محمد بكر إسماعيل " :" وفي ذلك المثل توبيخ لهم ، وتهكم بهم ، إذ نزلهم فيه منزلة البهائم التي لا هم لها إلا أن تأكل وتشرب ، وترتع ، وتلعب ، وهي منقادة مسخرة ذليلة ،

---

١ – االسبحاني ، جعفر ، مفاهيم القرآن ، مؤسسة الأمام الصادق ، (٩/ ١٠٣) .

صاغرة ، يسوقها راعيها إلى حيث يشاء مما يفعل و لا تهتدي بنفسها إلى سبيل ، وقد أعد الله هذه الصورة بما أكد به المثل الذي ضربه للمنافقين من قبل فقال جل شأنه ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[1].

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: قال "ابن القيم "- رحمه الله – :"تضمن هذا المثل ناعقاً ، أي : مصوتاً بالغنم وغيرها ، ومنعوقاً به وهو الدواب فقيل : الناعق : العابد ، وهو الداعي للصنم ، والصنم هو المنعوق به المدعوُ ، وإن حال الكافر في دعائه ، كحال من ينعق بما لا يسمعه ، هذا قول طائفة منهم عبد الرحمن بن زيد وغيره . واستشكل صاحب الكشاف وجماعة هذا القول ، وقالوا : قوله: ﴿ دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ لا يساعد عليه ؛ لأن الأصنام لا تسمع دعاء ونداء . وقد اجيب عن هذا الاستشكال بثلاثة أجوبة :

أحدها : أن " إلا" زائدة ، والمعنى بما لا يسمع دُعاء ولا نداء ؛ قالوا :

وقد ذكر ذلك الأصمعي في قول الشاعر :

حَرَاجيجُ مَا تنفكُ إلا مُناخَةً [2].

أي ما تنفك مُناخة ، وهذا جواب فاسد ، فإن " إلا" لا تزاد في الكلام .

الجواب الثاني : أن التشبيه وقع في مطلق الدعاء لا في خصوصيات المدعو .

الجواب الثالث : أن المعنى أن مثل هؤلاء في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعاءهم كمثل الناعق بغنمه ، فلا ينتفع من نعيقه بشيء ، غير أنه هو في دعاء ونداء ، وكذلك المشرك ليس له من دعائه وعبادته إلا العناء "[3].

---

١ – إسماعيل ، مصدر سابق ، الأمثال القرآنية صـــــــــ١٠١ .

٢ –البوسي ، الحسن ، زهر الأكم في الأمثال والحكم، (١/ ٢٧٢) ، باب ذهبوا أيادي سبأ ، الموسوعة الشاملة

٣ – ابن القيم ، مصدر سابق ، الضوء المنير (١/ ٣٠٥) .

ثانياً: قال " ابن القيم ":" ولك أن تجعل هذا من التشبيه المركب ، وأن تجعله من التشبيه المفرق ، فإن جعلته من المركب كان تشبيهاً للكفار في عدم فقههم وانتفاعهم بالغنم التي ينعق بها الراعي فلا تفقه من قوله شيئاً غير الصوت المجرد الذي هو الدعاء والنداء ، وإن جعلته من التشبيه المفرق فالذين كفروا بمنزلة البهائم ، ودعاء داعيهم إلى الطريق والهدى بمنزلة الذي ينعق بها ، ودعاؤهم إلى الهدى بمنزلة النعق ، وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق ، والله أعلم "[1].

ثالثاً: قال "الهرري":في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾فيه تشبيه مرسل لذكر الأداة فيه ، ومجمل لحذف وجه الشبه فيه ، فقد شبه الكفار بالبهائم التي تسمع صوت المنادي من غير أن تفقه كلامه وتفهم مراده "[2] .

رابعاً: قال "الهرري":" صم بكم عمي ، فيه تشبيه بليغ حذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه ، أي : هم كالصم في عدم سماع الحق ، وكالبكم والعمى في عدم الانتفاع بالقرآن "[3] .

خامساً: قال " الهرري " :" والفرق بين الدعاء والنداء : أن الدعاء للقريب ، والنداء للبعيد ، والفرق بين الكافر والضال : أن الكافر يرى الحق ، ويعرض عنه ، ويصرف نفسه عن دلائله ، فهو كالبهائم يرضى بان يقوده غيره ، ويصرفه كيف يشاء ، والضال يخطئ الطريق مع طلبه ، أو جهله بمعرفته بنفسه ، أو بدلالة غيره "[4].

سادساً :قال " ابن عاشور" : في قوله تعالى:﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ ﴾إخبار لمحذوف على طريقة الحذف المعبر عنه في علم المعاني بمتابعة الاستعمال بعد أن أجرى عليهم التمثيل ، والأوصاف إن رجعت للمشركين فهي ينعق على أحد الاحتمالين المتقدمين فهي حقيقة وتكون شاهداً على صحة

---

١ – ابن القيم ، المصدر سابق ، (١/ ٣٠٥ ، ٣٠٦) .

٢ – الهرري ، المصدر سابق ، (٣/ ١١٧) .

٣ – الهرري ، المصدر سابق ، (١١٨/٣) .

٤ – ابن القيم ،مصدر سابق ، (١١٨/٣) .

الوصف بالعدم لمن لا يصح اتصافه بالملكة كقولك للحائط : هو أعمى ، إلا أن يجاب بأن الأصنام لما فرضها المشركون عقلاء آلهة وأريد إثبات انعدام الإحساس منهم عبر عنها بهذه الأوصاف بالمشركين فقيل : صم بكم عمى كقول إبراهيم ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ ﴾[1][2].

سابعًا : قال ابن "عاشور " :"وقوله: ﴿ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾تقريع كمجئ النتيجة بعد البرهان ،فإن كان ذلك راجعاً للمشركين فالاستنتاج عقب الاستدلال ظاهر لخفاء النتيجة في بادئ الرأي ، أي إن تأملتم وجدتموهم لا يعقلون ؛ لأنهم كالأنعام والصم والبكم الخ ، وإن كان راجعاً للأصنام فالاستنتاج للتنبيه على غباوة المشركين الذين عبدوها ، ومجيء الضمير لهم بضمير العقلاء تهكم بالمشركين لأنهم جعلوا الأصنام في أعلى مراتب العقلاء "[3] .

ثامنًا:قال الشيخ " ابن عثيمين "– رحمه الله – :" من فوائد الآية : ذم التعصب بغير هدى ؟ لقوله تعالى:﴿ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[4][5].

تاسعًا:قال الشيخ " ابن عثيمين " – رحمه الله – :" ومن الفوائد أن من تعصب لمذهب مع مخالفة الدليل ففيه شبه من هؤلاء ، والواجب أن الإنسان إذا قيل له " اتبع ما أنزل الله "أن يقول: " سمعنا وأطعنا "[6] .

عاشرًا :أن كل من خالف الحق ، وما أنزل الله فليس بعاقل ، وليس عنده هدى لقوله تعالى : ﴿لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾.

حادي عشر : قال الشيخ " ابن عثيمين ":" ومن فوائد الآية ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾أن هؤلاء

---

١ – سورة مريم : جزء من آية :٤٢ .
٢ – ابن عاشور ، مصدر سابق ، (١١٣/٢) .
٣ – ابن عاشور ، مصدر سابق ، (١١٣/٢) .
٤ – سورة البقرة ، جزء من آية :١٧٠ .
٥ – ابن عثمين ، مصدر سابق ، (٣٨٢/١) .
٦ – ابن عثمين ، مصدر سابق ، (٣٨٢/١) .

في إتباع آبائهم مثل البهائم التي تستجيب للناعق وهي لا تسمع إلا صوتاً دعاء ونداءً ؛ لا تسمع شيئاً بعقله ، وتعرف فائدته ومضرة مخالفته "[1].

ثان عشر : قال الشيخ " ابن عثيمين "- رحمه الله – :"أن لهؤلاء أمثالاً يدعون بدعوى الجاهلية كأولئك الذين يدعون إلى القومية : فإن مثلهم كمثل الذي ينعق بما لايسمع إلا دعاءً ونداءً ، وهذه الدعوى لا يفكر الدعاة لها فيما يترتب عليها من تفريق المسلمين ، وتمزيق وحدتهم ، وكونهم يجعلون الرابطة هي اللغة ، أو القومية ، فيدخل فيها غير المسلم ممن تشملهم القومية ، ويخرج بها مسلمون كثيرون ممن تشملهم القومية،لكن الرابطة الدينية التي قال الله فيه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2].هذه تدخل جميع المؤمنين – ولو من غير العرب –؛ وتخرج من ليس بمؤمن – ولو كان عربياً- فهذا إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – قال الله عنه :﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾[3].وقد حثنا الله على التأسي بإبراهيم حيث قال تعالى :﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[4]ولما قال نوح :﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾[5] قال الله له :﴿ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾[6]. فكون الناس انجرفوا في هذه الدعوى الباطلة – دعوى القومية – هو داخل في هذه الآية : أنهم كمثل الذي ينعق بما لايسمع إلا دعاء

---

١ – ابن عثمين ، مصدر سابق ، (٣٨٢/١) .

٢ – سورة الحجرات ، جزء من آية :١٠.

٣ – سورة التوبة ، آية :١١٤.

٤ – سورة الممتحنة ، جزء من آية : ٤.

٥ – سورة هود ، جزء من آية : ٤٥.

٦ – سورة هود ، جزء من آية : ٤٦.

ونداءً "[1].

ثالث عشر:قال الدكتور " محمد بكر إسماعيل ": " وفي ذلك المثل توبيخ لهم وتهكم بهم ، إذ نزلهم فيه منزلة البهائم التي لاهم لها إلا أن تأكل وتشرب ، وترتع ، وتلعب ، وهي منقادة مسخرة ذليلة ، صاغرة ، يسوقها راعيه إلى حيث يشاء مما يفعل و لا تهتدي بنفسها إلى سبيل ، وقد أكد الله هذه الصورة بما أكد به المثل الذي ضربه للمنافقين من قبل فقال جل شأنه: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾"[2].

رابع عشر : وقد قال هنا: ﴿ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾،وقال هناك: "﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[3]؛لأن الوصف هنا لقوم ألغوا عقولهم ، وألغوا أسماعهم وأبصارهم وحبسوا ألسنتهم عن النطق بكلمة التوحيد ، وحبسهم التقليد عن التفكير فيما دعاهم إليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – .

خامس عشر : قال الدكتور " محمد بكر إسماعيل " – رحمه الله- : " وفي قوله ﴿ يَنْعِقُ ﴾تعبير يوحي بأن الكلمات التي يهتف بها الهاتف إلى هذا الحيوان هي بالنسبة إليه نعيق ، ولهذا عبر عنها بما هي صائرة إليه لا بما كانت عليه ، عند منطلقها من فم قائلها ، لقد سدت عليهم منافذ العلم ، وأغلقت دون عقولهم أبواب المعرفة "[4].

سادس عشر: وفي هذا المثل تسلية لقلب النبي –صلى الله عليه وسلم – ومواساة لأتباعه من خلال التهكم بأعدائهم ، ومناوئيهم وإبرازهم في هذه الصورة المزرية ، التي تحز في نفوسهم وتهبط بمستواهم إلى حيث لا مستوى ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾.

سابع عشر : ومن الفوائد التربوية في هذا المثل التنفير الشديد من التقليد بغير عقل وتبصر إذ ليس هناك شيء يفسد العقول ، ويعوق التفكير ، ويحول بين المرء وما هو في حاجة إليه من أمور الدنيا

---

١ – ابن عثيمين ، مصدر سابق: (١/ ٣٨٣، ٣٨٤) .

٢ – إسماعيل ، مصدر سابق: صـــــ ١٠١.

٣ – سورة البقرة ، جزء من آية :١٨

٤ – إسماعيل ، مصدر سابق: صـــــــ ١٠٣.

والآخرة ، ويسد عليه أبواب الخير كلها ، مثل التقليد ، فالتقليد تعطيل للعقل ، وإفساد لموهبة الفكر ، وصرف للهمم عن التأمل والنظر في آيات الله الكونية والقرآنية ، وفي ذلك هبوط بالإنسان عن إنسانية التي كرمه الله بها ، وانحطاط عن المستوى الذي جعله الله عليه ، وارتداد عن الفطرة السليمة التي فطرة الله عليها ، فما خلق الإنسان إلا ليكون عبداً لله تعالى بمعنى ماتحمله كلمة عبد من خضوع وتذلل وانقياد.

ثامن عشر : وأيضاً من الفوائد التربوية ما قاله الدكتور "محمد بكر إسماعيل": "أن التقليد من غير تبصر يسد على العقل أبواباً كثيرة من العلم والمعرفة ، ويجعله مقفولاً عن التأمل والنظر في أقرب الأشياء إليه ، ويحبسه عن إدراك ما ينبغي إدراكه لضرورة من أمر الدنيا والدين ،فيضل هذا العقل الكاسد حيث هو جامداً لا ينموا بنمو صاحبه ، فيكون حالة كما قال حسان بن ثابت—رضي الله عنه — " أجسام البغال وأحلام العصافير ، والذين كفروا بالله ورسوله لم يفتحوا أعينهم على ما أرشدهم إليه القرآن من الآيات الكونية الشاهدة على وحدانية الله وقدرته ، وهي ماثلة في أنفسهم ، وفي كل ما حولهم. ولو فعلوا لاهتدوا إلى الهدى ولكن هيهات﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[1]"[2].

المبحث الثالث : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3].**وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله وما بعده :

مناسبة المثل لما قبله :

قال " المراغي " —رحمه الله – : "أن الله سبحانه وتعالى لما بين فيما سبق أن الناس فريقان : فريقٌ

---

١ – سورة يوسف آية : ١٠٥.

٢ – إسماعيل ، مصدر سابق: صـــــ ١٠٣.

٣ – سورة هود ، آية : ٢٤.

يريد الدنيا وزينتها ، وفريق على بينة من ربه ... أردف ذلك ببيان حال كلٍّ من الفريقين ، وما يكون عليه في الآخرة .

مناسبة المثل لما بعده :

قال "الهرري"- رحمه الله – :" أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر بعثة النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – ، وأثبت بالبرهان أنه رسول من رب العالمين ، وأن القرآن وحي من الرحمن الرحيم .. أردف ذلك بقصص الأنبياء قبله ليبين لقومه : أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – ليس بدعاً من الرسل ، وأنه إنما بعث بمثل ما بعث به من قبله من الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده ، والإيمان بالبعث والجزاء ، فحاله معهم كحال من قبله من الرسل – عليهم السلام- ، مع أقوامهم جملة وتفصيلاً ، كما قال

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾[1][2].

المطلب الثاني : تفسير أهل العلم للمثل وأقوال السلف في ذلك :

تفسير أهل العلم للمثل :

وبعد أن بين حال الأشقياء من أهل الظلم والمصير الذي هم إليه صائرون بُين أيضاً مصير أهل الإيمان والعلم الصالح فقال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾صدقوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم وخضعوا لربهم وخشعوا له وامتثلوا أمره وأنابوا إليه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ماكثون فيها لا يخرجون منها و لا يتحولون عنها ثم إن الله ضرب مثلاً لأهل الكفر من أهل الإيمان فقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾أهل الكفر مع أهل الإيمان ﴿ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ ﴾، فالكافر أعمى وأصم عن سامع له عامل به ، فهل يستوي من يسمع ويبصر مع من هو أعمى وأصم أفلا تتعظون وتعتبرون يا من ابتعدتم عن طريق الله وكفرتم به وأعرضتم عنه .

---

١ – سورة الإسراء، آية : ٧٧ .

٢ – الهرري ، مصدر سابق ، (١٣/ ٤٨) .

قال "الطبري ": – رحمه الله – :" ففي تأويل قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾،مثل فريقي الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئاً ، والأصم الذي لا يسمع شيئاً ، فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ويعمل به ؛ لشغله بكفره بالله ، وغلبة خذلان الله عليه ، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد ، فيجيبه إلى الهدى فيهتدي به ، فهو مقيم في ضلالته ، يتردد في حيرته ، والسميع والبصير فذلك فريق الإيمان ، أبصر حجج الله ، وأقر بما دلت عليه من توحيد الله ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، ونبوة الأنبياء – صلى الله عليهم وسلم – ، وسمع داعي الله فأجابه وعمل بطاعة الله "[1].

قال"ابن كثير"– رحمه الله –:" ثم ضرب تعالى مثل الكافرين والمؤمنين ، فقال :﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾أي : الذين وصفهم أولاً بالشقاء والمؤمنين السعداء ، فأولئك كالأعمى والأصم ،وهؤلاء كالبصير والسميع . فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا ، وفي الآخرة لا يهتدي إلى خير و لا يعرفه ، أصم عن سماع الحجج ، فلا يسمع ما ينتفع به ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾[2] ، وأما المؤمن ففطن ذكي لبيب ، بصير الحق ، يميز بينة وبين الباطل ،فيتبع الخير ويترك الشر ، سميع للحجة ، يفرق بينها وبين الشبهات ،فلا يروج عليه الباطل ، فهل يستوي هذا وهذا ،﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾: أفلا تعتبرون فتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء ، كما قال في الآية الأخرى :﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[3] ، وقال:﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ

---

١ – الطبري ، مصدر سابق ، (١٢/ ٣٧٦) .

٢ – سورة الأنفال ، جزء من آية :٢٣.

٣ – سورة الحشر ، آية :٢٠.

إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

قال" القرطبي" – رحمه الله – :قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ابتداء ، والخبر ﴿ كَٱلْأَعْمَىٰ ﴾وما بعده قال "الأخفش :"أي : كمثل الأعمى . النحاس : التقدير : مثل فريق الكافر كالأعمى والأصم ، ومثل فريق المؤمن كالسميع والبصير، ولهذا قال :﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾فرد إلى الفريقين وهي اثنان ؛ روى معناه عن قتادة وغيره . قال الضحاك : الأعمى والأصم مثل الكافر ، والسميع والبصير مثلُ المؤمن وقيل : المعنى : هل يستوي الأعمى والبصير ، وهل يستوي الأصم والسميع ؟﴿ مَثَلًا ﴾منصوب على التفسير ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾في الوصفين وتنظرون ؟ "[2].

قال"السعدي"–رحمه الله–:" أي : فريق الأشقياء وفريق السعداء ﴿ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ ﴾:هؤلاء الأشقياء . ﴿ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾: مثل السعداء .﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾؟ لا يستوون مثلاً ، بل بينهما من الفرق ما لا يأتي عليه الوصف ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾: الأعمال التي تنفعكم فتفعلونها ، والأعمال التي تضركم فتتركونها "[3]. قال " سيد قطب " – رحمه الله – : "في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ صورة حسية تتجسم فيها حالة الفريقين . والفريق الأول كالأعمى لا يرى وكالأصم لا يسمع – والذي يعطل حواسه وجوارحه عن الغاية الكبرى منها وهي أن تكون أدوات موصلة للقلب والعقل ، ليدرك ويتدبر فكأنما هو محروم من تلك الجوارح والحواس – والفريق الثاني كالبصير يرى وكالسميع يسمع ، فيهديه بصره وسمعه﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾سؤال بعد الصورة المجسمة لا يحتاج إلى إجابة لأنها إجابة مقررة

---

١ – سورة فاطر، الآيات : ١٩ :٢٤ .

٢ – القرطبي ، محمد أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن ، مؤسسة الرسالة (١١/ ٩٦ ،٩٧) .

٣ – السعدي ، مصدر سابق ، صـــــــــــ ٤٢٦

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾. فالقضية في وضعها هذا لا تحتاج إلى أكثر من التذكر ... فهي بديهية لا تقتضي التفكير . وتلك وظيفة التصوير الذي يقلب في الأسلوب القرآني في التعبير .... أن ينقل القضايا التي تحتاج لجدل فكري إلى بديهيات مقررة لا تحتاج إلى أكثر من توجيه النظر والتذكير "[1].

أقوال السلف في المثل :ذكر "الطبري" بسنده عن " ابن عباس " – رحمه الله – :" الأعمى والأصم : الكافر ، والبصير والسميع : المؤمن". ثم ذكر أيضاً " الطبري" عن " مجاهد " قال : " الفريقان، الكافران والمؤمنان ، فأما الأعمى والأصم فالكافران ، وأما البصير والسميع فهما المؤمنان . وذكر أيضاً عن " قتادة" قال : " هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن ، فأما الكافر فصم عن الحق فلا يسمعه ، وعمى عنه ، فلا يبصره و، وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به ، وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به "[2] .

وذكر " ابن الجوزي " – رحمه الله – قال " الزجاج": " مثل الفريقين المسلمين كالبصير والسميع ، ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم ، لأنهم في عداوتهم ، وتركهم للفهم بمنزلة من لا يسمع و لا يبصر ". وذكر أيضاً قال " أبو عبيدة": (هل) ها هنا بمعنى الإيجاب ، لا بمعنى الاستفهام ، والمعنى لا يستويان " [3].

المطلب الثالث : نوع المثل والغرض منه :

نوع المثل : قالت الدكتورة " سميرة عدلي محمد رزق " : " نلاحظ أن المثل الكريم اشتمل على تشبيه ملفوف "[4]. إذ جاء المشبهان هنا و هما فريق الكافرين ، وفريق المؤمنين ثم أتى بعد ذلك بالمشبهات بها على التوالي والترتيب وهما الأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، إذ شُبه فريق

---

١ – قطب ، مصدر سابق ، (٣/ ١٨٦٨) .

٢ – الطبري، مصدر سابق ، (١٢/ ٣٧٦، ٣٧٧) ، بتصرف .

٣ – ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن محمد ، زاد المسير ، المكتب الإسلامي (٤/ ٩٣) بتصرف .

٤ – والملفوف هو أن يتعدد الطرفان (المشبه ، المشبه به) ويؤتى بالمشبهات أولاً على طريق العطف أو غيرها ثم يؤتي بالمشبهات بها كذلك وذلك كقول امريء القيس يصف عقاباً بكثرة اصطياد الطيور :

كأن قلوب الطير رِطباً ويَابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي

الكفار بالأعمى في عدم اهتدائه وتبينه ما هو أمامه ، وبالأصم في عدم سماعه ما يدور حوله من حجج وبراهين أو عدم انتفاعه بما لا يسمع قال تعالى: " ولو علم الله فيهم خيراً لا سمعهم "كذلك شُبه فريق المؤمنين بالبصير في رؤيته ما أمامه وذلك لبصيرته النافذة وضميره اليقظ لما يراه من آيات كونية ودلائل إلهية صادقة . كذلك تشبيهه لهذا الفريق بالسميع الذي يسمع ما يدور حوله ويعيه وذلك لما يصدر عن المؤمنين من سماع لداعي الحق واستجابة لأوامره واجتناب نواهيه " [1].

الغرض الذي من أجله ضرب المثل :

ونلاحظ أن هذا المثل له غرضان رئيسان وهما :

الغرض الأول:ضرب المثل لتقريب المعنى للمخاطب وهذا الغرض التربوي ففي هذا المثل استخدام وسيلة الأمثال لتقريب المعاني الغامضة وتصوير ما هو معقول ، ليصير محسوساً ملموساً في متناول إدراك كل إنسان إمعاناً في إقامة الحجة على العباد والبرهنة على صحة الدين ، وتذليلاً لطريق التوحيد والعبودية للعباد، وضرب "يزيد حمزاوي" هذا المثل شاهد من شواهد هذا الغرض ويقول :" في هذا النص تمثيل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالأعمى والأصم وهو أن يتعدد الطرفان (المشبه ، المشبه به) ويؤتى بالمشبهات أولاً على طريق العطف أو غيرها وتمثيل الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالبصير والسميع ، ووجه الشبه أن الكافرين صرفوا أبصارهم عن رؤية آيات الله ، وتراكبت عليها غشاوة أهوائهم وشهواتهم ورغبات متاع الحياة الدنيا ، وصرفوا أسماعهم عن سماع وتفهم كلام الله وكلام رسوله ، وتراكبت على أسماعهم غشاوة الأهواء والشهوات فكانوا كمن هو مصاب بالعمى والصمم . أما الذين آمنوا فقد رأوا وأبصروا آيات الله ، فانتفعوا بها وآمنوا بربهم وتدبروا كلام الله ورسوله ، ففهموا واستجابوا ، فمثلهم الله بالبصير حديد البصر وبالسميع شديد السمع "[2].

والغرض الثاني :كما ذكره حمزاوي في رسالته " إثارة التفكير بالتذكير " وقال : في قوله تعالى: ﴿

---

١ – رزق ، مصدر سابق ، صـــــ١٧٩ .

٢ – حمزاوي ، مصدر سابق ، صـــــــــ٥٢ ، ٥٣

مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾"بعد ضرب المثل يخاطب الله كفار قريش ويسألهم عن سبب تناسيهم حقائق التوحيد ، فهل انتم تذكرون أم أنكم تتعمدون النسيان ؟ ، لكن هيهات "[1].

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: وجود الطباق بين لفظي الأعمى والبصير والأصم والسميع يقول "أبو حيان" في ذلك :" لما ذكر ما يؤول هنا المؤمنون من الجنة والفريقان هنا الكافر والمؤمن و لما كان تقدم ذكر الكفار وأعقب بذكر المؤمنين جاء التمثيل هنا مبتدأ بالكافر فقال كالأعمى والأصم ويمكن أن يكون من باب تشبيه اثنين باثنين فقوبل الأعمى بالبصير وهو طباق وقوبل الأصم بالسميع وهو طباق أيضاً والعمى والصمم آفتان تمنعان من البصر والسمع وليستا بضدين لأنه لا تعاقب بينهما " كما يرى أبو حيان أنه من المحتمل أن يكون من باب تشبيه الواحد بصفتين متواليتين مقابل آخر متصف بصفتين متواليتين وضرب على ذلك مثالاً بقول الشاعر :

إلى الملك القرن وابن الهُمام وليث الكرية في المزدحم [2].

ويرى أنه لم يجيء التركيب كالأعمى والبصير والأصم والسميع فيكون مقابلة ، في لفظ الأعمى وضده وفي الأصم وضده ويرى أن سبب ذلك راجع إلى أنه لما ذكر سبحانه انسداد العين أتبعه بانسداد السمع ولما ذكر انفتاح البصر أتبعه بانفتاح السمع ويعقب على ذلك بقوله : وذلك هو الأسلوب في المقابلة والأتم في الإعجاز " [3] .

ثانياً: ويلاحظ أن قوله كالبصير أكثر دقة و بلاغة من غيرها في السياق عما لوقيل مثلا (المبصر) وذلك،لأن البصير هو العالم بالشيء مأخوذمن البصيرة قال تعالى:﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ ﴾[4] أي : علمت مالم يعلموا به من البصيرة ، وبصير بكذا وكذا أي : حاذق له علم

---

١ – حمزاوي ، مصدر سابق ، صـــــــــــ٧٠

٢ – الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، مكتبة الحلبي ،ط٢ (١/ ٢٢).

٣ – أبوحيان ، مصدر سابق ، (٥/ ٢١٣) بتصرف

٤ – سورة طه ، جزء من الآية : ٩٦.

دقيق به ويمكن أيضاً أن يقال للأعمى " بصير " وذلك لقوة بصيرته . لذا من المؤمنين من يكون أعمى ولكنه بصير القلب نافذ البصيرة وهذا هو وجه الدقة في مجيء لفظة (البصير) دون سواها لأن من المؤمنين من هو مبصر ومنهم من هو أعمى وكلاهما بصير بحقائق الإيمان حاذق بخفايا أموره هذا وقد قدمت لفظة (بصير) على لفظة (سميع) في السياق لتوافق التقديم الأول فيه لتطابق لفظة

(البصير) دون سواها لأن من المؤمنين من هو مبصر ومنهم من هو أعمى وكلاهما بصير بحقائق الإيمان حاذق بخفايا أمورة هذا وقد قدمت لفظة (بصير) على لفظة (سميع) في السياق لتوافق التقديم الأول فيه لتطابق لفظة (البصير) ولفظة الأعمى ، ولتطابق لفظة (السميع) ولفظة

(الأصم) ، ولعل سبب تقديم قوله (الأعمى) على (الأصم) عائد إلى أن فقدان البصر أظهر وأشهر وأقوى دليلاً على سوء الحال ولعل في تعاطف هذه الصفات ما يجعلنا نعتبر أن هذا المثل الكريم من إيجاز القصر في القرآن "[1].

ثالثًا : قال " ابن عاشور " – رحمه الله –: " والوجه عندي في الداعي إلى عطف صفة

(الأصم) على صفة (الأعمى) أنه ملحوظ فيه أن لفريق الكفار حالين كل حال منهما جدير بتشبيهه بصفة من تلك الصفتين على حده ، فهم يشبهون الأعمى في عدم الاهتداء إلى الدلائل التي طريق إدراكها البصر ، ويُشبهون الأصم في عدم فهم المواعظ النافعة التي طريق فهمها السمع ، فهم في حالتين كل حال منهم مشبه به ، ففي قوله تعالى :﴿ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ ﴾تشبيهان مُفرقان كقوال امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها القناب والحشف البالي[2].

---

١ – رزق ، مصدر سابق ، (وجوه البيان في أمثال القرآن) ، صـــــــــــ١٨٢، ١٨٣.

٢ – مصدر سابق ،الجاحظ ، الحيوان (١/ ٢٠٦).

والذي في الآية تشبيه معقولين بمحسوسين ، واعتبار كل حال من حالي فريق الكفار لا محيد عنه لأن حصول أحد الحالين كاف في جر الضلال إليهم بله اجتماعهما ، إذ المشبه بهما أمر عدمي فهو في قوة المنفى . أما الداعي إلى العطف في صفتي (البصير والسميع) بالنسبة لحال فريق المؤمنين فبخلاف ما قررنا في حال فريق الكافرين لأن حال المؤمنين تشبه حالة مجموع صفتي

(البصير السميع) ، إذ الاهتداء يحصل بمجموع الصفتين فلو ثبت إحدى الصفتين وانتفت الأخرى لم يحصل الاهتداء إذ الأمر أن المشبه بهما أمران وجوديان ، فهما في قوة الإثبات ، فتعين أن الكون الداعي إلى عطف (السميع) على (البصير) في تشبيه حال فريق المؤمنين هو المزاوجة في العبارة لتكون العبارة عن حال المؤمنين مماثلة العبارة عن حال الكافرين في سياق الكلام ، والمزاوجة من محسنات الكلام ومرجعها إلى فصاحته "[1] .

رابعًا :قال "الهرري" – رحمه الله – :" مثل فريقي الكافرين والمؤمنين ، وصفتهما الحسية التي تطابق حالهما كمثل الأعمى الفاقد لحاسة البصر في خلقته والأصم الفاقد لحاسة السمع الذي حرم وسائل العلم والمعرفة الإنسانية والحيوانية ، ومن هو كامل حاستي السمع والبصر ،فهو يستمد العلم من آيات الله في خلقه بما يسمع من القرآن ، وبما يرى في الأكوان ، وهما وسيلتا العلم والهدى لعقل الإنسان "[2] .

خامسًا : قال " ابن القيم " – رحمه الله – :" فإنه ذكر سبحانه الكفار ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ، ثم ذكر المؤمنين ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإخبات إلى ربهم فوصفهم بعبودية الظاهر والباطن ، ثم جعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق ، أعمى أصم عن سماعه ، فشبه بمن بصره أعمى عن رؤية الأشياء ، وسمعه أصم عن استماع الأصوات والفريق الآخر : بصير القلب

---

١ – ابن عاشور ، مصدر سابق (١٢/ ٤٢) .

٢ – الهرري ، مصدر سابق ، (١٣/ ٥٥) .

سميعه بصير العين ، سميع الأذن وقد تضمنت الآية قياسين و تمثيلين للفريق .ثم نفى التسوية عن الفريقين بقول :﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾[1].

سادساً :قال "الهرري" : " والاستفهام في قوله:﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾للإنكار ، وهذه الجملة مقررة لما تقدم من قوله :﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾أي هل يستوى الفريقان صفة وحالاً ومالاً ؟ كلاَّ ، إنهما لا يستويان ، والهمزة في قوله: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾للتوبيخ داخلة على محذوف ، و(الفاء) عاطفة على ذلك المحذوف ، والتقدير : أتغفلون عن ذلك المثل الجلي الواضح وتشكون في عدم الاستواء ، فلا تتذكرون ما بينهما من التباين والاختلاف ، فتعتبروا به ، أي أفلا تتذكرون في عدم استوائهما ، وفيما بينهما من التفاوت الظاهر الذي لا يخفى على من له تذكر وعنده تأمل ، والهمزة لإنكار عدم التذكر ، وابتعاد صدوره من المخاطبين "[2].

سابعاً :قال " أنور الباز " في التفسير التربوي للقرآن الكريم: " ما ترشد إليه الآيات تربوياً :

١-الكافر ميت موتاً معنوياً ، فلذا هو لا يسمع و لا يبصر ، والمسلم حيٌّ فلذا هو يسمع الحق ويبصره .

٢-الخسارة الحقيقة هي خسارة الآخرة بدخول النار .

٣-السعادة الحقيقية هي الفوز برضا الله – عز وجل – ودخول الجنة ورؤية الله عز وجل – "[3].

ثامناً : قال " الميداني " : " وهكذا وضحت لنا دقة التصوير ، ووضحت لنا أيضاً في الصورة التمثيلية الحركة الحية الناطقة ، إذ بدا فيها ناعق يخطب في قطيع من الغنم ، والقطيع يموج بعضه في بعض ، وهو لا يدري من كلام الناعق الخطيب شيئاً ، ونفس الخطيب تتمزق بمشاعر

---

١ – ابن القيم ، مصدر سابق التفسير القيم صـــــــــــ٣١١ .

٢ – الهرري ، مصدر سابق ، (١٣/ ٥٥) .

٣ – الباز ، أنور ، التفسير التربوي للقرآن الكريم ، دار النشر للجامعات – مصر – (٢/ ٥٥) .

الخيبة ، وعدم جدوى عمله ، وفي هذا المثل إلماح للدعاة بأن لا يوجهوا اهتمامهم الكبير لهذا الصنف الميئوس من إيمانه ، وإذ استوى عنده الإنذار وعدمه "[1].

تاسعاً *:* قال " سيد قطب " : في قوله تعالى ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾" فالقضية في وضعها هذا لا تحتاج إلى أكثر من التذكر ، فهي بديهية لا تقتضي التفكير . وتلك وظيفة التصوير الذي يغلب في الأسلوب القرآني في التعبير . أن ينقل القضايا التي تحتاج لجدل فكري إلى بديهيات مقررة لا تحتاج إلى أكثر من توجيه النظر والتذكير ..."[2].

١ – الميداني ، مصدر سابق ، أمثال القرآن صـــــــــــــــــــ١٢٠ .

٢ – قطب ، مصدر سابق ، (٣/ ١٨٦٨) .

المبحث الرابع : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

المطلب الأول : مناسبة الآية لما قبلها وكذا مناسبة الآية لما بعدها :

مناسبة الآية لما قبلها : أن الله سبحانه لما ذكر مطاعن المشركين في النبي – صلى الله عليه وسلم – وأورد شبهاتهم في ذلك ... أردف هذا ببيان أن ذلك ما كفاهم ، وليتهم اقتصروا عليه ، بل زادوا على ذلك الاستهزاء به والحط من قدره حتى قال بعضهم لبعض:﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾، بل لقد غالوا في ذلك فسموا دعوته إضلالاً ، فرد الله عليهم مقالهم ، وأبان لهم أنه سيظهر عليهم حين مشاهدة العذاب من الضال ومن المضل ، ثم عجب رسوله من شناعة أحوالهم بعد حكاية أقوالهم وأفعالهم القبيحة ، وأرشد إلى ان مثل هؤلاء يبعد ان يزدجروا عمَّا هم فيه من إلفي بنصحك وإرشادك فإن أكثرهم لا يسمعون ولا يعقلون ، وما هم إلا كالأنعام أو أضل منها سبيلا .

مناسبة الآية لما بعدها :أن الله سبحانه لما بين جهالة المعرضيين عن دلائل التوحيد ،وسخيف مذاهبهم وآرائهم .. أعاد الكرة أخرى ، فذكر خمسة أدلة عليه نراها عياناً ، وتتوارد علينا ليلاً ونهاراً ، وتكون دليلاً على وجود الإله القادر الحكيم .

المطلب الثاني : تفسير الآية وبيان أقوال أهل العلم فيها .

تفسير الآية :والمعنى والله أعلم : أرأيت يا رسول الله هذا المشرك الذي اتخذ ما يهواه وما يشتهيه إلهاً يعبده من دون الله ، أفأنت تقدر على رده عن الشرك وتتوكل بحفظه من الشرك وبرده إلى الإيمان ،كلا فإنك لن تستطيع ذلك ولو سلكت معه أحسن الطرق وأجمل السُّبل ولو دعوته أفتظن يا رسول الله أن أكثر هؤلاء يسمعون الحق ويفهمونه ويجيبونك ويؤمنون بك ، كلا بل إنهم في عدم سماعهم كالبهائم التي لاتفهم مرادك إذا ناديتها بل الأنعام أفضل منهم وأهدى سبيلاً ، لأن

---

١ – سورة الفرقان آية : ٤٤ .

الأنعام وإن كانت قد جبلت على عدم فهم خطاب بني آدم ، لكنها تسمع لراعيها وتنقاد له وتشكر له مودته فيها ، بل وإنها تسجد لخالقها وتشكره وتسبح بحمده . قال تعالى :﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[1].وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾[2]. فحقاً إن هؤلاء الكفار لأضل من الأنعام وأبعد عن طريق الحق والصواب ، والله أعلم .

قال"الطبري"– رحمه الله – :" يعني تعالى ذكره : ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾يا محمد ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ ﴾شهوته التي يهواها وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر ، فإذا رأى أحسن منه رمى به ، وأخذ الآخرة يعبده ، فكان معبوده وإلهه ما يتخيره لنفسه ، فلذلك قال جلَّ ثناؤه ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾يقول تعالى ذكره : أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظاً في أفعاله مع عظيم جهله ؟﴿ أَمْ تَحْسَبُ ﴾يا محمد أن أكثر هؤلاء المشركين﴿ يَسْمَعُونَ ﴾ما يُتلى عليهم ، فيعون ﴿ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ما يعاينون من حجج الله ، فيفهمون ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾يقول : ما هم إلا كالبهائم التي لا تعقل ما يقال لها ، و لا تفقه ، بل هم من البهائم أضل سبيلاً لأن البهائم تهتدي لمراعيها ، وتنقاد لأربابها ، وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم ، و لا يشكرون نعمة من أنعم عليهم ، بل يكفرونها ، ويعصون من خلقهم وبرأهم "[3] .

وقال "ابن كثير" –رحمه الله – : " أي : أسوأ حالاً من الأنعام السارحة ،فإن تلك تعقل ما خُلقت له، وهؤلاء خُلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له ، وهم يعبدون غيره ويشركون به ، مع قيام

---

١ – سورة الإسراء آية : ٤٤ .

٢ – سورة النور آية : ٤١ .

٣ – مصدر سابق ، الطبري (٤٥٩/١٧ ، ٤٦٠) .

الحجة عليهم ، وإرسال الرسل إليهم "[1] .

وقال " القرطبي " – رحمه الله – "وقوله تعالى:﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ و لم يقل أنهم لأنه منهم من قدر علم أنه يؤمن ، وذمهم –جل وعز- بهذا ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ سماع قبول أو يفكرون فيما تقول فيعقلونه أي : هم بمنزلة من لا يعقل و لا يسمع وقيل : المعني : أنهم لما لم ينتفعوا بما يسمعون فكأنهم لم يسمعوا والمراد أهل مكة وقيل : ﴿ أَمْ ﴾بمعنى: بل في مثل هذا الموضوع ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ﴾أي : في الأكل والشرب لا يفكرون في الآخرة ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾إذا لا حساب و لا عقاب على الأنعام وقال مقاتل : البهائم تعرف ربها وتهتدي إلى مراعيها وتنقاد لأربابها التي تعقلها وهؤلاء لا ينقادون و لا يعرفون ربهم الذي خلقهم ورزقهم وقيل لأن البهائم إن لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك أيضاً"[2] .

وقال الشيخ " ابن عثيمين " – رحمه الله – ثم سجل تعالى على ضلالهم البليغ بأن سلبهم العقول والأسماع ، وشبههم في ضلالهم بالأنعام السائمة ، التي لا تسمع ، إلا دعاء ونداء ، صم بكم فهم لا يعقلون ، بل هم أضل من الأنعام ، فإن الأنعام يهديها راعيها فتهتدي ، وتعرف طريق هلاكها فتجتنبه ، وهي أيضاً أسلم عاقبة من هؤلاء ، فتبين بهذا ان الرامي للرسول بالضلال أحق بهذا الوصف ، وان كل حيوان بهيم فهو أهدى منه "[3] .

المطلب الثالث: نوع المثل ، والغرض من ضرب هذا المثل .

نوع المثل : التمثيل في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾يقول الشيخ " محمود عبد الرحيم صافي " – رحمه الله –" " يتلخص هذا الفن ، في أن يريد المتكلم معنى ، فلا يعبر عنه

---

١ – مصدر سابق ، ابن كثير (١٠/ ٣٠٩) .

٢ – مصدر سابق ، القرطبي (١٥/ ٤١٨) .

٣ – مصدر سابق ، ابن عثمين (٦/ ١٨ ، ١٩) .

بلفظه الخاص ، و لا بلفظي الإشارة ، و لا الإرداف ، بل بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف قليلاً، يصلح أن يكون مثلاً للفظ الخاص ، لأن المثل لا يشبه المثل من كل الوجوه ، ولو تماثل المثلان من كل الوجوه لاتحدا ومن التمثيل أيضاً نوع آخر ، ذهب إليه من جاء بعد قدامة ، وهو أن يذكر الشيء ليكون مثالاً للمعنى المراد ، وإن كان معناه ولفظة غير المعنى المراد ولفظه ، كأنهم لثبوتهم على الضلالة بمنزلة الأنعام والبهائم بل أضل سبيلاً ، لأن البهائم تنقاد لمن يتعهدها ، وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها ، أما هؤلاء فقد أسفوا إلى أبعد من هذا الدرك "[1] .

وقال " ابن القيم " –رحمه الله – " فشبه أكثر الناس بالأنعام ، والجامع بين النوعيين التساوي في عدم قبول الهدى والانقياد له ، وجدل الأكثرين أضل سبيلاً من الأنعام ، لأن البهيمة يهديها سائقها فتهتدي ، وتتبع الطريق فلا تحيد عنها يميناً وشمالاً"[2] .

الغرض من ضرب المثل :

ومن خلال دراسة هذا المثل نجد أن الغرض منه هو الغرض الثالث مما تقدم في التمهيد وهو أن المثل ضرب بغرض الإقناع بذكر قبائح الباطل والتنفير منه وذلك عن طريق التشبيه بالأنعام ومثلت له بمثال معقول مطابق ، ومنها ما ورد لتصوير حال الكافر وبيان حيرته وقلقة النفسي والتخبط في الظلمات .

المطلب الرابع: الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: قال " ابن عاشور" –رحمه الله – " في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾" انتقال عن التأييس من اهتدائهم لغلبة الهوى على عقولهم إلى التحذير من أن يظن بهم إدراك الدلائل والحجج ، وهذا توجيه ثان للإعراض عن

---

١ – صافي ، محمود بن عبد الرحيم ، الجدول في إعراب القرآن وصرفاً ، دار الرشيد ، الطبعة الثالثة ١٤١٦، (١٠/ ٢٥) .

٢ – مصدر سابق ، ابن القيم ، التفسير القيم صـــــــــــ ٣٩٠.

مجادلتهم التي أنبأ عنها قوله تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[1].

فـــــــــ ﴿ أَمْ ﴾منقطعة للإضراب الانتقالي من إنكار إلى إنكار وهي مؤذنة باستفهام عطفته على الاستفهام الذي قبلها والتقدير : أم أتحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون "[2].

ثانيًا : قال " سيد قطب " – رحمه الله – " في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾" وفي التعبير تحرز وإنصاف إذ يذكر " أكثرهم و لا يعمم ، لأن قلة منهم كانت تجنح إلى الهدى ، أو تقف عند الحقيقة تتدبرها . فأما الكثرة التي تتخذ من الهوى إلهاً مطاعاً ، والتي يتجاهل الدلائل وهي تطرق الأسماع والعقول ، فهي كالأنعام "[3].

ثالثًا:قال "ابن عاشور " –رحمه الله – " والمراد من نفى ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ﴾نفي أثر السماع وهو فهم الحق لأن ما يلقيه إليهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يرتاب فيه إلا من هو كالذي لم يسمعه . وهذا كقوله تعالى :{ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين } "[4]

رابعًا:قال " ابن عاشور " – رحمه الله – " وعطف " أو يعقلون " على "يسمعون " لنفي أن يكونوا يعقلون الدلائل غير المقالية وهي دلائل الكائنات قال تعالى :﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[5]. وإنما نُفي فهم الأدلة السمعية والعقلية عن أكثرهم دون جميعهم ، لأن هذا حال دهمائهم ومقلديهم ، وفيهم معشر عقلاء يفهمون ويستدلون بالكائنات ولكنهم غلب عليهم حبُ الرئاسة وأنفوا من أن يعودوا أتباعاً للنبي – صلى

---

١ – سورة الفرقان الآية :٤٢.

٢ – مصدر سابق ، ابن عاشور ، (١٧/ ٣٧).

٣ – مصدر سابق ، قطب ، (٥/ ٢٥٦٦).

٤ – مصدر سابق ، ابن عاشور ، (١٧/ ٣٧).

٥ – سورة يونس الآية :١٠١.

الله عليه وسلم – ومساويين للمؤمنين من ضعفاء قريش وعبيدهم مثل عمارة وبلال " [1].

خامساً :قال "ابن عاشور " –رحمه الله – : " وجملة " إن هم إلا كالأنعام " مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن ما تقدم من إنكار أنهم يسمعون يثير في نفس السامعين سؤالاً عن نفي فهمهم لما يسمعون مع سلامة حواس السمع منهم ، فكان تشبيههم بالأنعام تبيناً للجمع بين حصول اختراق أصوات الدعوة آذانهم مع عدم انتفاعهم بها لعدم تهيئهم للاهتمام بها ، فالغرض من التشبيه التقريب والإمكان كقول أبي الطيب :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال[2].

وضمائر الجمع عائدة إلى أكثرهم باعتبار معنى لفظة كما عاد عليه ضمير " يسمعون""[3].

سادساً :" إن الذي لا يستخدم ما وهبه الله سبحانه وتعالى من المزايا والمواهب والإمكانات فيما خلقت له أسوا حالاً من الأنعام التي تنحصر حركاتها على ردود الأفعال الانعكاسية للغرائز المودعة فيها لذا لا حساب و لا عقوبة على الأنعام في الآخرة . أما الكافر فعليه الحساب والجزاء جراء ما اقترفت يداه من الآثام والموبقات "[4].

سابعاً : قال " سيد قطب " – رحمه الله – : " ما يفرق الإنسان من البهيمة إلا الاستعداد للتدبر والإدراك ، والتكيف وفق ما يتدبر ويدرك من الحقائق عن بصيرة وقصد وإرادة واقتناع ، ووقوف عند الحجة و الاقتناع . بل إن الإنسان حين يتجرد من خصائصه هذه ليكونن أحط من البهيمة ، لأن البهيمة تهتدي بما أودعها الله من استعداد ، فتؤدي وظائفها أداء كاملاً صحيحاً . بينما يهمل الإنسان ما أودعه الله خصائص ، و لا ينتفع بها كما تنتفع البهيمة "[5].

ثامناً : قال "سيد قطب " : – رحمه الله – " وهكذا يعقب على استهزائهم برسوله الله – صلى

---

١ – المصدر السابق ، ابن عاشور (١٧/ ٣٧) .

٢ – مصدر سابق ، المتنبي (١/ ٤٢٠).

٣ – مصدر سابق ، ابن عاشور ، (١٧/ ٣٧) .

٤ – مصدر سابق ، مسلم ، (٥/ ٣٠١) .

٥ – مصدر سابق ، سيد قطب ، (٥/ ٢٥٦٦) .

الله عليه وسلم – ذلك التعقيب الذي يخرج المستهزئين من إطار الآدمية في عنف واحتقار ومهانة "[1].

تاسعًا *:* لم يعبد إله في الأرض كالهوى ، فلا دليل من النقل و لا حجة من العقل تؤيد عبادة غير الله سبحانه وتعالى ، وإنما اتباع الهوى ،لذا كان متبعوا الهوى أضل من البهائم حيث منحوا العقل للتفكير في الحال والمآل ، فلم يفكروا إلا في شهواتهم العاجلة الفانية "[2] .

عاشرًا *:*" في هذا المثل تربية إنسانية رائعة ، وهو يرشدنا إلى تلك المعاني التي تبين لنا أن لا شيء أحقر من الإنسان عندما يغلب هواه على عقله وبصيرته ، حتى ليفقد أي قدرة على التمييز والاختيار، وهذا ما يخرجه عن إطار جنس الآدمي ليصيره كالبهيمة أو أضل سبيلاً " [3] .

---

١ – مصدر سابق ، ابن عاشور ، (٥/ ٢٥٦٧) .

٢ – مصدر سابق ، مسلم ، (٥/ ٣٠١) .

٣ – مصدر سابق ، سميح عاطف الزين ، صـــــــــــــــــــ٥١٦ بتصريف .

المبحث الخامس : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾[1] .

المطلب الأول : أسباب نزول الآيات ، ومناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ، ومناسبة الآيات بينها وبين محور السورة .

أسباب نزول الآيات المثل :

قال الشيخ " مصطفى العدوي " – حفظه الله – : في كتاب التسهيل لتأويل التنزيل " أورد الطبري بسند مرسل صحيح إلى سعيد بن جبيرة قال : جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعظم حائل ،ففته بين يديه ، فقال : يا محمد أيبعث الله هذا حياً بعد ما أرم ؟ قال :" نعم يبعث الله هذا ، ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم " قال :ونزلت الآيات: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾إلى آخر الآية وهذا مرسلُ وهو ضعيف من هذا الوجه ، وقد ذكر ، ابن أبي حاتم[2] متصلاً بذكر ابن عباس ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن العلا حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال : إن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله –صلى الله عليه وسلم – : أيحيي الله هذا بعد ما أرم ؟ فقال رسول الله – صلى الله

---

١ – سورة يسن الآيات من ٧٧ : ٨١ .

٢ – يقول الشيخ " مصطفى العدوي " : نقلاًعن شيخنا الشيخ " مقبل " –رحمه الله – إذ نقل السند ايضاً عن ابن كثير عن أبي حاتم وقال الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٩) من طريق عمرو بن عون عن هشيم به ، وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .

عليه وسلم – :"نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم " قال : نزلت الآيات آخرين .قال الشيخ مصطفى العدوي :"فالخبر مختلف في وصله وإرساله ، كما ترى "[1].

مناسبة الآيات لما قبلها :" أن الله سبحانه لما ذكر فيما سلف الدلائل على عظيم قدرته ، ووجوب عبادته ، وبطلان إشراكهم به ، بعد أن عاينوا فيما بين أيديهم ، ما يوجب التوحيد والإقرار بالبعث . أردف ذلك ذكر حجة من أنفسهم ، دالة على قدرته تعالى ، ومبطلة لإنكارهم له . ثم ذكر أن بعض خلقه استبعدوا البعث ، ونسوا بدء أمرهم وكيف خلقوا ، وقالوا : كيف ترجع الحياة إلى هذا العظام النخرة . فأجابهم عن شبهتهم : بان الذي أنشاها أول مرة من العدم ، هو الذي يحييها ، وهو العليم بتفاصيل أجزائها ، مهما وزعت وتفرقت ، ثم ذكر لهم دليلاً آخر يرفع هذا الاستبعاد وهو : أن من قدر على إعادة الحياة إلى ما كان غضاً طرياً ،ثم يبس وبلي ، ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان وفيه الدليل على قدرته ، وهو خلق السموات والأرض ، ثم أعقب بما هو كالنتيجة لما سلف وفيه بطلان لإنكارهم . فأبان أن كل شيء هين عليه ، فما هو إلا بقول : (كن) (فيكون) تنزه ربنا ذو الملك والملكوت عن كل ما يقول المشركون . فإليه يرجع جميع الخلق للحساب والجزاء "[2].

المناسبة بين الآيات وبين محور السورة :

مناسبة هذه الآيات لمحور السورة الكريمة في غاية القوة ، وتمام الوضوح واضحة ، فمحور السورة الأساس : إثبات البعث والجزاء وإقامة الأدلة على ذلك وجاء هذا المقطع بأكمله لتأكيد هذه العقيدة والتدليل عليها بعدة أدلة وهي :

- خلق الإنسان من نطفة .
- خلق النار من الشجر الأخضر .

---

١ – مصدر سابق ، العدوي ، (تفسير جزء يسن ، صـــــــــــــــ١٣١).

٢ – مصدر سابق ، الهرري ، (٢٤ / ٦٩ ،٧٠).

- خلق السموات والأرض"[1].

المطلب الثاني : تفسير آيات المثل وبيان أقوال السلف فيهما :

والمعنى –والله تعالى أعلم – : وشبَّهنا هذا الكافر بخلقنا فقال : من ذا الذي يحي هذه العظام البالية المتفتتة ، وقد أصبحت رميماً وتراباً، ونسي هذا الإنسان الكافر كيف خلقناه فقد خلقناه من نطفة من منى يمنى ، من قطرة مني قُذفت في رحم امرأة فهناك حدث الاختلاط بين ماء الرجل وماء المرآة كما قال تعالى :﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾[2].وكما قال تعالى :﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[3].أو لم يذكر الإنسان الكافر هذا ، ومن ثم فلا يشبهنا بخلقنا ، و لا يصفنا بالعجز ، أو لم يتفكر في هذا فيوقن بقدرتنا على البعث ، بعث العباد بعد موتهم فقل يارسول الله لهذا الكافر الجاحد المنكر للبعث إذا سأل من يحي العظام وهي رميم ؟ قل له : يحييها الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون النار . وبنحو هذا قال أهل العلم .

قال " الطبري" – رحمه الله – " ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾ويقول : ومثل لنا شبهاً بقوله : ﴿ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾إذا كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد ، يقول : فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق ﴿ وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾يقول : ونسي خلقنا إياه كيف خلقناه ، وانه لم يكن إلا نطفة ، فجعلناها خلقاً سوياً ناطقاً ، يقول : فلم يفكر في خلقنا إياه ، فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشراً سوياً ناطقاً متصرفاً ، لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء ، والعظام الرميم بشراً كهيئتهم التي كانوا بها قبل الفناء ، يقول الله لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم – : (قل) لهذا المشرك القائل لك : من يحي العظام وهي رميم ﴿ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾يقول : يحييها

---

١ – مصدر سابق ، مصطفى مسلم (٣٣٦/٦).

٢ – سورة الإنسان : الآية :٢

٣ – سورة الطارق : الآيتان :٦ ،٧ .

الذي ابتدع خلقها أول مرة و لم يك شيئاً

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾يقول : وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت ، وكيف يحي ، وكيف يبدئ ، وكيف يعيد ، لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه "[1].

وقال الحافظ " ابن كثير" – رحمه الله – " ولهذا قال ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾أي : استبعد إعادة الله تعالى –ذي القدرة العظيمة التي خلقت السماوات والأرض – للأجساد والعظام الرميمة ، ونسي نفسه ، وأن الله خلقه من العدم ، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده، ولهذا قال تعالى :﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾أي: يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها ، أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت . وأورد ما أخرجه أحمد والبخاري ومسلم ، واللفظ لأحمد من حديث حذيفة – رضي الله عنه – قال : سمعت – رسول الله –صلى الله عليه وسلم – يقول : " إن رجلاً حضره الموت ، فلما أيس من الحياة أوصى أهله : إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً جزلاً ، ثم أوقدوا فيه ناراً ، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت فخذوها فأذروها في اليم ، ففعلوا ، فجمعه الله إليه فقال له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك ، فغفر الله له " فقال عقبة بن عمرو : وأنا سمعته يقول ذلك وكان نباشاً "[2][3].

قال " السعدي" – رحمه الله –: " هذه الآيات الكريمات فيها شبهة منكري البعث والجواب عنها بأتم جواب وأحسنه وأوضحه فقال تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾:المنكر للبعث أو الشاك فيه أمراً يفيده اليقين التام بوقوعه ، وهو ابتداء خلقه ﴿ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ثم تنقله في الأطوار شيئاً فشيئاً ، حتى

---

١ – مصدر سابق ، الطبري (١٩/ ٤٨٨) .

٢ – البخاري (٣٤٥٢) ، وأحمد (٥/ ٣٩٥).

٣ – مصدر سابق ، ابن كثير (١١/ ٣٨٥) .

كبر وشب وتم عقله واستتب ؛ ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾: بعد أن كان ابتداء خلقه من نطفة ؛ فلينظر التفاوت بين هاتين الحالتين ، وليعلم أن الذي أنشأه من العدم قادر على ان يعيده بعد ما تفرق وتمزق من باب أولى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا ﴾: لا ينبغي لأحد أن يضربه ، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق ، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق ، فسر هذا المثل بقول : (قال) : ذلك الإنسان : ﴿ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾، أي : هل أحد يحييها ؟ استفهام إنكار ؛ أي : لا أحد يحييها بعدما بليت وتلاشيت . هذا وجه الشبهه والمثل ؛ وهو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر ، وهذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه ونسيان لابتداء خلقه ؛ فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً فوجد عياناً ، لم يضرب هذا المثل فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف ،فقال: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ وهذا بمجرد تصوره بعلم به علماً يقيناً لا تشبهه فيه أن الذي أنشاها أول مرة قادرة على الإعادة ثان مرة ، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور ،﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾هذا أيضاً دليل ثان من صفات الله تعالى ، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها في جميع الأوقات ، ويعلم ما تنقص الأرض من أحياء الأموات وما يبقى ، ويعلم الغيب والشهادة ، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم ؛ علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم "[1].

المطلب الثالث : نوع المثل والغرض من ضربه وخصائصه :

نوع المثل :وهذا المثل جاء على هيئة التشبيه التمثيل أو المركب الذي هو عبارة عن تشبيه صورة بصورة وهي بلا شك أبلغ وأوقع إلى الحس .

الغرض من هذا المثلفي قوله تعالى:﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ

١ – مصدر سابق ، السعدي صـــــــــــ٨٢٤ .

هو الإقناع بفكرة من الأفكار قد يصل إلى مستوى الحجة البرهانية و الحجة البرهانية هي الحجة الملزمة التي تعيد اليقين فضرب الله في هذه النصوص مثلاً يبدء الخلق ، وضرب مثلاً بخلقه للسماوات والأرض الذي هو أكبر من خلق الناس ، دليلاً على قدرته سبحانه وتعالى على إعادة خلق الناس بعد فناء أجسادهم .وضرب المثل بكل من الأمرين قد تضمن حُجة برهانية على قدرة الخالق على إعادة الخلق بعد فنائه ، لأن من قدر على ابتداء الخلق لا بد أن يكون قادراً على إعادته ، لاستواء البدء والإعادة في الواقع بالنسبة إلى قدرة الخالق القادر ، الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له : كن ، فيكون ذلك الشيء . ولأن من قدر على خلق الشيء العظيم الكبير لا بد أن يكون قادراً على خلق ما هو أقل وأصغر منه "[1].

الآثار التربوية للمثل :

"نلاحظ أن الأثر التربوي لذلك المثل من حيث المضمون هو توسيع آفاق السامع أو المتلقي ، الفكرية والنفسية ، بتدريبه على ربط المعقولات بالمحسوسات ، والانتقال من التجريد إلى المحسوس ، ومن المحسوس إلى التجريد .....، وربط المفاهيم المجردة ، وتقريبها من الواقع المحسوس ، وقياس الغائب على الشاهد و لا يخفى أن لربط المعقولات بالمحسوسات ، وتقريبها للسامع أو المتلقي ، أهمية تربوية كبيرة ، في توسيع أفاقه الفكرية والنفسية وإن حقيقة الإيمان لن تسكن قلباً حبيس المحسوسات ، لا يتعداها تفكيره ، و لا يؤمن بما وراءها من حقائق ، وقد امتن الله تعالى ، على عباده ، بتقديم الآيات العظيمة ، الدالة على وحدانية وقدرته ، وعظيم أسمائه وصفاته ، وقد بثها الله سبحانه في الأفاق ، وفي الأنفس ، وهي آيات مشهورة محسوسة ، لتقود الناس إلى رحاب الإيمان وحقائقه ومفاهيمه "[2].

---

١ – مصدر سابق ،الميداني ، أمثال القرآن ، صـــــــــــ٦٦ ، ٦٧ بتصريف .

٢ – مصدر سابق ، عبد المجيد البيانوني صـــــــــــ٨٩ ، ٩٠ .

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً:في جدول الإعراب في قوله تعالى :﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾:حسن البيان في الآية وحسن البيان هو إخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة له ، وإيصاله إلى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها ، وقد تأتي العبارة عنه من طريق الإيجاز ، وقد تأتي من طريق الإطناب ، بحسب ما تقتضيه الحال؛وقد أتى بيان الكتاب العزيز في هذه الآية من الطريقين ، فكانت جامعة مانعة في الاحتجاج القاطع للخصم "[1].

ثانياً:قال " ابن عاشور" –رحمه الله –:"فالتعريف في الإنسان تعريف العهد وهو الإنسان المعين المعروف بهذه المقالة يومئذ . وقد تقدم في سورة مريم أن قوله تعالى :﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾[2].نزل في أحد هؤلاء ، وذكر معهم الوليد بن المغيرة . ونظير هذه الآية قوله تعالى :﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾[3].ووجه جمال التعريف هناعلى التعريف العهدي أنه لا يستقيم حملها على غير ذلك لأن جعله للجنس يقتص أن جنس الإنسان ينكرون البعث،كيف وفيهم المؤمنون وأهل الملل،وحملها على الاستغراق أبعد إلا أن يراد الاستغراق العُرفي وليس مثل هذا المقام من مواقعه.فأما قوله تعالى في سورة النحل :﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[4]. فهو تعريف الاستغراق ، أي خلق كل إنسان لأن المقام مقام الاستغراق الحقيقي "[5].

ثالثاً.ومن هذه الفوائد الاستعارة التصريحية في قوله :﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا ﴾حيث استعار المثل الذي

---

١ – صافي ، محمود ، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، دار الرشيد ، طبعة ٣ عام ١٤١٦.(١٢/ ٣٦) .

٢ – سورة مريم ، الآية :٦٦.

٣ – سورة القيامة ، الآية :٣.

٤ – سورة النحل، الآية :٤.

٥ – مصدر سابق ، ابن عاشور ، (٢٣/ ٧٤) .

هو القول السائر للأمر العجيب تشبيهاً له في الغرابة بالمثل العرفي الذي هو القول السائر.

رابعاً: والاستفهام هنا للإنكار ، لأنه قاس قدرة الله سبحانه على قدرة العبد فأنكر أن الله تعالى ، يحي العظام البالية ، حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر ، وعدم تأنيث الرميم ، مع وقوعه خبراً للمؤنثة ، حيث لم يقل : وهي رميمة ، لأنه اسم لما بلى من العظام ، غير صفه كالرفات والرمة .والأولى :أن يقال:إنه فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ،وهو يستوى فيه المذكر والمؤنث ، كما قيل في جريح وقتيل "[1].

خامساً:قال " ابن القيم " –رحمه الله – : " وقال –سبحانه – في تثبت أمر البعث ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾إلى آخر السورة فلو رام أفصح البشر وأعلمهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو مثلها في ألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز والاختصار ووصف حينئذ الدلالة واضحة البرهان لألفى نفسه ظاهر العجز عن ذلك "[2].

سادساً:صيغة المبالغة في قوله : ﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾، وقوله :﴿ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾وفي قوله : ﴿ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾؛ لأنه صيغة مبالغة من الملك ، ومعناه : الملك الواسع التام مثل : الرحموت، والرهبوت ، والجبروت "[3].

سابعاً:الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿ أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾فشبه سرعة تأثير قدرته تعالى ، ونفاذها في الأشياء ، بأمر المطاع ، من غير توقف و لا امتناع .فإذا أراد شيئاً وجد من غير توقف على شيء ما ، وهو قول أبي منصور الماتريدي لأنه قال : لا وجه لحمل الكلام على الحقيقة إذ

---

١ – مصدر سابق ، الهرري ، (٢٤/ ١٠٣، ١٠٤) .

٢ – مصدر سابق ، ابن القيم ، الضوء المنير ، (٥/ ١٢٤) .

٣ – مصدر سابق ، الهرري ، (٢٤/ ١٢٥) .

ليس هناك قول و لا آمر و لا مأمور "[1].

عاشراً:قال الشيخ " ابن عثيمين "– رحمه الله –: " ومن فوائد هذه الآية الكريمة بيان أن الإنسان خلق من ضعف ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ : وهو كذلك وأن هذا الإنسان الذي خلق من هذه المادة الضعيفة يترقى حتى يكون ذا خصومة مبينة ؛ لقوله تعالى :﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ومن فوائد الآية الكريمة : النداء على الإنسان بالظلم ، وجه ذلك . كيف يكون هذا الذي خلق من هذه النطفة يبلغ به الحد إلى أن يكون خصيماً لله – عز وجل – بيَّن الخصومة ؟! لأن الإنسان يجب عليه إذا نظر إلى أصله أن يعرف قدر نفسه لا أن يكون مُخاصماً لربه – عز وجل – "[2].

حادي عشر :قال الشيخ " ابن عثيمين " – رحمه الله – :" من فوائد الآية الكريمة : أن الخصومة بالباطل مذمومة ، ووجه ذلك أن الآية سيقت مساق الذم لا مساق المدح . أما الخصومة لإثبات الحق وإبطال الباطل ، فإنها ممدوحة لقوله الله تعالى :﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[3]. ولولا الجدال مع أهل الباطل ما تبين الحق ، و لا اندحض الباطل ، فلا بد للإنسان من الجدل في إثبات الحق ، وإبطال الباطل ، أما إذا كان الأمر بالعكس فإنه مذموم ومن هنا يمكن أن نقسم الجدال إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : جدال محمود مأمور به ، إما وجوباً أو استحباباً وهو الذي يقصد به إثبات الحق وإبطال الباطل .

القسم الثاني : جدال مذموم ، منهي عنه .

القسم الثالث : جدال بين بين ، يعني لا يأمر به ، ولا ينهى عنه ، لكن لا شك تركه أولى وهو

---

١ – مصدر سابق ، الهرري ، (٢٤/ ١٢٦) .

٢ – مصدر سابق ، ابن عثيمين ، (٨/ ٣٤١ ، ٣٤٢) .

٣ – سورة النحل ، الآية : ١٢٥.

الجدال في أمور أمور لا تمس إلى الحق أو الباطل بصله كما يحصل في كثير من المجالس من المجادلات فهذا لا شك أنه لا ضير فيه وأنه من المراد الذي ينبغي للإنسان تجنبه "[1].

ثان عشر :قال الشيخ " ابن عثيمين" – رحمه الله – : " ومن فوائد الآية الكريمة أن المجادل بالباطل يأتي بالشبهات التي ينصر بها باطلة ؛ لقوله تعالى :﴿ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾فإن هذه شُبهة تلبس على العامة ؛ لأنه لم يقل ﴿ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ ﴾فقط ، بل قال :﴿ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾:فكيف تحيا بعد أن رُمَّت ؟ فأهل الباطل يأتون بالشبهات ليلبسوا على الناس .

ثالث عشر :وقال الشيخ " ابن عثيمين " – رحمه الله – :" ومن فوائد الآية الكريمة : أن هذا الإنسان استهان بربه حيث ضرب له الأمثال للتعجيز لقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا ﴾، يعني : قال أنا اضرب لكم مثلاً بهذا الشيء الذي يُعجز :﴿ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾"[2].

رابع عشر :قال الشيخ " ابن عثيمين " – رحمه الله – :" أن المعارض للحق قد يُصرح بالإنكار بدون مراوغة لقوله تعالى :﴿ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ ﴾وأحياناً يراوغ فأيهما أهون ؟ الذي يُصرح ويُبين أهون؛لأن هذا يمكن أن يُتقي شره، أما المراوغ فإنه في الواقع خطر ، ولهذا كان خطر المنافقين على الإسلام أشد من خطر الكافرين الذين يصرحون بالعداوة؛لأن المنافقين يغرون الناس ولا يمكن التحرز منهم "[3]

رابع عشر :قال الشيخ " ابن عثيمين " – رحمه الله – في قوله تعالى ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾من فوائد الآية الكريمة بيان قوة الإقناع في إقامة الحجة من كلام الله – عز وجل – ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾: فأقوى ما يسوق الحجج وبينهما هو كلام

---

١ – مصدر سابق ، ابن عثيمين ، (٨/ ٣٤٢) .

٢ – مصدر سابق ، ابن عثيمين (٨/ ٣٢٤)

٣ – مصدر سابق ، ابن عثيمين (٨/ ٣٤٤)

الله،لأن كلام الله—عز وجل—أبلغ الكلام وأحسنه،قال تعالى:﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾[1] .فحديث الله—عز وجل – لا شك أنه أصدق الحديث وأتمه، وأحسنه في الإقناع ، وإقامة الحجة "[2].

خامس عشر :قال الشيخ " ابن عيثمين " —رحمه الله- " من فوائد الآية الكريمة الاستدلال بالأشد على إمكان الأخف ؛ لقوله تعالى : ﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾: فقد استدل بالأشد على إمكان الأخف ، فالأشد إحياؤها أول مرة ، والأخف الإعادة "[3].

سادس عشر :قال الشيخ " ابن عثيمين " – رحمه الله – :" من فوائد الآية الكريمة أنه ينبغي للمستدل المناظر أن يأتي بالشيء الذي يقر به خصمه ، من أجل أن تقوم عليه الحُجة ؛ لأنه قال :﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾: والخصم هنا لا ينكر أن الله تعالى أنشأها أول مرة . فينبغي أن يأتي بالشيء الذي يُقر به خصمك لتقيم الحُجة عليه بإقراره ، وهذا أدب من آداب المناظرة ، لأنه أقرب إلى الإقناع ."[4]

سابع عشر :ومن فوائد الآية الكريمة : تمام قدرة الله – عز وجل – بإنشاء هذه العظام لأول مرة ، لأنه لأحد يستطيع أن يخلق هذه العظام قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾[5]مع أن الذباب ليس فيه العظام القوية الصلبة ، فإذا كانوا لا يقدرون على ذلك فهم على ما هو أعظم أعجز [6].

---

١ – سورة النساء ، جزء من الآية ٨٧.

٢ – مصدر سابق ، ابن عثيمين (٨/ ٣٤٥)

٣ – مصدر سابق ، ابن عثيمين (٨/ ٣٤٥، ٣٤٦).

٤ – مصدر سابق ، ابن عثيمين (٨/ ٣٤٦).

٥ – سورة الحج : الآية :٧٣.

٦ –وسيأتي الكلام على تفسير الآية وبيان الإعجاز فيها صـــــــ٢٧٨، ٢٧٩.

ثامن عشر :ومن فوائده قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾: جعل الشجر الأخضر المصدر الرئيسي للتزود في كل يوم بقدر من طاقة الشمس تحتاجه كل صور الحياة علي الأرض، ويبقي المصدر الرئيسي للطاقة المختزنة في أوراق وأنسجة وثمار الشجر الأخضر وزيوته ودهونه، والتي قد تتحول عند الجفاف إلي القش، أو الحطب، أو الخشب الذي قد يتفحم بمعزل عن الهواء إلي أي من الفحم النباتي أو الحجري أو إلي غاز الفحم، وإذا أكلته الحيوانات تحولت فضلاتها إلي مصادر للوقود، وإذا تحللت أجسادها بمعزل عن الهواء أعطت كلا من النفط والغاز الطبيعي؛ وهذه حقائق لم يصل إليها علم الإنسان إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين.

تاسع عشر : ومن الفوائد في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾قال الشيخ " ابن عثيمين " –رحمه الله – بيان قدرة الله – عز وجل – التامة التي لا يُضاهيها ، و لا يُقاربها قدرة ؛ لأنه إذا أرد شيئاً لم يتكلف لإحضار المواد ، أو غيرها مما يتكون به هذا الشيء وإنما يقول ﴿كُن ﴾:﴿فَيَكُونُ ﴾.

عشرون :"ومن فوائد الآية أيضاً : إثبات الإرادة لله لقوله ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا ﴾وإرادة الله كما قال أهل العلم تنقسم إلى قسمين : شرعية ، وكونية فالشرعية هي التي بمعنى المحبة . والكونية : هي التي بمعنى المشيئة والفرق بينهما من حيث الأثر :

١)أن الإرادة الكونية لابد فيها من وقوع المراد.

٢)أن المراد فيها قد يكون محبوباً لله ، وقد يكون غير محبوب لله .

أما الإرادة الشرعية : فقد يقع فيها المراد ، وقد لا يقع ، و لا يكون المراد فيها إلا محبوباً لله فإذا قال لك قائل : هل الله يريد الكفر ؟ فقل له : أما شرعاً ، فلا وأما كوناً ، فنعم .ولو قال لك قائل : هل الله يُريد الإيمان ؟ فقل : نعم يُريده شرعاً ، وقدراً إن وقع ، لأنه إذا وقع فقد أراده

قدراً ، وإذا لم يقع فلا نعلم هل أراده قدراً أو لا ؟ بل نقول : إنه الآن لم يُرده قدراً "[1].

واحد وعشرون.قال الشيخ " ابن عثيمين " – رحمه الله – :"في هذه الآيات كلها من ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾إلى قوله :﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾إثبات قدرة الله – عز وجل – على إحياء العظام وهي رميم وذلك عشرة أوجه : الأول: قوله ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾: فإنه فيه استدلالاً بالأشد على الأخف .

الثاني : قوله :﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾: وعلمه بكل خلق يقتضي أنه سبحانه وتعالى قادر على إحياء العظام وهي رميم .

الثالث قوله :﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا ﴾: فإن من جعل من هذا الأخضر البارد الرطب ناراً وهي يابسة مُحرقة قادر على أن يُعيد الخلق ؛ لأن جعل النار من الشجر الأخضر أبلغ في القدرة.

الرابع : قوله :﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾: فقدرته على خلق السموات والأرض دليل على قدرته على إحياء العظام وهي رميم ؛ لأن خلق السموات والأرض أعظم ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ ﴾.

الخامس والسادس : قوله :﴿ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾: والخلاق صفة لازم له ، وكونه خلاقاً يشمل أن يخلق كل شيء ، وكونه عليماً يدل على أنه لا يخفى عليه شيء من الخلق حتى يعجز عنه .

السابع : أنه لا يستعص عليه شيء ، بل إذا أمر بشيء كان في الحال ؛ لقوله ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

الثامن : تنزيه الله – عز وجل – عن كل نقص ، ومن المعلوم أن العاجز عن إعادة الخلق ناقص ، فإذا كان الله تعالى منزهاً عن كل نقص ، كان ما وعد به من إحياء العظام وهي رميم واقعاً .

---

١ – مصدر سابق ، ابن عثيمين (٣٥٢/٨).

التاسع : قوله ﴿ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾: ومن بيده ملكوت كل شيء فإنه مالك لكل شيء والمالك لكل شيء قادر على أن يوجد المعدوم ، ويعدم الموجود .

العاشر: قوله:﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾: فإن هذا هو نتيجة الخلق أن يبعث الخلق ويرجعون إلى الله ،ليجازيهم بما عملوا "[1].

المبحث السادس : دراسة المثل في قوله – تعالى – :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[2].

المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله من الآيات وكذا مناسبة المثل لما بعده من الآيات :

مناسبة المثل لما قبله من الآيات :أن الله سبحانه وتعالى لما أمر عباده المؤمنين بالتوبة النصوح ، بالندم على ما فات وعدم العودة فيما هو آت ، وأمر رسوله بجهاد الكافرين والمنافقين والغلظة عليهم في القول والعمل ذكر هنا أن النفوس إن لم تكن مستعدة لقبول الإيمان وفي جوهرها صفاء ونقاء ... فلا يجدي فيها الغلظة والعبرة و لا مخالطة المؤمنين المتقين ،وضرب لذلك المثل بامرأة نوح وامرأة لوط ، فقد كانتا في بيت النبوة و لم يلن قلبهما للإيمان والإسلام ، كذلك إذا كان جوهر النفس نقياً خالصاً من كدور الكفر والنفاق فمجاورتهما للكفرة وعشرتها إياهم لا تغير من حالها شيئاً ، و لا يؤثر فيها ضلال الضالين ، و لا عتو الظالمين " [3].

وقال الدكتور " مصطفى مسلم " – حفظه الله – : " يأتي هذا المقطع بعد التهديد والوعيد والأمر بالغلظة على الكفار والمنافقين ، و ربما توهم بعض الكفار الذين كانت لهم قرابات بالمسلمين أنها تنفعهم ، كما أن للمسلمين قرابات مع الكفار فربما توهموا أنها تضرهم ، فضرب لكل طائفة

---

١ – مصدر سابق ، ابن عثيمين (٨/ ٣٥٥، ٣٥٦).

٢ –سورة التحريم : الآية : ١٠.

٣ – مصدر سابق ، الهرري (٢٩ / ٤٥٥).

مثلاً"[1].

مناسبة المثل لما بعده من الآيات : لما ذكر الله هذين المثلين للمرآتين اللاتين كفرتا بالله تعالى أعقب ذلك بالمثلين للمرآتين الصالحتين من باب المقابلة والتي فيها من باب البديع اللفظي بالمقابلة التي هي من الأضداد التي يتضح بها المثال وقوته حيث أن الآيتان بالمثل الأول وبيان حال الكفر ثم بيان حال أهل الإيمان وكما قيل بالأضداد تتضح المعاني .

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال السلف فيه :

قال "الطبري"-رحمه الله - : " يقول تعالى ذكره : مثل الله مثلاً للذين كفروا بالله من الناس وسائر الخلق ، امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام فخانتاهما . ذُكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة ، وكانت تقول للناس : إنه مجنون . وأن خيانة امرأة لوط لوطاً أن لوطاً كان يُسِرّ الضيف ، وتدل عليه " [2].

وقال " ابن كثير " –رحمه الله – " أي في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم ، أن ذلك لا يجدي عنهم شيئاً و لا ينفعهم عند الله ، إن لم يكن الإيمان حاصلاً في قلوبهم ، ثم ذكر المثل فقال : ﴿ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ ﴾ ، أي : نبيين رسولين عندهما في صحبتهما ليلاً ونهاراً ، يؤكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ،

﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾أي : في الإيمان ، لم يوافقاهما على الإيمان ، و لا صدقاهما في الرسالة ، فلم يجد ذلك كله شيئاً ، و لا دفع عنهما محذوراً ؛ ولهذا قال : ﴿ فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا ﴾أي لكفرهما ﴿ وَقِيلَ ﴾أي : للمرآتين ﴿ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾وليس المراد

﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾في فاحشة بل في الدين ، فإن نساء الأنبياء معصومات من الوقوع في الفاحشة ،

---

١ – مصدر سابق ، مصطفى مسلم (٨/ ٢٥٦).

٢ – مصدر سابق ، الطبري (٢٣/ ١١).

لحرمة الأنبياء "[1].

أقوال السلف :في هذه الآية :

روى " الطبري" –رحمه الله – عن " ابن عباس " – رضي الله عنه – قوله ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾قال : كانت امرأة نوح تقول للناس : إنه مجنون وكانت امرأة لوط تدل على الضيف " وروى أيضاً عن ابن عباس في قوله ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾قال : ما زنتا "[2].وروى السيوطي في الدر المنثور عن الضحاك قال إنما كانت خيانة امرأة نوح وامرأة لوط النميمة .وروى أيضاً عن ابن جريج في قوله :﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ قال : كانتا كافرتين مخالفتين، ولا ينبغي لامرأة كانت تحت نبي أن تفجر وروى عن ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾في الدين "[3].

المطلب الثالث : نوع المثل والغرض من ضرب المثل :

نوع المثل :هذا المثل جاء على هيئة التشبيه الذي هو عبارة عن تشبيه صورة بصورة .

الغرض من هذا المثل : هو التنفير بكشف جوانب القبح ويكون التنفير بإبراز جوانب قبحه عن طريق تمثيله بما هو مكروه للنفوس ، أو تنفير النفوس منه .

قال شيخ الإسلام " ابن تيمية " – رحمه الله – : "بين الله تعالى أهل الخير وأهل الشر ، ويذكر لكل حي عن بيته ، وأهل الخير أو أهل الشر هم قدوات صالحة وأخرى طالحة، ويقصد بذكرها توجيه النفوس المخاطبة إلى الاقتداء بالصالحين وتنفيرها من الطالحين "[4].

قال الشيخ " احمد طاحون" : " قدم الكتاب العزيز نماذج لنفوس انطوت على الشر والسوء ، ونفوس انسلخت مما يدعوا إليه العلم لأنهم لوثوا أنفسهم بالعجب والغرور وطلب الدنيا ، وإيثارها على الآخرة ، وقدم نماذج تتلون كما تتلون الحرباء ظاهرها يسر وباطنها شر ، وهم المنافقون

---

١ – مصدر سابق ، ابن كثير (١٤/ ٦٤).

٢ – مصدر سابق ، الطبري (٢٣/ ١١١ ، ١١٢) بتصرف .

٣ – مصدر سابق ، السيوطي ، الدر المنثور (١٤/ ٥٩٦) بتصرف .

٤ – مصدر سابق ، حمزاوي صـــــــ٨٢.

"[1].

وقال الدكتور "عبد الله الجربوع": " من غرض ضرب الأمثال في القرآن الكريم ، غرض تربوي يتجلى في إبراز النماذج الخيرة الصالحة وإبراز النماذج الشريرة الضالة وتجلية صفاتهم وأعمالهم وأحوالهم ، وكيف كانت عاقبتهم ليحذر منهم ومن طريقهم ، ولا يشك أن هذا الأسلوب من أهم أساليب التربية وأكثرها تأثيراً"[2].

المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: المقابلة بين مصير أهل الطغيان ومصير أهل الإيمان في ضرب المثل في قوله :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، وقوله :﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

ثانياً: إيراد صيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾إفادة لتحقيق وقوعه.

ثالثاً: تغليب الذكور على الإناث في قوله :﴿ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾؛ لأنهن لا ينفردن بالدخول .

رابعاً: إظهار العبدين في قوله ﴿ تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾المراد بهما نوح ولوط لتعظيمهما بالإضافة التشريفية إلى ضمير التعظيم والوصف بالصلاح ، وإلا ... فيكفي أن يقول : تحتهما ، وفيه بيان شرف العبودية والصلاح "[3].

خامساً : جاء المثل يقرر مبدأ من أهم المبادئ الإسلامية ، وأساساً من أسس العقيدة الإلهية . وهذا المبدأ هو المسئولية الفردية ، فكل مسئول عن عمله ، مجزي به ﴿كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[4].

لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى فلا محاباة ، و لا محسوبية ، و لا استثناء . وخائن العقيدة له ميقات معلوم لا تنفعه فيه قرابة ، و لا تشفع له صلة رحم ، و لا بجدية نسب ولو كان إلى رسول

---

١ – مصدر سابق ، السيوطي ، الدر المنثور (١٤/ ٥٩٦) بتصرف .

٢ – مصدر سابق ، الجربوع ، الأمثال القرآنية (١/ ١٧) بتصرف .

٣ – مصدر سابق ، الهرري (٢٩/ ٥٠٣) .

٤ – سورة الطور ، جزء من الآية :٢١.

من عند الله . وهذا المبدأ تكرر تقريره في القرآن الكريم عند عرض كل قضية تتعلق بالإيمان " [1].

سادساً :قال " ابن عاشور " – رحمه الله – : " أن الله جعل هاتين المرأتين عظة وتنبيهاً للذين كفروا ، ليذكرهم بأن الله لا يصرفه عن وعيده صارف فلا يحسبوا أن لهم شفعاء عند الله ، ولا أن مكانهم من جوار بيته وعمارة مسجده وسقاية حجيجه تصرف غضب الله عنهم ، فإن هم أقلعوا عن هذا الحسبان أقبلوا على التدبر في النجاة من وعيده بالنظر في دلائل دعوة القرآن وصدق الرسول – صلى الله عليه وسلم –فلو كان صارف يصرف الله عن غضبه لكان أولى الأشياء بذلك مكانه هاتين المرأتين من زوجيهما رسولى رب العالمين.

ومناسبة ضرب المثل بامرأة نوح وامرأة لوط دون غيرهما من قرابة الأنبياء نحو أبي إبراهيم وابن نوح عليهما السلام لأن ذكر هاتين المرأتين لم يتقدم ، وقد تقدم ذكر أبي إبراهيم وابن نوح ، لتكون في ذكرهما فائدة مستجدة "[2].

سابعاً :المراد بخيانة امرأة نوح وامرأة لوط قال أهل العلم : إن المراد بخيانة امرأة نوح ما كانت تقول للناس إنه مجنون ، وكانت امرأة لوط تدل على الأضياف قال الحافظ ابن كثير : فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء "[3].

ثامناً:أن صلاح الأزواج لم ينفع الزوجات ووجه آخر : أن أحدا لا يملك لأحد هداية وإيماناً إنما كما قال تعالى :﴿ وَمَاكَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[4].والوجه الثالث قد يرد أيضاً وهو أن الأنبياء لا يعلمون الغيب وذلك لأن الخيانة تكون من غير علم في كثير من الأحيان ووجه رابع : أن المثل ضرب لعائشة وحفصة – رضي الله عنهما – لتحذيرهما من مخالفة أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبيان أن كونهما من أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم – فإن الله لن

---

١ – مصدر سابق ، محمد بكر إسماعيل ، صـــــــــ٢٦٤، ٢٦٥.

٢ – مصدر سابق ، ابن عاشور (٢٨/ ٣٧٤).

٣ – مصدر سابق ، العدوي (جزء قد سمع / ٣٧٨) .

٤ – سورة يونس ، جزء من الآية :١٠٠.

يرفع عنهما العقاب إذا هما خالفتا أمر الله ورسوله ، اللهم إلا أن يغفر الله لهما"[1].

تاسعًا :ومن ذلك أن الهداية لا يملكها إ لا الله – عز وجل – ثم ها هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يملك هداية عمه أبي طالب وإبراهيم عليه السلام لم يملك لأبيه الهداية ونوح عليه السلام لم يملك لولده و لا لزوجته الهداية ، ولوط عليه السلام لم يستطع هداية زوجته "[2].

عاشرًا:قال "سيد قطب"- رحمه الله – : " إن مبدأ التبعة الفردية يراد إبرازه هنا بعد الأمر بوقاية النفس والأهل من النار . كما يراد أن يقال لأزواج النبي – صلى الله عليه سلم – وأزواج المؤمنين كذلك : إن عليهن أنفسهن بعد كل شيء فهن مسؤولات عن ذواتهن ، ولن يعفيهن من التبعية أنهن زوجات نبي أو صالح من المسلمين ! وها هي ذي امرأة نوح . وكذلك امرأة لوط ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ ﴾...﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾﴿ وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾.. فلا كرامة و لا شفاعة في أمر الكفر والإيمان . وأمر الخيانة في العقيدة حتى لأزواج الأنبياء !"[3].

---

١ – مصدر سابق ، العدوي (جزء قد سمع / ٣٧٨ ، ٣٧٩) .

٢ – مصدر سابق ، العدوي (جزء قد سمع / ٣٧٩) .

٣ – مصدر سابق ، سيد قطب (٦ / ٣٦٢١) .

المبحث السابع : أبرز صفات الكافرين من خلال الأمثلة الواردة في الباب وسبل وركائز دعوة الكافرين :

أولاً : أبرز صفات الكافرين :

إن صفات الكافرين وخصائص الكافرين في كتاب الله – تعالى – كثيرة ومتنوعة ،وقد جمعها بعض الباحثين فعدها أكثر من سبعين صفة وخصيصة للكافرين ونحن نعرض هنا لبعض الصفات والخصائص التي وردت خلال الأمثال القرآنية السابقة ونبدأ بذكر هذه الصفات :-

أ- التقليد والتبعية : –

"لقد ذم الله تعالى أولئك الذين يسلكون مسالك منحرفة من الشرك ، والكفر ، والمعاصي ، والتقاليد الفاسدة ، وهم يقولون : إنا وجدنا آباءنا وكبراءنا كذلك يفعلون .

ومثلهم الذين يقلدون فساقهم ومترفيهم دون وعي ، و لا إدراك أو تقدير لعواقب تقليدهم .... فقال تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[1].وكذلك قال في شأن السادة والكبراء :﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[2].فبين القرآن أن هؤلاء المقلدين هالكون وخاسرون يوم القيامة وأن حجتهم داحضة حين يحتجون بآبائهم وسادتهم وكبرائهم . ومما يؤسف له أن (الجماهير !!) في العالم الإسلامي ما تفتأ تطبل وتصفق لحكامها وكبرائها وسادتها – الذين قادوها إلى التبعية والهزيمة والاستسلام المطلق للكفار – والذين يحكمون بغير ما أنزل الله ، دون أن تعي ما هم عليه من انحراف وفساد وتبعية وانهزامية و محادة لله ولرسوله

---

١ – سورة البقرة جزء من آية :١٧٠.

٢ – سورة الأحزاب آية :٦٧.

ولدينه "[1]

الحكمة من النهي عن التقليد :لقد حرص الإسلام على مخالفة المسلم للكافر . وتجنب تقليده له في كثير من شئون الحياة – العامة والخاصة – وأمر المسلم بأن يتميز بالشخصية الإسلامية .... ممثلة في شخص الرسول – صلى الله عليه وسلم – في سلوكه وأخلاقه وقوله وفعله وتقريره ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2].﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[3].

إذا فالنهي عن التقليد – في الشريعة الإسلامية – لا شك أن وراءه حكماً ومصالح نعرف بعضها ويخفي علينا الكثير .. فمضار التقليد – عموماً- من البديهات التي يعلمها ويحسها كل الناس ، أما تقليد المسلمين للكفار فضرره مشاهد من خلال الواقع .. والتجربة .... والاستقراء التاريخي في حياة الأمم والحضارات – عامة – وتاريخ الأمة الإسلامية – خاصة .

ب- العمى والصمم :

الأعمى والأصم هو مثال الكافر الذي تعطلت لديه منافذ المعرفة فعميت بصريته عن الإيمان فلم يعرف لهذا الكون خالقاً ، وسدت أذنه عن سماع الحق ، فلم يعترف بحياة غير الحياة التي هو فيها . يقول " ابن القيم " – رحمه الله - : ذكر – سبحانه – الكفار ، ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع ، وما كانوا يبصرون . ثم ذكر المؤمنين ، ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإخبات إلى ربهم فوصفهم بعبودية الظاهر والباطن ، ثم جعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق ، أعمى أصم عن سماعه ، فشبه بمن بصره أعمى عن رؤية الأشياء ، وسمعه أصم عن استماع الأصوات "[4].

---

١ – العقل ، ناصر بن عبد الكريم ، التقليد والتبعية وأثرها في كيان الأمة الإسلامية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٩٣- ١٣٩٤ هـ صـــــــــــ٨٩ .

٢ – سورة الأحزاب آية : ٢١ .

٣ – سورة الحشر جزء من آية : ٧ .

٤ – التفسير القيم صـــــــــ٣١١.

يقول "سيد قطب ": " الفريق الأول كالأعمى لا يرى ، والأصم لا يسمع ، والذي يعطل حواسه وجوارحه عن الغاية الكبرى منها ، وهي أن تكون أدوات موصلة للقلب والعقل ، ليدرك ويتدبر ، فكأنما هو محروم من تلك الجوارح والحواس "

جـ – وصف الكافرين بالأنعام :

لقد وصف الله تعالى الكافرين في كتابه الكريم بصفات الأنعام المختلفة كما جاء ذلك في مواضع مختلفة من كتاب الله تعالى ويعود ذلك لأمرين هما:

الأمر الأول : زجر الكفار وردعهم مع الوعيد الذي ينتظرهم لو ظلوا على كفرهم .

الأمر الثاني : المراد من ذلك ذمهم تنفير الناس من سلوكهم .

ومن ذلك ذم الكفار لكونهم لم ينتفعوا بقلوبهم باعتقاد الحق ولم ينتفعوا بسمعهم في سماع الحق فصاروا كالأنعام الذين لا ينتفعون بالحق وإنما فطرهم الله وهيئهم لما يصلحون له . ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[1]. وكذلك بين الله تعالى أنه كما أن الأنعام هي التي لا هم لها إلا الطعام والشراب ، والكفار كذلك لا هم لهم إلا الحياة الدنيا والتمتع بشهواتها مع غفلتهم عن الدار الآخرة ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾[2].ووصف الله تعالى الكفار بأنهم من شر الدواب لعدم إيمانهم ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3]. وفي موضع آخر وصفهم بأنهم من شر الدواب لعدم عقلهم

---

١ – سورة الأعراف آية : ١٧٩.

٢ – سورة محمد جزء من آية : ١٢.

٣ – سورة الأنفال آية :٥٥.

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[1] وكذلك هناك نصوص كثيرة فيها مشابهة الكفار بالأنعام المختلفة .

ثانياً: *سبل وركائز دعوة الكافرين للإسلام*[2]:

إن الطريقة المثلى الكاملة في دعوة الكفار إلى الإسلام هي طريقة القرآن الكريم بحججه الناصعة وبراهينه الساطعة ودلالاته القويمة وإرشاداته البينة الواضحة ، وعندما نتأمل في الطرق التي في القرآن لدعوة الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم نجد أنها تتركز في النقاط التالية :

١-بيان محاسن الدين الإسلامي وكماله وجماله في عقائده وعباداته وآدابه ، يقول سماحة الشيخ " عبد العزيز بن باز " – رحمه الله – :" المسلمون اليوم بل العالم كله في أشد الحاجة إلى بيان دين الله وإظهار محاسنه وبيان حقيقته ، والله لو عرفه الناس اليوم ولو عرفه العالم على حقيقته لدخلوا فيه أفواجاً "

٢-ذكر البراهين الدالة على رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – ليهتدي من قصده الحق والإنصاف ولتقوم الحجة على المعاندة .

٣-إبطال شبهات الكفار حول الدين ، ونقض ما يحتجون به أو يجادلون به المسلمين ، وقد دل القرآن الكريم على أوضح البراهين وأقوى الحجج الكافية لإحقاق الحق وإزهاق الباطل.

٤-تذكير الكفار بعقوبات الأمم السالفة وإهلاك الله للأمم العاتية بأنواع من العقوبات وصنوف من المآلات .

٥-تحذيرهم من عقوبات الدنيا وعقوبات الآخرة التي أعدها الله للكافرين .

---

١ – سورة الأنفال آية :٢٢.

٢ – هذا البحث مستفاد من كتاب " مكانة الدعوة إلى الله وأسس دعوة غير المسلمين ،د عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ،دار الفضيلة

٦-الجمع لهم بين الترغيب والترهيب بذكر ما يترتب على إسلامهم من الفوائد العظيمة والثمار النافعة والخير المستمر في الدنيا والآخرة ، وما يترتب على بقائهم على الكفر من الشرور الكثيرة والأضرار الخطيرة والمفاسد المتوالية في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك قول النبي – صلى الله عليه وسلم –في كتابه إلى هرقل ملك الروم : " أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ".

٧-تنبيههم إلى ما في أديانهم الباطلة من أنواع الشرور والفساد والعواقب الوخيمة والتناقض والاضطراب.

٨-تحذيرهم من طاعة رؤساء الشر ودعاة النار ، وأنهم لا بد أن تتقطع نفوسهم على طاعتهم حسرات.

٩-تذكيرهم بآلاء الله المتوالية ونعمه المتتالية عليهم ، وبيان أنه المنفرد بالخلق والتدبير عليهم ، وبيان أنه المنفرد بالخلق والتدبير والنعم الظاهرة والباطنة ، وأن من كان كذلك فهو الذي يستحق أن يعبد ويطاع دون ما سواه .

١٠-عقد المقارنات بين ما في الإسلام من محاسن وكمالات وما في أديانهم من مساوئ وجهالات وتناقضات .

١١-مناظرتهم بالعلم الثاقب والبرهان الواضح والحجج البينات وفي مناظرتهم فائدتان :

إحداهما : أن يرد عن باطله ويرجع إلى الحق .

الثانية : أن ينكف شره وعداوته ويتبين للناس أن الذي معه باطل .

١٢-إزالة ما لديهم من مفاهيم خاطئة عن الدين أو تصورات مشوهة حوله ، إذ إن من هؤلاء من قد يبلغه الدين بصورة مشوهة بسبب فساد في بعض منتحليه من الفرق الضالة المنتسبة إلى الإسلام أو جهل في بعض ناقليه فلا يظهر للمدعوين روح الإسلام وحقيقته وجماله وكماله ، فيكون ذلك سبباً في نكوص بعضهم وعدم إقبالهم ، فإذا أزيلت تلك التصورات المشوهة والمفاهيم الخاطئة بدا للمدعوين حسن هذا الدين ، وكماله ، وبعده عن الشطط والانحراف .

١٣-الرفق بهم والاجتهاد في مناصحتهم وتأليف قلوبهم والصبر في ذلك وعدم استعجال النتائج والثمرات .

الباب الثاني : الفصل الأول

القيم التربوية والإيمانية المضروبة للمشركين

المبحث الأول : ويتضمن تعريف الشرك وأنواعه وفيه مطلبان

المطلب الأول: الشرك:تعريفه لغةً،و اصطلاحًا.

تعريف الشرك لُغةً: – يطلق الشرك في اللغة على المخالطة والمصاحبة، قال في اللسان:

"الشِركة والشَرِكة سواء مخالطة الشريكين، يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، والشريك: المشارك،والشرك: كالشريك، والجمع: أشراك وشركاء"[1].

ويطلق أيضًا على النصيب، ففي تهذيب اللغة:"الشرك بمعنى الشريك، وهو بمعنى النصيب، وجمعه: أشراك، كشبر وأشباره"[2].

وفي المفردات:"الشركة والمشاركة خلط الملكين، وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً، عينًا كان ذلك الشيء أو معنى...."[3].

الشرك اصطلاحا:قد اختلف عبارات العلماء في بيان معنى الشرك في الدين، وإن كانت هذه العبارات تكمل بعضها الأخرى، وفيما يلي بيان لبعض أقوالهم.

١-يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ:هو"تشبيه للمخلوق بالخالق—تعالى وتقدس – في خصائص الإلهية، من ملك الضر والنفع، والعطاء والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف

١- لسان العرب ، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان (٤٤٨/١٠) مادة شرك.

٢-تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، طبعة نوارد القومية العربية ، مصر (١٧/١٠) مادة: شرك.

٣-مفردات ألفاظ القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب ،دار المعرفة بيروت ص مادة: شرك.

والرجاء،والتوكل، وأنواع العبادة كلها بالله وحده)[1].

٢-وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب:"هو صرف نوع من العبادة إلى غير الله، أو: هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها"[2].

٣-وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله -:"هو أن يجعل لله ندًا يدعوه من دون الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة"[3].

٤-وقال أيضا:"حقيقة الشرك بالله: أن يُعبد المخلوق كما يُعبد الله، أو يُعظم كما يُعظم الله، أو يُصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية"[4].

قلت: هذا التعريف شامل لجميع مدلولات الشرك.

المطلب الثاني: أنواع الشرك.

اعلم أنَّ ضد التوحيد الشرك وهو نوعان:

١-شرك أكبر.

٢-شرك أصغر.

أولًا الشرك الأكبر: والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[5]، قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ

١-تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب ، المكتب الإسلامي ط٣ ص :٩١.

٢-مجموعة مؤلفات الشيخ: قسم العقيدة ،الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، من إصدار أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص: ٢٨١.

٣-القول السديد في مقاصد التوحيد ،للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي ، مجموعة التحف النفائس الدولية ، ط١ ص: ٢٤.

٤-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ السعدي ، دار ابن الجوزي ط٢ (٤٩٩/٢).

٥-سورة النساء آية:٤٨.

أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[1]،وهو أربعة أنواع:

النوع الأول: شرك الدعوة:-

والدليل قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[2]،قال الشيخ ناصر السعدي –رحمه الله –:"فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص؛ نهى عن الشرك به، وأخبر بذم من أشرك به، فقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾[3]، أي: يتولونهم بعبادتهم ودعائهم، متعذرين عن أنفسهم، وقائلين:﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[4] ، أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده وإلا فنحن نعلم أنها لا تخلُقُ و لا ترزق و لا تملك من الأمر شيئاً؛ أي: فهؤلاء قد تركوا ما أمَرَ الله به من الإخلاص، وتجرؤوا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثله شيءٌ الملك العظيم بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم أنَّ الملوك كما انه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء وشفعاء ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم ويستعطِفونهم عليهم ويمهِّدون لهم الأمر في ذلك؛ أنَّ الله تعالى كذلك !وهذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم عقلًا ونقلًا وفطرةً".[5]ومن ذلك قوله تعالى:﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[6]، يقول السعدي"ينكر تعالى على من اتخذ من دونه شفعاء يتعلق بهم ويسألهم ويعبُدُهم، ﴿ قُلْ ﴾لهم مبينًا جهلَهم وأنَّها لا تستحقُّ شيئًا من العبادة:﴿ أَوَلَوْ كَانُوا۟ ﴾؛ أي: من اتخذتم من الشفعاء ﴿ لَا

١-سورة المائدة آية:٧٢.

٢-سورة الزمر آية: ٣.

٣-سورة الزمر آية: ٣.

٤-سورة الزمر آية: ٣.

٥-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ السعدي ، دار ابن الجوزي ط٢ (ص:٨٤٨).

٦-سورة الزمر آية: ٤٣.

يَمْلِكُونَ ﴾؛ أي: لا مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض و لا أصغرَ من ذلك و لا أكبر، بل وليس لهم عقل يستحقُّون أن يُمدَحوا به؛ لأنها جمادات من أحجار وأشجار وصورٍ وأمواتٍ؛ فهل يُقالُ: إنَّ لِمَن اتَّخذها عقلًا، أم هو من أضلِّ الناس وأجهلهم وأعظمهم ظلمًا؟!."[1].

النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد :-

ونجد أن ذلك جاء في سورة"الزمر" بمفهوم المخالفة، فإن شرك النية هو ضد الإخلاص الذي جاء متكرراً في هذه السورة في أكثر من موضع،من ذلك قوله تعالى:﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ومنه قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾،يقول الشيخ السعدي"هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنَّه تعالى كما أنَّه له الكمال كلُّه وله التفضل على عباده من جميع الوجوه؛ فكذلك له الدينُ الخالصُ الصافي من جميع الشوائب؛ فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه وارتضاه لصفوةِ خلقِهِ وأمَرَهُم به؛ لأنه متضمن للتأله لله في حبه، وخوفه، ورجائه،والإنابةِ إليه في عبوديته والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده، وذلك الذي يُصلحُ القلوبَ ويزكيها ويطهِّرها؛ دون الشرك به في شيء من العبادة؛ فإنَّ الله بريءٌ منه، وليس لله فيه شيءٌ؛ فهو أغنى الشركاء عن الشرك، وهو مفسدٌ للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مشق للنفوس غاية الشقاء"[2].

النوع الثالث: شرك الطاعة: وهو يتلخص في طاعة العلماء والعباد في معصية الله تعالى والدليل قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[3].وجاء في مجموعة التوحيد "وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاءهم إياهم كما فسرها النبي - صلى الله عليه وسلم – لعدي بن حاتم لما سأله فقال لسنا

١-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ السعدي ، دار ابن الجوزي ط٢ (ص:٨٥٧) .

٢-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ السعدي ، دار ابن الجوزي ط٢ (ص:٨٤٨) .

٣-سورة التوبة آية: ٣١ .

نعبدهم فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية"[1][2].

النوع الرابع: شرك المحبة:"شرك المحبة والدليل قوله تعالي:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[3][4]،وهذا النوع مخالف للتوحيد الخالص، الذي جاءت به السورة الكريمة في مواطن متعددة، حيث أن التوحيد هو تمام الذل مع كمال الحب لله – تعالى–،وهذا التوحيد الذي ضده الشرك جاء في آيات كثيرة،منها قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾، وقال تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ﴾.

ثانياً الشرك الأصغر:

"الشرك الأصغر: وهو ما ثبت بالنصوص تسميته شركًا، لكنه لم يبلغ درجة الشرك الأكبر، فهذا يسمى شركًا أصغر مثل: الرياء والسمعة كمن يقرأ يرائي، أو يصلي يرائي، أويدعو إلى الله يرائي، ونحو ذلك فقد ثبت في الحديث أنه –صلى الله عليه وسلم – قال:"أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"فسئل عنه، فقال:"الرياء" يقول الله – عز وجل يوم القيامة للمرائين:"اذهبوا إلى من كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا، هل تجدون عندهم من جزاء؟"[5]. وهناك مرسلات الصحابة

١–أخرجه البخاري في التاريخ ، والترمذي في سننه والطبراني في المعجم الكبير وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ٨٦١) ، رقم الحديث ٣٢٩٣.

٢–مجموعة التوحيد، لشيخ الإسلام ابن تيمية ،والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، طبعة المكتبة السلفية ، المدينة المنورة طبعة خاصة (ص:٥) .

٣–سورة البقرة آية:١٦٥ .

٤–مجموعة التوحيد، لشيخ الإسلام ابن تيمية ،والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، طبعة المكتبة السلفية ، المدينة المنورة طبعة خاصة (ص:٥) .

٥– أخرجه أحمد برقم (٢٣٦١) والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٦٨٣١) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٥٥٥

صحيحة وحجة عند أهل العلم؛ وبعضهم حكاه إجماعًا.ومن ذلك قول العبد: ما شاء الله وشاء فلان، أو لولا الله وفلان، أو هذا من الله ومن فلان.

هذا كله من الشرك الأصغر، كما في الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد صحيح عن حذيفة – رضي الله عنه –، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنَّه قال:"لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله، ثم شاء فلان"[1].

ومن ذلك ما ثبت عن ابن عباس –رضي الله عنهما –في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2]،قال: هو الشرك في هذه الأمة،أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله به شرك،رواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن.فهذا وأشباهه من جنس الشرك الأصغر. وهكذا الحلف بغير الله، كالحلف بالكعبة، والأنبياء والأمانة وحياة فلان وبشرف فلان ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأصغر؛ لما ثبت في المسند بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنَّه قال:"من حلف بشيء دون الله فقد أشرك" وروى الإمام أحمد و أبوداد والترمذي– رحمهم الله– بإسناد صحيح عن ابن عمر – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:"من حلف بغير الله فقد كفر أو شرك"[3] وهذا يحتمل أن يكون شكاً من الراوي،ويحتمل أن أو بمعنى الواو، والمعنى: فقد كفر وأشرك . ومن هذا ما رواه الشيخان عن عمر – رضي الله تعالى عنه عن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنه

١–رواه أحمد و أبوداود والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٤٠٦) .

٢– سورة البقرة آية: ٢٢.

٣– رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٢٠٤

قال:"من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت"[1]والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. وهذه أنواع من الشرك الأصغر، وقد يكون أكبر على حسب ما يكون في قلب صاحبه، فإذا كان في قلب الحالف بالنبي أو البدوي أو الشيخ فلان، أنَّه مثل الله، أو أنه يدعى مع الله،أو أنه يتصرف في الكون مع الله أو نحو ذلك، صار شركًا أكبر بهذه العقيدة،أما إذا كان الحالف بغير الله لم يقصد هذا القصد، وإنما جرى على لسانه من غير هذا القصد لكونه اعتاد ذلك كان شركاً أصغر.

وهناك شرك يقال له: الشرك الخفي، ذكر بعض أهل العلم أنه قسم ثالث، واحتج عليه بقوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث أبي سعيد الخدري -: أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:"ألا أنبؤكم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟"قالوا بلى يا رسول الله ! قال:"الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته يرى من نظر رجل إليه"[2].. والصواب: أن هذا ليس قسمًا ثالثًا، بل هو من الشرك الأصغر، وهو قد يكون خفيًا؛ لأنه يقوم بالقلوب، كما في هذا الحديث، وكالذي يقرأ يرائي أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يرائي، أو يجاهد يرائي، أو نحو ذلك"[3].

١- متفق عليه .رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور ورواه مسلم في كتاب الأدب.

٢- أخرجه الأمام أحمد (٣/ ٣٠) ورواه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٦) وحسنه الألباني في المشكاة برقم ٥٣٣٣.

٣- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، للشيخ عبد العزيز بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ط٤ (١/٤٦،٤٥،٤٤).

المبحث الثاني : دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[1]

المطلب الأول:مناسبة المثل لمحور السورة وكذلك مناسبة الآيات لما قبلها ودلالة السياق الذي ورد فيه المثل

أولاً: مناسبة الآيات لمحور السورة :

"تنتظم آيات هذا المقطع مع السياق العام للسورة ، حيث أنكرت على المشركين ما هم عليه من زيغ و ضلال مع ظهور الحجج وتجلي البراهين ، ثم تنتقل إلى بيان المنهج الحق والطريق السوي طريق الهداية والنجاة ، وهو الإسلام التام لله تعالى ظاهراً و باطناً ،كما تضفي الآيات المزيدحول التعريف بأسماء الله تعالي وصفاته بما ينتظم مع الهدف العام للسورة وهو تقرير العقيدة "[2]

ثانيا: مناسبة الآيات لما قبلها :قال "الهرري" قوله تعالى﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

أن الله سبحانه و تعالى لما ذكر جزاء الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ؛بأنه لا ولى لهم ولا شفيع من دون الله ،وأنهم مبلسون فى عذاب جهنم ولهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون؛ أمر نبيه – صلى الله عليه وسلم- بأن يقول لهم هذه المقالة؛ أي : كيف ندعوا من دون الله أصناما

١-سورة الأنعام آية :٧١

٢-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٢/ ٤٨٤) .

لا تنفعنا بوجه من وجوه النفع إن أردنا منها نفعاً ، و لا نخشى ضرها بوجه من الوجوه ، ومن كان هكذا ... فلا يستحق العبادة توبيخاً لهم و إنكاراً عليهم عبادتها "[1]

ثالثاً: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل :

ورد هذا المثل في سورة الأنعام وهي من السور المكية ، ومن سمات الله سبحانه ، وبيان بطلان الشرك ، وهذه السورة قد تميزت إضافة إلى أنها مكية بكونها " أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية ، وأشدها مقارعة الجدال لهم ، واحتجاج على سفاهة أحوالهم " [2].

وإذا نظرنا إلى المثل والقضية التي جاء لإبرازها ، فإننا ندرك أنه ضرب لبيان حيرة المشرك ، وأنه حائد عن الصراط المستقيم والطريق القويم ، وأن الرجوع إلى الشرك بعد التوحيد رجوع إلى الضلال بعد الهدى ، والعمى بعد البصيرة فالمشرك تائه حائر ، لا يعلم طريقاً إلى نجاته وسلامته . وقد كان المشركون يدعون النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه إلى ترك دينهم والرجوع إلى عبادة الأصنام ، قال "السدي "- رحمه الله -: " قال المشركون للمؤمنين : اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد ،فقال الله تعالى ذكره :﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾[3]

وقد ذكر الله في هذه السورة عدة أمثلة تبين حرص المشركين على صد الناس عن هذا الدين وأن السياق أسهم في أبراز قضيتين هامتين لأجلهما ضرب المثل :

١-سعي المشركين لصد النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه عن هذا الدين .

٢-إبراز الحيرة والتخبط عند من يعبد غير الله مهما كان ذلك المعبود. والمثل جاء واسطة العقد بين هاتين القضيتين .

١-تفسير حدائق الروح والريحان (٨/ ٤١١ ،٤١٢) .

٢-التحرير والتنوير (٣/ ١٢٥) .

٣-تفسير الطبري (٧/ ٢٣٦) .

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم

قال "الطبري"- رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة :"وهذا تنبيه من الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم - على حجته على مشركي قومه من عبادة الأوثان يقول له – تعالى ذكره – قل محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأنداد ، والآمرين لك بإتباع دينهم وعبادة الأصنام معهم : أندعو من دون الله حجراً أو خشباً لا يقدر على نفعنا أو ضرنا ، فنخصه بالعبادة دون الله ، وندع عبادة الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت ، إن كنتم تعقلون فتميزون بين الخير والشر ، فلا شك أنكم تعلمون أن خدمة مايرتجي نفعه ويرهب ضره ، أحق وأولى من خدمة من لا يرجى نفعه و لا يخشى ضره! ونرد على أعقابنا" ، يقول : ونرد على أدبارنا ، فنرجع القهقري خلفنا ، لم نظفر بحاجتنا . وقد بينا معنى : " الرد على العقب " ، وأن العرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها :"رد على عقبيه ". فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع وإنما يراد به في هذا الموضع: ونرد من الإسلام إلى الكفر ، " بعد إذ هدانا الله "فوفقنا له ، فيكون مثلنا في ذلك مثل الرجل الذي استتبعه الشيطان يهوي في الأرض حيران وقوله " استهوته " استفعلته من قول القائل : " هوى فلان إلى كذا يهوي إليه " ومن قول الله -تعالى ذكره –﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾[1].

بمعنى تنزع إليهم وتريدهم .وأما{ حيران} فإنه " فعلان " من قول القائل : "قد حار فلان في الطريق ، فهو يحار فيه حيرة وحيرانا وحيرورة " وذلك : إذا ضل فلم يهتد للحجة .{له أصحاب يدعونه إلى الهدى } يقول : لهذا الحيران الذي قد استهوته الشياطين في الأرض أصحاب على الحجة واستقامة السبيل ، يدعونه إلى المحجة لطريق الهدى الذي هم عليه يقولون : ائتنا "[2].

وقال – رحمه الله – أيضاًوهذا مثل ضربه –تعالى ذكره – لمن كفر بالله بعد إيمانه ، فاتبع الشياطين

١-سورة إبراهيم : جزء من آية :٣٧.

٢-تفسير الطبري (٩/ ٣٢٧، ٣٢٨).

من أهل الشرك بالله ، وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حال إسلامه ، المقيمون على الدين الحق ، يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه مقيمون ، والصواب الذي هم به مستمسكون وهو له مفارق وعنه زائل ، يقولون له "ائتنا فكن معنا على استقامة وهدى " ! وهو يأبى ذلك ويتبع دواعي الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان "[1].

وقال في تفسير قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾يقول – تعالى ذكره –لنبيه – محمد صلى الله عليه وسلم – لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان ، القائلين لأصحابك : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾[2]فإنا على هدى ، ليس الأمر كما زعمتم ﴿ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾يقول : إن طريق الله الذي بينه لنا وأوضحه ، وسبيله الذي أمرنا بلزومه ، ودينه الذي شرعه لنا فبينه ، هو الهدى والاستقامة التي لا شك فيها ، لا عبادة الأوثان والأصنام التي لا تضر و لاتنفع ، فلا نترك الحق ونتبع الباطل ، ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يقول : وأمرنا ربنا ورب كل شيء – تعالى وجهه – ، لنسلم له ، لنخضع له بالذل والطاعة والعبودية ، فنخلص ذلك له دون ما سواه من الأنداد والآلهة ."[3].

قال "السعدي"– رحمه الله – :{قل} يا أيها الرسول للمشركين بالله ، الداعين معه غيره ، الذين يدعونكم إلى دينهم ، مبيناً وشارحاً لوصف آلهتهم ، التي يكتفى العاقل بذكر وصفها ، عن النهي عنها . فإن كل عاقل إذا تصور مذهب المشركين ، جزم ببطلانه ، قبل أن تقام البراهين على ذلك ، فقال : ﴿ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾وهذا وصف ، يدخل فيه كل من عبد من دون الله ، فإنه لا ينفع و لا يضر وليس له من الأمر شيء ، إن الأمر إلا لله .﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ﴾أي : وننقلب بعد هداية الله لنا إلى الضلال ، ومن الرشد إلى الغي ، ومن الصراط

١-تفسير الطبري (٩/ ٣٢٨).

٢-سورة العنكبوت جزء من آية :١٢

٣-تفسير الطبري (٩/٣٣٣).

الموصل إلى جنات النعيم إلى الطرق التي تفضي بسالكها إلى العذاب الأليم فهذه حال لا يرتضيها ذو رشد ، وصاحبها ﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾أي : أضلته وتهيته عن طريقه ومنهجه ، الموصل إلى معتقده فبقى :﴿ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ﴾والشياطين يدعونه إلى الردى ، فبقى بين الداعين حائراً وهذه حال الناس كلهم ، إلا من عصمه الله تعالى ، فإنهم يجدون فيهم جواذب ودواعي متعارضة ، دواعي الرسالة والعقل الصحيح ، والفطرة المستقيمة ﴿ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ﴾والصعود إلى أعلى عليين ، ودواعي الشيطان ، ومن سلك مسلكه ، والنفس الأمارة بالسوء ، يدعونه إلى الضلال ، والنزول إلى أسفل سافلين .

فمن الناس من يكون مع دواعي الهدى في أموره كلها أو أغلبها ومنهم من بالعكس من ذلك . ومنهم من يتساوى لديه الداعيان ، ويتعارض عنده الجاذبان وفي هذا الموضوع ، تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة وقوله :﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾أي : ليس الهدى إلا الطريق التي شرعها الله على لسان رسوله ، وما عداه ، فهو ضلال وردة وهلاك .﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾بأن ننقاد لتوحيده ، ونستسلم لأوامره ونواهيه ، وندخل تحت عبوديته ، فإن هذا أفضل نعمة أنعم الله بها على العباد ، وأكمل تربية أوصلها إليهم "[1].

المطلب الثالث : نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله[2]:

أولاً :نوع المثل :هذا المثل من الأمثال التشبيهية حيث شبه الله فيه من عاد إلى الشرك بعد ان كان على التوحيد ، بمن كان على الجادة الصحيحة ثم حاد عنها وتلاعبت به الشياطين ، فأصبح في حيرة وتخبط كما أنه من الأمثال المركبة ، فالتشبيه مكون من رجل كان يمشي على جادة صحيحة ، فعرض له عارض صرفه عنها ، فأصبح ضالاً حائراً ، وله رفقة يدعونه إلى الرجوع إلى الطريق

١-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان صـــــــــــــــ٢٨٠.

٢-استفدت هذا المبحث من رسالة " الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضادها من الشرك من ص ٤٨٠: ٤٨٧ .

المستقيم فان رجع إليهم نجا وإلا هلك. يقابل هذه الصورة ، صورة المرتد عن الإسلام إلى الكفر ، وعن التوحيد إلى الشرك ، فقد كان سائراً على الصراط المستقيم ، ثم صرفته الشياطين عنه ، فأصبح حائراً بين المعبودات الباطلة ، وكل الدواعي تدعوه إلى الرجوع إلى الحق والهدى الذي كان عليه ، وهو يأبى إلا التخبط والحيرة .

قال "السدي " – رحمه الله – : " ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا ﴾أي : في الكفر ،﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾فيكون مثلنا كمثل الذي ﴿ ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾يقول : مثلكم إن كفرتم بعد الإيمان ، كمثل رجل كان مع قوم على الطريق ، فضل الطريق ، فجعلوا يدعونه إليهم يقولون : ائتنا فإنا على الطريق ، فأبي أن يأتيهم ، فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد – صلى الله عليه وسلم – ومحمد هو الذي يدعو إلى الطريق ، والطريق هو الإسلام "[1].

وفي هذا المثل شُبه معقولٌ بمحسوس ، فالضلال عن التوحيد أمر معقول معنوي ، شبه بالضلال عن الطريق الحسي .

ثانياً : الغرض الذي من أجله ضرب المثل :

ضرب المثل لغرض الإقناع بذكر قبائح الباطل والتنفير منه وذلك ببيان جانب من جوانب خطر الشرك، وذلك بإبراز حيرة المشرك وتخبطه بين الآلهة الباطلة ، وبعده عن سبيل الهداية ، يدل على ذلك قوله تعالى في بداية الآية : ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾فإذا كان الشرك بهذه المثابة فإن الرجوع إليه بعد الهداية إلى الإسلام ، من أقبح الأمور ، فقبحه شبيه بقبح من ترك الطريق الصحيح الذي يوصل إلى الوجهة المطلوبة ، وذهب يتخبط يمنياً وشمالاً ، و لا أحد يتمنى أن يكون هذا حاله .

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

١-تفسير الطبري (٣٢٩/٩).

أولاً: ما تضمنت هذه الآيات من أنواع من البلاغة والفصاحة والبيان والبديع :

منها : الطباق في قوله : {ينفعنا } و {يضرنا } ، {والغيب } و {الشهادة } .

ومنها : التقبيح والتشنيع في قوله : ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا ﴾عبر بالرد على الأعقاب عن الشرك لزيادة تقبيح الأمر وتشنيعه ؛ لأنها المشية الدنية .

ومنها التشبيه في قوله : كالذي﴿ ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾

ومنها: التكرار في قوله :﴿ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ ﴾مع ما قبله "[1].

ثانيًا:قال "ابن عاشور"– رحمه الله – في قوله تعالى :﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾استئناف ابتدائي لتأسيس المشركين من ارتداد بعض المسلمين عن الدين ، فقد كان المشركون يحاولون ارتداد بعض قرابتهم أو من لهم به صلة . كما ورد في خبر سعيد بن زيد وما لقى من عمر بن الخطاب وقد روى أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق دعا أباه إلى عبادة الأصنام ، وأن الآية نزلت في ذلك إلى أن قال والاستفهام إنكار وتأسيس ، وجيء –بنون المتكلم ومعه غيره – لأن الكلام من الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن نفسه وعن المسلمين كلهم "[2].

ثالثًا:قال "ابن عاشور"– رحمه الله – وقوله ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا ﴾عطف على ﴿ أَنَدۡعُواْ ﴾فهو داخل في حيز الإنكار والرد : الإرجاع إلى المكان الذي يأتي منه كقول تعالى {رُدوها علي } والأعقاب جمع عقب وهي مؤخر القدم وعقب كل شيء طرفه وآخره ويقال : رجع على عقبيه ونكص على عقبيه بمعنى رجع إلى المكان الذي جاء منه لأنه كان جاعلاً إياه وراءه فرجع"[3].

رابعاً: قال "سيد قطب" – رحمه الله – :"في كلمة "قل " الإيقاع القوى المتكرر في السورة، الذي

١–تفسير حدائق الروح والريحان (٨/ ٤٤٧).

٢–التحرير والتنوير (٧/ ٢٩٩ ، ٣٠٠).

٣–التحرير والتنوير (٧/ ٣٠٠).

يوحي بان هذا الأمر لله وحده ، وأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – إنما هو منذر ومبلغ ؛ والذي يوحي بجلال هذا الأمر وعلويته ورهبته ؛ وأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – إنما هو مأمور به من ربه " قل : أندعو من دون الله ما لا ينفعنا و لا يضرنا "[1].

خامساً: قال "ابن عاشور" في قوله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ﴾ "معي في تمثيل حالهم لو فرض رجوعهم على أعقابهم بتمثيل آخر أدق، بقوله "كالذي استهوته الشياطين في الأرض " ، وهو تمثيل بهيئة متخيلة مبنية على اعتقاد المخاطبين في أحوال الممسوسين فالكاف في موضع الحال من الضمير في ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا ﴾أي حال كوننا مشبهين للذي استهوته الشياطين فهذه الحال مؤكد لما في﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا ﴾من معنى التمثيل بالمرتد على أعقابه "[2].

سادساً:قال "سيد قطب" في قوله:﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾"إنه مشهد حي شاخص متحرك للضلالة والحيرة التي تنتاب من يشرك بعد التوحيد ، ومن يتوزع قلبه بين إله الواحد والآلهة المتعددة من العبيد ! ويتفرق إحساسه بين الهدى والضلال ، فيذهب في التيه ..... إنه مشهد ذلك المخلوق التعيس :﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ولفظ الاستهواء لفظ مصور بذاته لمدلوله وبالتيه يتبع هذا الاستهواء في اتجاهه ،فيكون له اتجاه صاحب القصد الموحد – ولو في طريق الضلال ! ولكن هناك ، من الجانب الآخر ، أصحاب له مهتدون ، يدعونه إلى الهدى ، وينادونه " ائتنا" – وهو بين هذا الاستهواء وهذا الدعاء " حيران " لا يدري أين يتجه ، و لا أي الفريقين يجيبإنه العذاب النفسي يرتسم ويتحرك ، حتى ليكاد يحس ويلمس من خلال التعبير "[3].

١-الظلال (١/ ١١٣١).

٢-التحرير والتنوير (٧/ ٣٠١).

٣-الظلال (٤/ ١١٣١ ، ١١٣٢).

سابعًا :يقول "سيد قطب"– رحمه الله – " وبينما ظل المشهد الحي الشاخص المتحرك الموحي ، يغمر النفس بالوجل من هذا المصير التعس .... يأتي التقرير الحاسم بالاتجاه الثابت المستقيم :﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ﴾إنه التقرير الحاسم في الظرف النفسي المناسب فالنفس التي ترتسم لها صورة الحيرة الطاغية ، والعذاب المرير من هذه الحيرة التي لا تستقر على قرار ، تكون أقرب ما تكون إلى استقبال القرار الحاسم بالراحة والتسليم ثم إنه الحق في ذلك التقرير الحاسم : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾هو وحده الهدى كما يفيد التركيب البياني للجملة – وإنه لذلك عن يقين "[1].

ثامنًا:ومن الفوائد التربوية أن البشرية لتتخبط في التيه ، كلما تركت هذا الهدى ، انحرفت عن شيء منه واستبدلت به شيئاً من تصوراتها وهي ومقولاتها ، وأنظمتها وأوضاعها ، وشرائعها وقوانينها ، وقيمها وموازينها ، بغير " علم " و لا " هدى " ولا " كتاب منير " .

تاسعًا:قال "سيد قطب" :" وكلما فاء هذا " الإنسان " إلى هدى الله اهتدى ؛لأن هدى الله هو الهدى فكلما بعد كلية عنه أو انحرف بعض الانحراف واستبدل به شيئاً من عنده ضل لأن ما ليس من هدى الله فهو ضلال ... إذ ليس هنالك نوع ثالث فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!"[2].

عاشرًا:من القيم التربوية أن طريق الهدى طريق واحد هو الذي حدده ربنا وبينه لنا ، وأمرنا ان نسلم له تعالى بقلوبنا وأرواحنا وجوارحنا ظاهراً وباطناً.

حادي عشر :ومن القيم الإيمانية بيان أن الصحبة الصالحة مسلك من مسالك النجاة ، وعصمة من مكائد الشيطان "[3].

ثان عشر :" على من يسعى للوصول إلى الحق أن يحرر نفسه من أسر شياطين الإنس والجن ، ويستعيذ بالله تعالى من شرورهم ووساوسهم ويعتصم بالله تعالى ويتوجه إليه متضرعاً خاشعاً ،

١-الظلال (٤/ ١١٣٢).

٢-الظلال (٤/ ١١٣٢).

٣-التفسير الموضوعي (٢/ ٤٨٤) .

فالهداية منه تعالى وهو سبحانه المعين عليها والموفق إليها ، فمن طلبها بصدق وإخلاص وتجرد وعزيمة نالها "[1].

ثالث عشر :على من أراد النجاة في دنياه وأخراه أن يسلك طريقها ويقتفي أثر من سبق إليها ، أما أن يرتجيها من لا يسلكها ويتوقعها من انحراف عنها فهذا من الغفلة والعجز ، وقد قال أبو العتاهية :

ترجو النجاة و لم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس.

رابع عشر :ومن الفوائد الإيمانية المستفادة من المثل دلالة المثل على حجة من حجج إبطال الشرك قال "ابن القيم "- رحمه الله - : " والمعبود لابد أن يكون مالكاً للنفع والضرر ، ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضراً و لانفعاً ، وذلك كثير في القرآن كقوله تعالى :﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾[2].

وقوله تعالى :﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾[3].

خامس عشر :ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على أن من الشرك دعاء غير الله قال شيخ الإسلام – رحمه الله – :"لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين ، دعاء العبادة ودعاء المسألة "[4].

سادس عشر :ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على وجوب الخوف من الشرك والحذر منه ، حيث صور المثل خطر الشياطين في اجتيال الناس عن التوحيد وردهم إلى الكفر فما دام العدو متربصاً فلابد من الخوف والحذر "[5].

١-التفسير الموضوعي (٢ /٤٨٥).

٢-سورة يونس جزء من آية :١٨.

٣-سورة يونس جزء من آية :١٠٦.

٤-مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٧) .

٥-الجربوع ، إبراهيم بن عبد الله ، الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كلية الدعوة قسم العقيدة صـــــــــــــــــ٤٩٩.

المبحث الثالث : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1].

المطلب الأول : مناسبة الآيات لما قبلها ومناسبة الآيات لموضوع السورة والعبرة من المثل :

أولاً : مناسبة الآيات لما قبلها وما بعدها :

بتأمل الآيات السابقة للمثل ، نلاحظ أنها تدور حول فكرة التوحيد وإرسال الرسل وتكذيب أقوامهم لهم ، ثم عاقبة ذلك التكذيب ونهايته السيئة .كذلك الحديث عن آيات الله وتصريفه لخلقه وملكوته وقدرته المتجلية في جميع مخلوقاته ثم حديثه المفصل عن الأقوام المكذبة لرسلها وعاقبة كل منهم ثم ذلك حديثه – سبحانه – عن أولئك الذين يتبعون محمداً – صلى الله عليه وسلم – والنور الذي جاء به، ومدى فلاحهم وأمره له – صلى الله عليه وسلم – بدعاء الناس جميعاً إلى إتباع رسالته التي جاء بها من عند الله عز وجل ثم عاد السياق مرة أخرى للحديث عن قوم موسى وأن منهم من آمن ومنهم من ضل عن السبيل ثم عاقبة المكذبين الضالين منهم وبعد هذا العرض السريع لقصص الأقوام السابقة ومدى تكذيبهم لرسلهم ثم عقاب الله لهم ، عاد السياق إلى قصة الخليفة الأول وميثاقهم الأول مع ربهم وبإيمانهم الفطري به وإقامة الحجة عليهم بشهادتهم ظن أنفسهم بحكم وجودهم ذاته وحكم ما يستشعرونه في أعماقهم من هذه الحقيقة أما الرسالات فما هي إلا تذكير وتحذير لمن ينحرفون عن هذه الفطرة السليمة لأن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالقهم منذ كينونتهم الأولى فلا حجة لهم في نقض الميثاق حتى وإن لم يبعث لهم رسل

١-سورة الأعراف الآيات من ١٧٥ : ١٧٧.

للتبشير أو الإنذار ولكن حكمة الله ورحمته بهم اقتضت أن يرسل لهم رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " [1].

وبعد أن تحدث السياق الكريم عن هذا الميثاق الأول بين الخلق وخالقهم كان من المناسب جداً أن تأتي آية المثل التي تحكي قصة من أوتي العلم بآيات الله ، فتركها واتجه إلى خصام الدنيا ورذائلها ... ولو شاء الله لانتفع بها ورفعه إلى أعلى مراتب الشرف والكرامة ، ولكنه دائم الإقبال على الدنيا والنهم بسفاسفها ، لا يمنعه وعظ و لا يخجله إعراض .. وربما لا يكتفي السامع بهذا المعنى العقل المجرد ، بل ربما لا يحرك حسه ومشاعره ... فكان دور المثل هنا دوراً جميلاً مناسباً جد للمناسبة ، إذ أنه نقل لنا المعنى المجرد في صورة محسوسة مشاهدة ..... و لم يقتصر الأمر على مجرد رؤيتها بل تعدى الإحساس بها إلى المشاعر السامع واشمئزازه منها تلك مناسبة المثل لما سبقه من آيات .

مناسبة المثل بما لحقه في السياق من الآيات :فالملاحظ أنها تحدثت عن هداية الله لمن يريد من البشر وإضلاله لبعضهم ، وبينت أن هؤلاء الضالين لا يستفيدون بما أوتوا من نعمة السمع والبصر والفؤاد ، فهم كالأنعام بل هم أضل ، ثم تتوالى الآيات بعد ذلك في التأكيد على قضية الإيمان بالله وحده لا شريك له وترك ما دونه لأنه هو الخالق وغيره مخلوق ، فلا يستطيعون نفعاً و لاضراً ولا نصراً لأنفسهم ولاهم ينصرون .

ذلك هو الارتباط الواضح بين آية المثل وبين ما لحقه من آيات في السياق ، إذ كل الآيات السابقة له واللاحقة به تدور حول موضوع أساسي ، هو ضرورة التمسك بآيات الله وبعلمه وعدم الانصراف عنها أو التهاون في العمل بموجبها " [2].

ثالثاً : العبرة من المثل :-

١-تفسير الظلال (٣/ ١٣٩١).

٢-وجوه البيان في أمثال القرآن صـــــــــــــــــ١٥٨ ، ١٥٩ .

إن المتأمل للمشهد الذي صوره المثل في الآية الكريمة ، تأبى عليه نفسه أن يترلق في مهاوي الرذائل وسفاسف الأمور ..... ويحاول جاداً أن يكون ممن يعملون بما أوتوا من علم وإيمان حتى يصل إلى أقصى مراتب الرفعة والشرف بدلاً من التشبه بأخس مخلوقات الله – والعياذ بالله – وهو في أرذل صورة وأقبح أحواله و لا أدل على أن هذا المثل قد سبق لأخذ العبرة من اختتام آية المثل نفسها بقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾أي : يتفكرون في عاقبة الأمور وليحذر الذين يعلمون شيئاً من علم الله أن ينتهوا إلى هذه النهاية البائسة وأن يصيروا إلى هذا اللهاث الذي لا ينقطع أبداً ، وأن يظلموا أنفسهم ذلك الظلم الذي لا يظلمه عدو لعدوه ، فإنهم لا يظلمون إلا أنفسهم بهذه النهاية السيئة .

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم :

قال الشيخ "مصطفى العدوي"– حفظه الله – " المعنى – والله تعالى أعلم –أن مثل هذا الذي آتاه الله –عز وجل– الآيات فترك العمل بها وأهملها وخالفها كمثل الكلب فالكلب إن طردته أو دفعته بعصاً أو بحجارة يلهث وإن لم تطرده وتركته يلهث أيضاً، فهو يلهث على كل حال وهكذا الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها ، فإنه سواء عليه وُعِظ أم لم يُوعظ لا يهتدي و لا ينتفع بالموعظة و لا عدمها .

قال " الطبري" – رحمه الله – "يقول تعالى ذكره–: فمثل هذا الذي آتيناه فانسلخ منها ، مثل الكلب الذي يلهث ، طردته أو تركته .ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب فقال بعضهم أمثله به في اللهث ، لتركه العمل بكتاب الله وآياته التي آتاها إياه ، وإعراضه عن مواعظ الله التي فيها إعراض من لم يؤته الله شيئاً من ذلك فقال جل ثناؤه فيه ، إذ كان سواء أمره ، وعظ بآيات الله التي آتاها إياه أو لم يوعظ في أنه لا يتعظ بها ، و لا يترك الكفر به : فمثله مثل الكلب الذي سواء أمره في لهثه طُرد أو لم يُطرد ، إذ كان لا يتركُ اللهث بحال . ثم أورد "الطبري "– رحمه الله – آثاراً في ذلك ، ثم قال : "وقال آخرون إنما مثله جل ثناؤه بالكلب لأنه يلهث كما يلهث الكلب" .

وقال الحافظ " ابن كثير "- رحمه الله - :" وقوله تعالى :﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾اختلف المفسرون في معناه ؛ فأما على سياق ابن إسحاق ، عن سالم بن النضر : أن بلعاماً اندلع لسانه على صدره ، فتشبيهه بالكلب في لهثه في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك . وقيل : معناه : فصار مثله في ضلاله ، واستمراره فيه ، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان ، وعدم الدعاء كالكلب في لهثه في حالتيه ، إن حملت عليه وإن تركته ، هو يلهث في الحالين ، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان و لاعدمه ، كما قال تعالى :﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1].﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾[2].ونحو ذلك وقيل : معناه أن قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف فارغ من الهدى ، فهو كثير الوجيب ، فعبر عن هذا بهذا . نقل نحوه عن الحسن البصري وغيره "[3].

قال "السعدي"-رحمه الله -:" يقول تعالى لنبيه –صلى الله عليه وسلم - :"﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾؛أي : علمناه (علم) كتاب الله فصار العالم الكبير والحبر النحرير فانسلخ منها فاتبعه الشيطان ؛ أي : انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله ؛ فإن العلم بذلك يصير صاحبه متصفاً بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ويرقى إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات ؛ فترك هذا كتاب الله وراء ظهره ، ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب ، وخلعها كما يخلع اللباس ، فلما انسلخ منها ؛ أتبعه الشيطان ؛ أي : تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين وصار إلى أسفل سافلين ، فأزه إلى المعاصي أزا ،﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾بعد أن كان من الراشدين المرشدين وهذا لأن الله تعالى خذله ووكله إلى نفسه ؛ فلهذا قال تعالى :﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾: بأن نوفقه للعمل بها فيرتفع في الدنيا والآخرة ، فيتحصن من أعدائه ، ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ ﴾فعل ما يقتضي

١-سورة البقرة جزء من آية :٦ .

٢-سورة التوبة جزء من آية :٨٠.

٣-تفسير ابن كثير(٦/ ٤٥٦) .

الخذلان ؛ فأخلده إلى الأرض ؛أي:إلى الشهوات السفلية والمقاصد الدنيوية ، ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾: وترك طاعة مولاه .

﴿ فَمَثَلُهُۥ ﴾: في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها ﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾؛ أي : لا يزال لاهثاً في كل حال ، وهذا لا يزال حريصاً حرصاً قاطعاً قلبه لا يسد فاقته شيء من الدنيا ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾بعد أن ساقها الله إليهم ، فلم ينقادوا لها ، بل كذبوا بها وردوها لهوائهم على الله واتباعهم لأهوائهم بغير هدى من الله "[1].

قال الشيخ العلامة "ابن عثيمين " بمثل تفسير الشيخ ناصر السعدي –رحمه الله تعالى – وقد نقل كلامه بالنص "[2].

المطلب الثالث : بيان نوع المثل وبيان الممثل به وصورة الممثل له والغرض الذي من أجله ضرب المثل :

أولاً: بيان نوع المثل :مثل الله تعالى من لم يعمل بما علم ومن عرف الله تعالى وعرف أسمائه وصفاته وكمال المطلق ولم يفرد العبادة له وحده ، بمثلين أحدهما بالمنسلخ والآخر بالكلب ، وهذان المثلان من الأمثال التشبيهية التي يتم إيضاح المعنى منها عن طريق القياس التمثيلي .

تشبيه غير مدرك بالحس الظاهر بمدرك بالحس الظاهر، فقد صور حال الذي أعطى العلم ولم يعمل به فسلبه الله تلك النعمة ، فأشبه في حالته تلك الحية التي تنسلخ من جلدها ، وتتركه على الأرض وحال الذي أخلد إلى الدنيا ساعياً خلفها بصورة الكلب الذي لا يترك هذا اللهاث الذي لا ينقطع أبداً . وهو تشبيه مركب كما يتضح فيما يلي :

١-تفسير السعدي صـــــــــ٣٣٩.

٢-تفسير الشيخ ابن عثيمين (٥/ ٦٠، ٦١) .

ثانياً : بيان الممثل به : تظهر صورة الممثل به من قوله تعالى :﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾أي كما تنسلخ الحية من جلدها ، وفارقها فراق الجلد ينسلخ عن اللحم ومن قوله تعالى﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۚ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ﴾ وقال "ابن منظور"– رحمه الله – : الانسلاخ : كل شيء يغلق عن قِشر فقد انسلخ مسلاخ الحية سلختها جلدها التي تنسلخ عنها وهو كحال أحقر الحيوانات ، وهي حالة الكلب في دوام لهثه ، سواء في حالة التعب أو الراحة ، أو صورة الحية التي تسلخ جلدها . وصورة الكلب الذي ينبح إن حملت عليه أو تركته وهو يلهث في حالة المرض والصحة والتعب والراحة فهو يلهث في جميع حالاته وهو ميت الفؤاد "[1].

ثالثاً: صورة الممثل له : هي صورة حال الذي أعطي العلم وعرف ربه ، و لم يعمل بمقتضى معرفته وهو ذلك العالم الذي حرم ثمرة علمه ، فخرج من الآيات ، وكفر بها ومال إلى الدنيا ، فسلبه الله تلك النعمة ، وقد كان من الممكن أن يرفعه الله بها لو أن علمه قاده إلى العمل ، فإن توحيده بتوحيد الربوبية فقط لم يفده بل كان يجب عليه أن يأتي بتوحيد الألوهية .

رابعاً : الغرض الذي من أجله ضرب المثل :

إن من الأغراض التي من أجلها ضرب هذا المثل هو إثارة التفكير بأسلوب الاستفهام فقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۚ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾هذا المثل هو من الأمثال التي تبعث على التفكير ، وقد جاء في آخر الآية أمر الله لنبيه محمد بقص القصص لعل الكفار يتفكرون في هذه الأمثال ، ليدركوا ما فيها من معاني وألغاز وعبر ليؤمنوا .وجاء عن علماء الحيوان أن وصف المثل للكلب وهو يلهث ، هي ظاهرة علمية بيولوجية

١–سندي ، هند بنت إبراهيم ، الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة ، قسم العقيدة عام ١٤٣٣هـ، صـــــــــــــــ١٥١.

، يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، لكن تفسيرها لا يتم إلا بالأدوات العلمية التقنية ، وقد شرح علماء الحيوان أن الكلب لا يملك بعض الغدد التي تحافظ على مستوى درجة حرارة جسمه الداخلية ، فلهذا فحرارته تعمل على الصعود دائماً ، لذا فإن الكلب يستعيض باللهث ، بإخراج اللسان لإدخال البرودة إلى الجسم ، التي تعمل على توازن الحرارة داخله ، وبقائها في المستوى الطبيعي ، وهذا لم يكتشفه العلم إلا مؤخراً.

ودعوة الله إلى التفكير في هذا المثل هو دعوة للتفكير في هذه الظاهرة ، التي تدعو إلى إعمال العقل ، وهو لا شك من الأغراض التربوية للأمثال القرآنية "[1].

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً **:التشبيه التمثيلي** : في الآية الكريمة قد شُبه حال من أُعْطى شيئاً فلم يقبله بالكلب – في الخسة والضعة – الذي إن حملت عليه نبح وولى ذاهباً ، وإن تركته شد عليك ونبح ، فهو يعطي الجد والجهد من نفسه في كل حالة من الحالات ، وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث ، إلا إذا هيج منه وحرك ، وإلا لم يلهث ؛ أما الكلب فهو ذليل دائم الذلة لاهث في الحالتين "[2].

ثانيًا *:* والآية تشتمل أيضاً على استعارة مكنية في قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾إذ استعير لفظ الانسلاخ وهو لا يكون إلا للشاة أو الحيوان عموماً إذا أُبعد عنه جلده . استعير هذا اللفظ لمن يبتعد عن آيات الله وعلمه بعد أن أوتيه "[3].

ثالثًا:في قوله تعالى :﴿ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾والنبأ : يختلف عن الخبر لأن النبأ لا يكون إلا للإخبار بما لا يعمله المُخبر ويجوز أن يكون الخبر بما يعلمه وبما لا يعلمه ولهذا نقول تخبرني عن

١-المدلولات التربوية للأمثال القرآنية صـــــــ٦٠ ، ٦١.

٢-الجداول في إعراب القرآن (٥/ ١٢٨ ، ١٢٩) .

٣-وجوه البيان في أمثال القرآن صـــــــــــ١٦٠.

نفسي و لا يقول تنئني عن نفسي وفي القرآن ﴿ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[1]فقد استهزأوا به لأنهم لم يعلموا حقيقته – ولو علموا ذلك لتوقوه – وقيل في النبأ معنى عظيم الشأن وكذلك أخذ منه صفة النبي – صلى الله عليه وسلم – ولهذا يقال لفلان نبأ و لا يقال خبر لهذا المعنى وجاء في تعريف الراغب للنبأ أن الخبر إن تتوفر فيه الفائدة العظيمة ويحصل به علم أو غلبة ظن فما يسمى نبأ وليس كل نبأ خبراً لأن حق النبأ أن يعرى من الكذب كالتواتر وأخبار الله تعالى وأخبار رسوله الكريم –صلى الله عليه وسلم –"[2].

رابعاً: وفي قوله: ﴿ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ﴾ففي الغالب أن لفظ ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾لفظ مفرد أريد به الجمع أي كل من أنسلخ عن الحق بعد أن أُعطيه من اليهود والنصارى والحنفاء (وقال عبادة بن الصامت هم قريش أتتهم أوامر الله ونواهيه والمعُجزات فانسلخوا من الآيات و لم يقبلوها)[3].

خامساً : "جاء الضمير في قوله :﴿ فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾مُسنداً إلى الشخص ذاته لأن موضع الحديث موضع إساءة، ونظيره قوله تعالى ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾[4].كما لا يفوتنا هنا ما في جملة ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾من إيحاء بمعناها فكما علمنا أنها في وجودها مع غيرها تدل على استعارة مكنية هذا فضلاً عن جرسها الذي يوحي بذلك النزع الشديد الذي يحدث أثناء إبعاد جلد الحيوان عن لحمه وهذا بدوره يشبه تماماً الشعور الذي ينتاب المبتعد عن آيات الله في تلك اللحظة الحرجة .

سادساً:" وجملة ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾مبتدأ وخبر وقد سبق الإشارة إلى ما فيها من تصوير ، وإشارة الجملة الاسمية هنا للدلالة على دوام اتصافه بتلك الحالة واستقراره عليها "[5].

١-سورة الشعراء جزء من آية :٦.

٢-وجوه البيان في أمثال القرآن صـــــــــــــ١٦٢.

٣-البحر المحيط (٤/ ٤٢٢).

٤-سورة الكهف جزء من الآية :٧٩.

٥-الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٧٥٨).

سابعًا :ومن اللطائف في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ ﴾تلاحظ هنا بإسناد الفعل ﴿لَرَفَعْنَاهُ ﴾إلى ضمير الذات العلية وذلك لما فيه من الخير ، أما قوله ﴿ أَخْلَدَ ﴾فقد أسند إلى ضمير الشخص المتصرف عن آيات الله سبحانه وتعالى لأن ما يصيبه من سوء ، هو السبب فيه وحده أما الباء في قوله: ﴿لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾سببية أي بسببها .

ثامنًا:ولنتأمل قوله :﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ففي هذا الاستدراك دليل على أن المبتعد عن آيات الله هو الجاني على نفسه بما اختار من سفاسف الدنيا وفي قوله ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾أي ركن إليها ظاناً أنه خالد فيها وقيل اطمأن إليها والجميل هنا أن يأتي التعبير بالإخلاد إلى الأرض وليس إلى الدنيا أو الشهوات ، وماذاك إلا لأن الأرض موطن لذلك كله "[1].وهذا ما يسمى بلاغياً بالمجاز المرسل وعلاقته هنا المحلية أما القرينة الدالة على ذلك فهي قوله ﴿ أَخْلَدَ ﴾إذ الخلود لا يكون للأرض وإنما للدنيا وحطامها .

تاسعًا:إن كل من تفضل الله تعالى عليه بالإيمان ومعرفة الله و لم يعبده حق عبادته ، تقوم الحجة عليه يوم القيامة وذلك لأن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية . وإن أسباب الضلال والبعد عن الإيمان من الإنسان ، ويدل على ذلك نسبة الضمير إليه ، في قوله: ﴿ فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾[2] .

عاشراً : في قوله تعالى :﴿ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾"إشارة إلى أن هذا العالم الذي انحرف ومال إلى الدنيا صار إماماً للشيطان في الضلال والفساد ، فكأنه لم يتبع الشيطان ، بل الشيطان تبعه وما وراءه "[3] .

حادي عشر : "من أوتي العلم وعمل به ، وأدى حقه ، رفعه الله درجات ، وجعله من أئمة الهدى ، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾، فالعلم سبيل إلى رفع الدرجات ، وعلو

١-الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٧٥٨) بتصرف .

٢-الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة صـــــــــ١٥٣.

٣-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٣/ ١٠٩ ، ١١٠) .

المقامات" [1] .

ثان عشر :إن من أكبر أسباب الشرك ودواعيه توهم المشركين أن غير الله مصدر خير لهم ، وأن عبادته سبب لحصول ما ينفعهم ودفع ما يضرهم ، أي أن شرك الدعاء أكثر من شرك المحبة .

ثالث عشر :" من طلب العلم لينال به الدنيا ، ويحصل به متعها وشهواتها ، كان مثله كمثل الكلب ، فهو يلهث في جميع أحواله ، سواء أزجرته أم كففت عنه ، فعلى أهل العلم أن يتقوا الله فيما آتاهم من العلم "[2] .

رابع عشر :القصة القرآنية لها أهداف ومقاصد ، منها : دعوة الناس إلى التفكر و الاعتبار بما جري للسابقين :﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ ﴾"[3] .

خامس عشر :قال "ابن القيم" – رحمه الله – : " وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه : بالكلب في حال لهثه : سر بديع وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته وإتباعه هواه : إنما كان لشدة لهفته على الدنيا . لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة فهو شديد اللهف عليها ، ولهفته نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه . واللهف واللهث شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى"[4] .

سادس عشر :قال " ابن القيم " – رحمه الله – أنه سبحانه قال:﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا ﴾فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم فإن هذا كان من العلماء ، وإنما هي باتباع الحق وإيثاره ، وقصد مرضاة الله . فإن هذا كان من أعلم أهل زمانه . و لم يرفعه الله بعلمه ، و لم ينفعه به نعوذ بالله من علم لا ينفع "[5] .

١-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٣/ ١١٠) .

٢-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٣/ ١١٠) .

٣-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٣/ ١١٠) .

٤-التفسير القيم صـــــــــــــــ٢٨١.

٥-التفسير القيم صـــــــــــــــ٢٨٣.

سابع عشر : قال "سيد قطب "- رحمه الله - " وقد أمر الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يتلوه على قومه الذين كانت تتنزل عليهم آيات الله ، كي لا ينسلخوا منها وقد أوتوها . ثم ليبقى من بعده ومن بعدهم يتلى ليحذر الذين يعلمون من علم الله شيئاً أن ينتهوا إلى هذه النهاية البائسة ، وان يصيروا إلى هذا اللهاث الذي لا ينقطع أبداً ، وان يظلموا أنفسهم ذلك الظلم الذي لا يظلمه عدو لعدو فإنهم لا يظلمون إلا أنفسهم بهذه النهاية النكدة ! ولقد رأينا من هؤلاء – والعياذ بالله - في زماننا هذا من كان كأنما يحرص على ظلم نفسه ؛ أو كمن يعض بالنواجذ على مكان له في قعر جهنم يخشى أن ينازعه إياه أحد من المتسابقين معه في الحلبة! فهو ما يني يقدم كل صباح ما يثبت به مكانه هذا في جهنم ! وما يني يلهث وراء هذا المطمع لهاثاً لا ينقطع حتى يفارق الحياة الدنيا !"[1] .

١-تفسير الظلال (٣/ ١٣٩٨ ، ١٣٩٩)

المبحث الرابع :دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤ ﴾[1] .

المطلب الأول : دلالة السياق الذي ورد فيه المثل :

ذكر الله في أول السور وأثنائها بعضاً من الشواهد الكونية الدالة على وحدانيته في الربوبية ، المستلزم إفراده بالألوهية ، وذلك لتبين صدق النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما جاء به ، أن ذلك غير مفتقر إلى آية ومعجزة تبين صحته ، فقال تعالى :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾[2] .

ثم انتقل السياق لذكر نوع آخر من ضلال المشركين ، ألا وهو إنكارهم البعث ، فقال تعالى :﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ ﴾[3].قال "أبوحيان"– رحمه الله – :" ولما أقام الدلائل على عظيم قدرته بما أودعه من الغرائب في ملكوته التيلا يقدر عليها سواه، عجب

١–سورة الرعد آية : ١٤.

٢–سورة الرعد الآيات من ٢: ٤.

٣–سورة الرعد الآية :٥.

الرسول – عليه الصلاة والسلام– من إنكار المشركين وحدانيته ، وتوهينهم قدرته لضعف عقولهم فنزل ﴿ وَإِن تَعْجَبْ ﴾، قال "ابن عباس" : "وإن تعجب من تكذيبهم إياك بعدما كانوا حكموا عليك أنك من الصادقين ، فهذا أعجب ، وقيل : وإن تعجب يا محمد من عبادتهم مالا يملك لهم ضراً ولا نفعاً بعد ما عرفوا الدلائل الدالة على التوحيد ،فهذا أعجب "[1]

ثم أشار السياق إلى عظيم جهلهم واستخفافهم بقدرة الله ، حين استعجلوا الهلاك على السلامة والنجاة ، فطلبوا من النبي– صلى الله عليه وسلم – أن يعجل بما توعدهم به من العذاب ، فقال تعالى:﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ﴾[2] .

ثم رجع السياق للحديث مرة أخرى عن عظمة الله سبحانه بذكر شئ من مظاهر عزته وجلاله ، فقال سبحانه: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾[3]

وبعد أن بين سبحانه بعضاً من شواهد قدرته ، ودلائل ربوبيته ، ذكر سبحانه الغرض المطلوب من إيراد تلك الشواهد فقال :﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾قال "أبو حيان" –رحمه الله –:"والمعنى : أن بين سبحانه بعضاً من شواهد قدرته، ودلائل ربوبيته ، ذكر سبحانه الغرض المطلوب من إيراد تلك الشواهد

١–تفسير البحر المحيط (٥/٣٥٨)

٢–سورة الرعد آية :٦ .

٣–سورة الرعد الآيات من ٨: ١٣

فقال :﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ ﴾قال "أبو حيان"-رحمه الله -:(والمعنى :أن الله تعالى الدعوة له هي الدعوة الحق ، ولما ذكر تعالى جدال الكفار في الله تعالى ، وكان جدالهم فى إثبات آلهة معه ، ذكر تعالى أنه له الدعوة الحق أي :من يدعو له فدعوته هي الحق ، بخلاف أصنامهم التي جادلوا فى الله لأجلها ، فإن دعاءها باطل لا يتحصل منه شيء" [1].

ثم ضرب سبحانه هذا المثل العظيم بعد كل هذه المقدمات الباهرة ، ليبن للمشركين أمرين هامين :

الأول : أن ماهم عليه من عبادة تلك الأصنام والأوثان ليس بشيء كما قال تعالى : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ٧١ ﴾[2].وقوله :

﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ ﴾[3].

والثاني : ليعكس المطالبة بالآية والبرهان عليهم ، فهم المطالبون بإقامة الدليل والبرهان لصحة ماهم عليه وليس النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي يشهد لصدق نبوته كل الدلائل الكونية ، وجميع البراهين العقلية ، لذلك عاد السياق إلى مخاطبة المشركين بعد أن ذكرهم بشيء من مظاهر ربوبيته ، ليمهد لإقامة الدليل والحجة عليهم بما جحدوه ، وهو استحقاقه وحدة للعبادة ، فأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يسألهم سؤال تقرير عن ربهم وخالقهم ، فقال تعالى لنبيه :﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ ﴾[4].فإذا أقروا بذلك فسألهم على سبيل التوبيخ والإنكار ، ﴿ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ ﴾[5].

١-تفسير البحر المحيط (٥/ ٣٨٦).

٢-سورة الحج آية :٧١ .

٣-سورة المؤمنون آية :١١٧.

٤-سورة الرعد جزء من آية :١٦ .

٥-سورة الرعد جزء من آية :١٦ .

وفي نهاية السياق أعاد الله سبحانه نفس القضية التي بدأ بها السياق ، فقال سبحانه : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴾[1].

وهذه الطريقة وهي أن يبدأ السياق الذي يضم من الآيات ، ويختم بنفس المعنى مع التقارب في الألفاظ لها دلالة هامة ، حيث تدل على أن ما بين الآيتين – المبدوء والمختوم بها –تتكلم عن قضية واحدة ، وأن ما يذكر في ذلك السياق له علاقة بالمعنى المشترك بين آيتي البدء والختام "[2].

المطلوب الثاني : تفسير آية المثل وبيان أقوال أهل العلم :

قال " الطبري " – رحمه الله :" يقول تعالى ذكره : لله من خلقه الدعوة الحق ، والدعوة هي الحق كما أضيفت الدار إلى الآخرة في قوله :﴿ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[3]. وقد بينا ذلك فيما مضى وإنما عني بالدعوة الحق ، توحيد الله وشهادة أن لا إله إلا الله وقوله :﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾يقول تعالى ذكره: والآلهة التي يدعوها المشركون أرباباً وآلهة وقوله :﴿ مِن دُونِهِۦ ﴾يقول : من دون الله وإنما عني بقوله :﴿ مِن دُونِهِۦ ﴾الآلهة أنها مقصرة عنه وأنها لا تكون إلهاً و لا يجوز أن يكون إلهاً إ لا الله الواحد القهار ، ومنه قول الشاعر :

أتوعدُني وراء بني رياح كذبت لتقصرن يداك دُوني [4].

يعني : لتقصرن يداك عني

وقوله :﴿ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾يقول : لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون آلهة بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضر ﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ ﴾يقول : لا ينفع داعي الآلهة دعاؤه إياها لا كما ينفع باسط كفيه إلى الماء بسطه إياهما إليه من غير أن يرفعه إليه في إناء ، ولكن ليرتفع

١–سورة الرعد آية :٢٧.

٢–الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضادها من الشرك بتصريف صـــــــ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

٣–سورة يوسف آية :١٠٩ .

٤ – الحموي ، ابن حجة ، خزانة الأدب ، (٣/ ١١٤) الشاهد التاسع والسبعون ، الموسوعة الشاملة .

إليه بدعائه إياه وإشارته إليه وقبضه عليه .

والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض على الماء ، قال بعضهم

فإني وإياكم وشوقاً إليكم كقابض ماء لم تسقه أنامله [1].

يعني بذلك : أنه ليس في يده من ذلك إلا كما في القابض على الماء ، لأن القابض على الماء لاشيء في يده "[2].وقال "ابن كثير" –رحمه الله – " بعد أن أورد أقوالاً في تفسير قوله تعالى :﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ ﴾ومعنى الكلام : أن هذا الذي يبسط يده إلى الماء ، إما قابضاً وإما متناولاً له من بعد ، كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه ، الذي جعله محلاً للشرب ، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهاً غيره ، لا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا والآخرة ، ولهذا قال :﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[3].

وقال " السعدي " – رحمه الله – " ﴿ لَهُۥ ﴾أي : لله وحده ﴿ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾وهي : عبادته وحده لا شريك له وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى ، أي : هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والحب ، والرغبة ، والرهبة ، والإنابة ، لأن ألوهيته هي الحق ، وألوهية غيره باطلة ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾من الأوثان والأنداد التي جعلوها شركاء لله.﴿ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم ﴾

أي : لمن يدعوها ويعبدها ﴿ بِشَىْءٍ ﴾قليل ولا كثير لا من أمور الدنيا و لا من أمور الآخرة ﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ ﴾الذي لا تناله كفاه لبعده ، ﴿ لِيَبْلُغَ ﴾ببسط كفيه إلى الماء ﴿ فَاهُ ﴾فإنه عطشان ومن شدة عطشه يتناول بيده ، ويبسطها إلى الماء الممتنع وصوله إليه فلا يصل إليه . كذلك الكفار الذين يدعون مع الله آلهة لا يستجيبون لهم بشيء و لا ينفعهم في أشد الأوقات

١-تفسير الطبري (١٣/ ٤٨٧) بتصريف

٢-ذكره ابن كثير و لم تنسبه (٨ /١٢٨).

٣-تفسير ابن كثير (٨/ ١٢٨) بتصريف .

إليهم حاجة لأنهم فقراء كما أن من دعوهم فقراء ، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ومالهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾لبطلان ما يدعون من دون الله ، فبطلت عباداتهم ودعاؤهم ؛ لأن الوسيلة تبطل ببطلان غايتها "[1].

المطلب الثالث : نوع المثل وصورة الممثل به وله والغرض الذي ضرب من أجله المثل :

أولاً:نوع المثل : هذا المثل من الأمثال التشبيهية المركبة التمثيلية فقد شبه الله الذي يدعو الآلهة الباطلة ، بمن يدعوا الماء ليصل إلى فمه من غير أن يرفعه بيده ، بجامع عدم الاستجابة في كل ، المعبر عنه بقوله تعالى :﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾كما أنه من التشبيه المركب ، قال "الآلوسي " – رحمه الله – " والحاصل أنه شبه آلهتهم حين استكفائهم إياهم ما أهمهم بلسان الاضطرار في عدم الشعور فضلاً عن الاستطاعة للاستجابة ، وبقائهم لذلك في الخسراة، بحال ماء بمرأى من عطشان ، باسط كفيه إليه يناديه عبارة وإشارة ، فهو لذلك في زيادة الكباد والبوار ، والتشبيه على هذا من المركب التمثيلي في الأصل "[2]

ثانياً: صورة الممثل به :ورد ذكر الممثل به في الآية في قوله تعالى :﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾ وهذا التشبيه مركب من ثلاثة أجزاء :

١-شخص في أشد الحاجة إلى الماء ليروي ظمأه .

٢-عندما وجد الماء بسط كفيه فيه ، راغباً أن يرتفع بنفسه إلى فمه من غير أن يرفعه .

٣- لم ينتفع من تلك الطريقة التي أراد أن يشرب بها الماء ، فلن يصل الماء إلى فمه ، ولو بقي طول حياته على تلك الحال .

ثالثاً: صورة الممثل له :

وهو أيضا مركب من ثلاثة أجزاء تقابل أجزاء الممثل به السابق ذكرها :

١-تفسير السعدي صـــــــــــــــ٤٧٠.

٢-تفسير روح المعاني (١٣/ ١٢٤).

١-المحتاج إلى جلب نفع أو دفع ضر .

٢-توجهه إلى الآلهة الباطلة وإنزال حاجته بها .

٣-عدم انتفاعه من طلبها وسؤالها أبداً ، ولو بقي يسألها إلى آخر حياته .

فهذا الذي ألمت به حاجة ، يشبه الظمآن الذي طلب الماء ليشرب منه ، ومديده إلى الماء يشبه مد الداعي للأوثان يده حال دعائه ومسألته ، وعدم استجابة الماء تشبه عدم استجابة الآلهة لأن كلاً منهما اتخذ طريقاً لا يوصل إلى مقصوده ، وخيبة رجاء ذلك الظمآن تشبه خيبته رجاء المشرك"[١].

رابعاً:الغرض الذي من أجله ضرب المثل :

هذا المثل ضربه الله لبيان عجز آلهة المشركين ، وعدم تمكنها من نفع من استنجد بها ودعاها من دون الله ، وقد ورد ذكر الغرض مصرحاً به في قوله تعالى :﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾كما أنه ضرب لتصوير حال المشركين حال دعائهم تلك الأصنام ، وما يعودون به من الإفلاس وانعدام الجدوى.

قال "الآلوسي" – رحمه الله – :" والغرض – كما قال بعض المدققين – :نفي الاستجابة على البيت ، بتصوير أنهم أحوج ما يكونون إليها لتحصيل مباغيهم ، أخيب ما يكون أحد في سعيه لما هو مضطر إليه "[٢].

المطلب الرابع :الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً:التشبيه المركب التمثيلي :أي لكونه جماداً لا يشعر بعطشه وبسط يديه إليه ، حيث شبه آلهتهم حين استكفائهم إياهم ما أهمهم بلسان الاضطرار في عدم الشعور فضلاً عن الاستطاعة للاستجابة وبقائهم لذلك في الخسارة بحال ماء بمرأى من عطشان باسط كفيه إليه يناديه عبارة وإشارة فهو لذلك في زيادة الكباد والبوار "[٣].

١-الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك صـــــــــ٣٥٦ ، ٣٥٧ . بتصريف .

٢-تفسير روح المعاني (٣/ ١٢٤).

٣-الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه (٧ / ١٠٧).

ثانيا: التهكم في الآية الكريمة ، حيث أخرج الكلام مخرج التهكم بهم ، فقيل لا يستجيبون لهم شيئاً من الاستجابة إلا استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليست فيها شائبة الاستجابة قطعاً ، فهو في الحقيقة من باب التعلق بالحال .

ثالثًا: الاستعارة في قوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ﴾حيث استعار السجود للانقياد والخضوع .

رابعًا: قال " ابن عاشور " : " في قوله تعالى :﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴾استئناف ابتدائي بمنزلة النتيجة ونهوض المدلل عليه بالآيات السالفة التي هي براهين الانفراد بالخلق الأول ثم الخلق الثاني وبالقدرة التامة التي لا تدانيها قدرة قدير والعلم العام فلا جرم أن يكون صاحب تلك الصفات هو المعبود بالحق وأن عبادة غيره ضلال "[1].

خامسًا: قال " الهرري" – رحمه الله – " في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾أي : له سبحانه وتعالى لا لغيره ، وتقديم الخبر لإفادة التخصيص ، دعوة الحق ؛ أي : الدعاء الحق على أن يكون من باب إضافة الموصوف إلى الصفة ، والدعوة بمعنى العبادة ، والحق بمعنى الحقيق اللائق الغير الباطل "[2].

سادسًا: قال "الشوكاني "– رحمه الله –:" إضافة الدعوة إلى الحق للملابسة أي : الدعوة الملابسة للحق والصدق المختصة به التي لا مدخل للباطل فيها بوجه من الوجوه ، كما يقال كلمة الحق ، والمعنى : أن له تعالى دعوة مجابة واقعة في موقعها ، لا كدعوة من دونه وقيل : هو الله سبحانه وتعالى "[3].

سابعًا: " الالتفات في قوله: ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم ﴾على قراءة {والذين تدعون } – بالتاء الفوقية–

١–تفسير التحرير والتنوير (١٣/ ١٠٧).

٢–تفسير حدائق الروح والريحان (٢١١/١٤).

٣–الشوكاني ، محمد بن علي ،فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، مكتبة الحلبي ، طبعة الثانية ١٣٨٣،(٣/ ٧٣).

وحق العبارة لا يستجيبون لكم ، وإن كانت هذه القراءة شاذة"[1].

ثامنًا: قال " سيد قطب " – رحمه الله – "والمشهد هنا ناطق متحرك جاهد لاهف ... فدعوة واحدة هي الحق ، وهي التي تحقق ، وهي التي تستجاب إنها دعوة الله والتوجه إليه والاعتماد عليه وطلب عونه ورحمته وهداه ، وما عداها باطل وما عداها ضائع وما عداها هباء... ألا ترون حال الداعين لغيره من الشركاء ؛ انظروا هذا واحد منهم . ملهوف ظمآن يمد ذراعيه ويبسط كفيه . وفمه مفتوح يلهث بالدعاء يطلب الماء ليبلغ فاه فلا يبلغه . وها هو ببالغه بعد الجهد واللهفة والعناء "[2].

تاسعًا: قال "سيد قطب " :" ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾وفي أي جو لا يبلغ هذا الداعي اللاهف اللاهث قطرة من ماء ؛ في جو البرق والرعد والسحاب الثقال ، التي تجري هناك بأمر الله الواحد القهار وفي الوقت الذي يتخذ هؤلاء الخائبون آلهة من دون الله ، ويتوجهون إليهم بالرجاء والدعاء ، إذا كل من في الكون يعنو لله . وكلهم محكومون بإرادته ، خاضعون لسنته ، مسيرون وفق ناموسه .المؤمن منهم يخضع طاعة وإيماناً ، وغير المؤمن يخضع أخذاً وإرغاماً ، فما يملك أحد أن يخرج على إرادة الله ، و لا أن يعيش خارج ناموسه الذي سنه للحياة "[3].

عاشرًا : والباء في بشيء لتعديه يستجيبون ، لأن فعل الإجابة يتعدى إلى الشيء المجاب به بالباء وإذا أريد من الاستجابة تحقيق المأمول اقتصر على الفعل كقوله: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾فلما أريد هنا نفى إجداء دعائهم الأصنام جعل نفى الإجابة متعدياً بالباء إلى انتفاء أقل ما يجيب به المسؤول وهو الوعد بالعطاء أو الاعتذار عنه . فهم عاجزون عن ذلك وهم أعجز عما فوقه وتنكير {شيء} للتحقير . والمراد أقل ما يجاب به من الكلام "[4].

١-تفسير حدائق الروح والريحان (١٤ / ٢٣٧) .

٢-تفسير الظلال (٤/ ٢٠٥١ ، ٢٠٥٢).

٣-تفسير الظلال (٤/ ٢٠٥٢).

٤-تفسير التحرير والتنوير (١٣/ ١٠٨ ، ١٠٩) .

حادي عشر : قال " ابن عاشور " – رحمه الله – "والاستثناء في ﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ ﴾من عموم أحوال الداعين والمستجيبين والدعوة والاستجابة لأنه تشبيه هيئة فهو يرى إلى جميع أجزائها فلك أن تقدر الكلام إ لا كداع باسط أو إلا كحال باسط والمعنى : لا يستجيبونهم في حال من أحوال الدعاء والاستجابة إلا في حال الداع ومستجيب كحال باسط كفيه إلى الماء وهذا الاستثناء من تأكيد الشيء بما يشبه ضده فيؤول إلى نفي الاستجابة في سائر الأحوال بطريق التمليح والكناية "[1].

ثان عشر : قال " ابن القيم " – رحمه الله – :" قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ ﴾أنه تعالى صاحب دعوة الحق لذاته وصفاته ، فهو أهل أن يعبد وحده ويدعى وحده ، ويقصد ويشكر ويحمد ، ويحب ويرجى ويخاف ويتوكل عليه ، ويستعان به ، ويستجار به ، ويلجأ إليه فتكون الدعوة الإلهية الحق له وحده ومن قام بقلبه هذا –معرفة وذوقاً وحالاً- صح له مقام التبتل والتجريد المحض وقد فسر السلف ﴿ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ ﴾بالتوحيد والإخلاص فيه ، والصدق ومرادهم هذا المعنى فقال علي – رضي الله عنه- دعوة الحق : التوحيد وقال ابن عباس –رضي الله عنه – شهادة أن لا إله إلا الله "[2].

ثالث عشر : ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على عجز من يدعي من دون الله على إجابة من يدعوه وذلك أنها شبهت بالماء في استجابته لمن يطلب منه أن يصعد إلى فمه ليشرب منه ، فإذا قدر الماء على ذلك فالأصنام تقدر على إجابتهم .

رابع عشر : ومن الفوائد الإيمانية أيضاً دلالة المثل على أن الدلائل العقلية تدل على وجوب إخلاص الدعاء لله تعالى إذ أن المثل يدل على أن هذه الأصنام لا تستحق أن تُدعى لأنها عاجزة عن إجابة من يدعوها ، فهذا يستلزم أن يكون القادر .

١-تفسير التحرير والتنوير (١٣/ ١٠٩) .

٢-بدائع التفسير (٢/ ٨٠).

خامس عشر : أن المشركين الذين يعبدون مع الله آلهة غيره لا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا و لا في الآخرة .

سادس عشر: كل شيء في ملك الله خاضع لسلطانه ، يسجد له طوعاً من المؤمنين وكرهاً من الكافرين .

سابع عشر : الحق الثابت باق نافع مثمر ؛ والباطل زائل لأنه حقير لا قيمة له و لا دوام "[1].

المبحث الخامس دراسة المثلين في قوله تعالى : ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾[2].

المطلب الأول : دلالة السياق الذي ورد فيه المثلان :

قال "ابن عاشور" – رحمه الله – حيث قال : " معظم ما اشتملت عليه السورة ،إكثار متنوع الأدلة على تفرد الله تعالى بالإلهية ، والأدلة على فساد دين الشرك وإظهار شناعته ، وأدلة إثبات رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وإنزال القرآن عليه – صلى الله عليه وسلم – وإن شريعة الإسلام قائمة على أصول ملة إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – وإثبات البعث والجزاء فابتدأن بالإنذار بأنه قد اقترب حلول ما أنذر به المشركون من عذاب الله الذي يستهزؤون به ، وتلا ذلك قرع المشركين وزجرهم على تصلبهم في شركهم وتكذيبهم .

وانتقل إلى الاستدلال على إبطال عقيدة الشرك ، فابتدئ بالتذكير بخلق السماوات والأرض وما في السماء من شمس وقمر ونجوم ، وما في الأرض من ناس وحيوان ونبات وبحار وجبال وأعراض الليل والنهار ، وما في أطوار الإنسان وأحواله من العبر .....

١-التفسير التربوي للقرآن الكريم (٢/ ١٣٦) .

٢-سورة النحل الآيتين : ٧٥، ٧٦.

والاستدلال على إمكان البعث وأنه تكوين كتكوين الموجودات .

والتحذير مما حل بالأمم التي أشركت بالله وكذبت رسله – عليهم السلام – عذاب الدنيا وما ينتظرهم من عذاب الآخرة ، وقابل ذلك بضده من نعيم المتقين المصدقين والصابرين على أذى المشركين والذين هاجروا في الله وظلموا "[1].

وهذا الذي ذكره "ابن عاشور" – رحمه الله – يحدد أبرز قضية للسورة ، وهي تركيزها على تقرير توحيد الإلوهية ، والتحذير من الشرك ، وقد اشتملت السورة على عدد من أظهر الآيات دلالة على هذا المعنى ، منها قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾[2]وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[3]وقوله تعالى :﴿ ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾[4]وغيرها من الآيات وسأقف مع آيتين وردتا في أثناء السورة ، تسهمان إسهاماً مباشراً في فهم القضية التي ضرب المثلان لإبرازها ، هاتان الآيتان هما :

١-التحرير والتنوير (١٤/ ٩٤، ٩٥) .

٢-سورة النحل الآيات من ١٧: ٢٢ .

٣-سورة النحل الآيتين من ٣٥: ٣٦.

٤-سورة النحل الآية : ٥١ .

١-قوله تعالى :﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾[1]. فمثل السوء " هو القبيح من المثل ؛ وما يسوء من ضرب له ذلك المثل "[2]. ، وأما المثل الأعلى فهو أفضل تفضيل : أي أعلى من غيره وأكمل .

قال "ابن القيم " – رحمه الله – : " أنه سبحانه وصف نفسه بأن له المثل الأعلى فقال تعالى :

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾فجعل مثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال للمشركين وأربابهم ، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده ... فمثل السوء لعادم صفات الكمال ، ولهذا جعله مثل الجاحدين لتوحيده وكلامه وحكمته ، لأنهم فقدوا الصفات التي من اتصف بها كان كاملاً وهي الإيمان والعلم والمعرفة واليقين ، والعبادة لله والتوكل عليه والإنابة إليه والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، والصبر والرضا والشكر وغير ذلك من الصفات عنهم وهي صفات كمال صار لهم مثل السوء . فمن سلب صفات الكمال عن الله وعلوه على خلقه وكلامه وعلمه وقدرته ومشيئته وحياته وسائر ما وصف به نفسه ، فقد جعل له مثل السوء ، ونزهة عن المثل الأعلى وهو الكمال المطلق ، المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية ، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل ، كان أعلى من غيره ، ولما كان الرب تعالى هو الأعلى ووجهة الأعلى وكلامه الأعلى وسمعه الأعلى وبصره وسائر صفاته عليا كان له المثل الأعلى ، وكان أحق به من كل ما سواه ، بل يستحل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان ، لأنهما إن تكافأ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر ، وإن لم يتكافأ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده ، ويستحيل أن يكون لمن له

١-سورة النحل الآية : ٦٠.

٢-تفسير الطبري (١٤/ ١٢٥) .

المثل الأعلى مثل أو نظير "[1].

٢-قوله تعالى :﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[2].والنهي عن ضرب الأمثال لله تعالى يشمل أمرين :" الأول : النهي عن اتخاذ الشركاء والأنداد ، في الذات أو الصفات ، أو الألوهية أو الربوبية ونحو ذلك مما تفرد به سبحانه . والثاني : النهي عن ضرب الأمثال القولية الفاسدة له سبحانه والأمر الأول النهي عن الشرك واتخاذ الأنداد واعتقاد مماثلة أحد من الخلق له سبحانه هو المعنى أصلاً بالنهي عن ضرب الأمثال لله تعالى ، وذلك أن أساس الرسالة قائم على الدعوة إلى توحيد الله ، والتحذير من الشرك ومحاربته ووسائله ، أما الأمثال القولية الفاسدة التي يضر بها الجاهلون لله ، فإنها داخلة في النهي تبعاً ، لأنها من وسائل الشرك وأسبابه ، فالنهي إذا يشمل الأمرين ، إلا أنه في اتخاذ الأمثال من الشركاء والأنداد أصلاً ، وفي ضرب الأمثال القولية تبعاً .." [3].

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم :

قال الشيخ " مصطفى العدوي "- حفظه الله – في معنى قوله تعالى : ﴿ ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾لأهل العلم قولان في المثل المضروب ، ضُرب لمن

أحدهما : ضرب للكافر والمؤمن فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء المراد به : الكافر لا يعمل بطاعة الله و لا يأتي منه خير. و المرزوق رزقاً حسناً هو المؤمن موفق للطاعة موفق للإحسان والبر مبارك أيضاً كان وأينما حل ونزل فالكافر كالعبد المملوك الذي لا يقدر على فعل شيء نافع وأما المؤمن فهو كالذي آتاه الله مالاً حلالاً طيباً ينفق منه سراً وجهراً ، فهو نفاعُ أينما

١-الصواعق المرسلة (٣ / ١٠٣٠ : ١٠٣٢)

٢-النحل آية : ٧٤.

٣-الجربوع ، إبراهيم بن عبد الله ، الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد وما يضاده من الشرك صـــــــ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

كان .

الثاني : أنه مثل مضروب للوثن الذي لا يملك ضراً و لا نفعاً و لا يعي و لا يعقل و لا يملك دفع ضر عن نفسه و لا لغيره و لا جلب خير لنفسه و لا لغيره الآخر لله – عز وجل – الذي يفعل ما يريد ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء ويدفع الضر عمن يشاء ويجلب الخير لمن يشاء هل يستوي الخلاق العليم الرزاق الكريم العزيز الحكيم مع صنم مخلوق جماد لا يعي و لا ينطق و لا يتكلم و لا يمنع نفسه ممن يريده بسوء أو مكروه " [1].

قال" الطبري " – رحمه الله – يقول تعالى ذكره : وشبه لكم شبها أيها الناس للكافر من عبيده ، والمؤمن به منهم فأما مثل الكافر : فإنه لا يعمل بطاعة الله ، ويأتي خيراً ، ولا ينفق من شيء في سبيل الله ماله لقلبه خذلان الله عليه ، كالعبد المملوك ، الذي لا يقدر على شيء فينفقه وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعة الله ، وينفق في سبيله ماله كالحر الذي آتاه الله مالا فهو ينفق منه سراً وجهراً ، يقول : بعلم من الناس وغير علم (هل يستون) يقول هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئاً و لا يقدر عليه ، وهذا الحر الذي قدر رزقه الله رزقاً حسناً فهو ينفق كما وصف فكذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله المخالف أمره . والمؤمن العامل بطاعته " [2].

وقال "القرطبي "– رحمه الله – : قوله تعالى :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾نبه تعالى على ضلالة المشركين ، وهو منتظم بما قبله من ذكر نعم الله عليهم وعدم مثل ذلك من آلهتهم : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾أي : بين شبهاً ثم ذكر ذلك فقال :﴿ عَبْدًا مَّمْلُوكًا ﴾أي : كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حر قد رزق رزقاً حسناً فكذلك أنا وهذه لا يقدر على شيء من المال و لا من أمر نفسه ، وإنما هو سخر بإرادة سيده ، و لا يلزم من الآية أن العبيد كلهم بهذه الصفة ، فإن النكرة في الإثبات لا تقتضي الشمول عند أهل اللسان كما تقدم ، وإنما تفيد واحداً ، فإذا

١–العدوي ، أبي عبد الله مصطفى ، التسهيل لتأويل التنزيل تفسير النحل – الإسراء في سؤال وجواب ، مكتبة مكة ، ط ١ ، ١٤٣٢ه

٢–تفسير الطبري (١٤ / ٣٠٧).

كانت بعد أمر أو نهي أو مضافة إلى مصدر كانت للعموم الشيوعي ، كقوله ؛ أعتق رجلاً و لا تمن رجلاً ، والمصدر كإعتاق رقبة ، فأي رجل أعتق فقد خرج عن عهدة الخطاب ، ويصح منه الاستثناء .وقال قتادة:هو الكافر لأنه لا ينتفع في الآخرة بشيء من عبادته، وإلى أن معنى ﴿ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ﴾المؤمن والأول عليه الجمهور من أهل العلم والتأويل قال الأصم : المراد بالعبد المملوك الذي ربما يكون أشد من مولاه أسراً وأنضر وجهاً ، وهو لسيده ذليل لا يقدر إلا على ما أذن له فيه ، فقال الله تعالى ضرباً للمثال . أي فإذا كان هذا شأنكم وشأن عبيدكم فكيف جعلتم أحجاراً وأمواتاً شركاء لله تعالى في خلقه وعبادته ،وهي لا تعقل ولا تسمع "[1].

وقال "السعدي " – رحمه الله – : " أحدهما : عبد مملوك ، أي : رقيق لا يملك نفسه و لا يملك من المال والنساء شيئاً ، والثاني : حر غني قد رزقه الله منه رزقاً حسناً من جميع أصناف المال ، وهو كريم محب للإحسان ، فهو ينفق منه سراً وجهراً ؛ هل يستوى هذا وذاك ؟! لا يستويان ؛ مع أنهما مخلوقان ، غير محال استواؤهما ؛ فإذا كان لا يستويان ؛ فكيف يستوي المخلوق العبد الذي ليس له ملك و لا قدرة و لا استطاعة ، بل هو فقير من جميع الوجوه ، بالرب الخالق المالك لجميع الممالك ، القادر على كل شيء ؟! ولهذا حمد نفسه واختص بالحمد بأنواعه فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾فكأنه قيل : إذا كان الأمر كذلك ؛ فلم سوى المشركون آلهتهم بالله ؟! قال ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾: فلو علموا حقيقة العلم ؛ لم يتجرؤوا على الشرك العظيم "[2].

قال "الطبري "– رحمه الله – : في قوله تعالى :﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تعبد من دونه فقال تعالى ذكره

١-تفسير القرطبي (١٢/ ٣٨٢ ، ٣٨٣).

٢-تفسير السعدي صـــــــــــ٥٠٩ .

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾يعني بذلك الصنم أنه لا يسمع شيئاً ، و لا ينطق ، لأنه إما خشب منحوت ، وإما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه ، و لا دفع ضر عنه وهو كل على مولاه ، يقول : وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته ، فكذلك الصنم كل على من يعبده ، يحتاج أن يحمله ، ويصفه ويخدمه ، كالأبكم من الناس الذي لا يقدر على شيء ، فهو كل على أوليائه من بني أعمامه وغيرهم ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ يقول : حيثما يوجه لا يأت بخير ، لأنه لا يفهم عنه ، فكذلك الصنم ، لا يعقل ما يقال له ، فيأتمر لأمر من أمره ، و لا ينطق فيأمر وينهي ، يقول الله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ يعني : هل يستوي هذا الأبكم الكل على مولاه الذي لا يأتي بخير حيث توجه ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحق ويدعو إليه وهو الله الواحد القهار ، الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته ، يقول : لا يستوي هو تعالى ذكره ، والصنم الذي صفته ما وصف وقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾يقول : وهو مع أمره بالعدل ، على طريق من الحق في دعائه إلى العدل ، وأمره به مستقيم ، لا يعوج عن الحق و لا يزول عنه .وقد اختلف أهل التأويل في المضروب له هذا المثل ، فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه "[1]. وقال "السعدي "- رحمه الله - : " والمثل الثاني : مثل ﴿ رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ ﴾: لايسمع و لاينطق،و﴿ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾: لاقليل و لا كثير ،﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾؛ أي: يخدمه مولاه و لا يستطيع هو أن يخدم نفسه؛ فهو ناقص من كل وجه فهل يستوي هذا ومن كان ﴿ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾؟ فأقواله عدل وأفعاله مستقيمة ؛ فكما أنهما لا يستويان ؛ فلا يستوي من عبد من دون الله وهو لا يقدر على شيء من مصالحه ؛ فلو لا قيام الله بها ؛ لم يستطع شيئاً منها ، لا

١-تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٩ ، ٣١٠).

يكون كفواً و لا نداً لمن لا يقول إلا الحق و لا يفعل إلا ما يحمد عليه "[1].

المطلب الثالث : بيان نوع المثلين والغرض الذي ضربا من أجله :

بيان نوع المثلين :

هذان المثلان من الأمثال الأنموذجية ، حيث جعلت نتيجة المقارنة بين – العبد المملوك والحر القادر وبين الأبكم الذي لا يأتي بخير ومن يأمر بالعدل – " أنموذجاً منصوباً أمام عقل السامع ليقيس عليه ما يناسبه ويعتبر به "[2].

وهذا النوع من الأمثال لا يتضمن تشبيهاً من حيث الأسلوب ، ولكنه يعطي حكماً عاماً يندرج تحته كل أفراده ، وهو ما يسمى بقياس الشمول "[3]. فالقياس في هذا المثل كالآتي : كل حر قادر فهو أكمل من كل عبد مملوك ، وكل متكلم آمر بالعدل فهو أفضل من كل أبكم لا خير فيه . وبعد أن نثبت هذه القاعدة الكلية ننتقل بعدها إلى نوع آخر من القياس وهو قياس الأول ،" فإن الرب تعالى لا مثيل له ، و لا يجتمع هو و غيره تحت كل من تستوي أفراده " [4].فيجري القياس في هذا المثل على هذا الأساس ، فيقال : إذا تقرر أن الحر القادر لا يصح أن يساوي بالمملوك العاجز في الحكم و لا في الحق ، فإن الله هو المالك حقيقة ، الذي كمل ملكه وسؤدده ، والقادر الذي لا يعجزه شيء ، فلا يجوز تسويته بغيره من المعبودات المخلوقة العاجزة في الحق و لا في الحكم من باب أولى ، لأن له الكمال المطلق ، ولأنه واهب الكمال فهو أولى به . فهذان المثلان من الأمثال القائمة على قياس الأولى الشمولي "[5].

١-تفسير السعدي صـــــــــــ٥٠٩ ، ٥١٠.

٢-الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (٣ / ١٠٤٩).

٣-المصدر السابق (١/ ٨٤) .

٤-مجموع الفتاوى (٩ / ١٤١) .

٥-الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (٣/ ١٠٥٠).

ثانياً : الغرض الذي ضربا من أجله المثلين هو الإقناع بفكرة من الأفكار :

والإقناع بفكرة من الأفكار قد يصل إلى مستوى الحُجة البرهانية ، وقد يقتصر على مستوى الحجة الخطابية ، وقد يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة . والحجة البرهانية هي الحجة الملزمة التي تفيد اليقين .أما الحجة الخطابية فهي حُجة إقناعية ظنية تفيد الظن الراجح ، ولفت النظر يكفي فيه إيراد المثل المشابه ولو لم يشتمل على آية حجة "[1].

يقول "الميداني" – رحمه الله – : " أنهم في واقعهم الإنساني يرفضون التسوية بين عبد مملوك لا يقدر على شيء ، فلا هو يعطي و لا هو يمنع ، وبين حر مرزوق ذي جُود وكرم ينفق من ماله سراً وجهراً فكيف يرفضون مثل هذه التسوية في واقعهم الإنساني ، ثم يعتقدون ما هو أقبح منها ، إذ يسوون بين الله وخلقه ، فيجعلون لله من عباده أو من جوامدِخلقه كالشجر والحجر شركاء ؟! وهذا ما تضمنه قول الله تعالى:﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾"[2].

ويقول "الميداني "– رحمه الله – :" أنهم في واقعهم الإنساني أيضاً يرفضون التسوية بين إنسان أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، وبين عاقل حصيف فصيح اللسان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم . فكيف يرفضون مثل هذه التسوية في واقعهم الإنسان ثم يعتقدون ما هو أقبح منها ، إذ يسوون بين الله العليم الحكيم القدير الذي بيده مقاليد السماوات والأرض وبين بعض خلقه الذين لا يملكون لأنفسهم و لا لغيرهم شيئاً فيجعلون لله من خلقه شركاء في ألوهيته أو في ربوبيته ؟! هذه الأمثال اكتفت بحجتها الخطابية في عرضها الإقناعي ، لاستثارة المشاعر النفسية لدى المخاطبين ، مع إمكان تقديم الحجة بطريقة برهانية ، كما جاء في نصوص قرآنية كثيرة أخرى "[3].

١-الميداني ، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع صـــــــــــــ٦٦ .

٢-المصدر السابق صـــــــــــــ٧٤ .

٣-المصدر السابق صـــــــــــــ٧٤ ، ٧٥ .

المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثلين :

أولاً :الإطناب في قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾، وفي قوله :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا ﴾، وقوله :﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ ﴾.

ثانياً :الاستعارة التمثيلية في قوله : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ ﴾فالآية تمثيل للصنم بالأبكم الذي لا ينتفع منه بشيء أصلاً مع القادر السميع البصير ، فشتان ما بين الرب والصنم .

وأيضاً منها : الطباق بين ﴿ سِرّٗا وَجَهۡرٗا ﴾.

ثالثاً : الإتيان بضمير الجمع في قوله ﴿ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَ ﴾نظراً إلى تعدد أفراد كل فريق ، لأن مقتضى السياق أن يقال : هل يستويان بضمير التثنية "[1].

رابعاً:تؤكد الآيات على وحدة الألوهية الواحدة التي لا تتعدد ،يبدأ فيقرر وحدة الإله ، ووحدة المالك ، ووحدة المنع في الآيات الثلاث الأولى متواليات ، تأكيداً لما سبق في الآيات المتقدمة وهي دلائل الألوهية لا سواها : فالله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها فالذي يحول الموت إلى حياة والذي يسقي الناس لبناً سائغاً يخرج من بطون الأنعام من بين فرث ودم . ببديع صنع الله العجيب ، فالله الذي خلق هذه الأشياء كلها هو الذي يستحق أن يكون إلهاً " [2].

خامساً : قال " سيد قطب " – رحمه الله – " وإنه لعجيب أن تنحرف الفطرة إلى هذا الحد ، فيتجه الناس بالعبادة إلى ما لا يملك لهم رزقاً وما هو بقادر في يوم من الأيام ، و لا في حال من الأحوال ، ويدعون الله الخالق الرازق ، وآلاؤه بين أيديهم لا يملكون إنكارها،ثم يجعلون لله الأشياء والأمثال " [3].

١-تفسير حدائق الروح والريحان (١٥ / ٣٢٨) .

٢-التفسير الموضوعي لسور القرآن (٤ / ١٧٠).

٣-الظلال ، سيد قطب (٤/ ٢١٨٣) .

سادساً: وفي التفسير التربوي للقرآن الكريم " ولما كان هذان المثلان قد ذكرا من باب تقريب المعاني إلى الأذهان وقد يترتب عليه في الأذهان الكليلة تصور لا يليق بالعظمة ، أتبع الله بآية تتحدث عن عظمة الله بما يخلع القلوب ، فيخبر تعالى عن كماله وقدرته على الأشياء ، في علمه غيب السموات والأرض ، واختصاصه بذلك فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه تعالى على ما يشاء "[1].

سابعاً: ومن الفوائد التربوية في هذا المثل إقامة الحجة العقلية على بطلان الشرك والأمر بالتوحيد لله تعالى ، ولو كان الأمر فقط بالشرع لما كان للأمثال معنى . ولأنه من الأمور التي تعلم بالعقل أن العقول الصحيحة التي لم تغير فطرتها ، و لم تفسد بالعقائد الفاسدة ، تعلم علماً يقيناً حسن التوحيد والخلاص لله ، كما تعلم قبح الشرك ، وهنا تظهر أهمية ضرب الأمثال الواردة في كتابه الكريم يضرب سبحانه مثلاً للكافر المشرك به والمؤمن الموحد له ؛ ليدل على قبح الشرك وشناعته ؛ وحسن الإيمان بالله وفضيلته . ويكون ذلك بالسمع والعقل والفطرة السليمة "[2].

ثامناً: ومن الفوائد التربوية عدم صحة مساواة من لا يقدر على شيء بمن بيده إنفاق ما يشاء ، واتفق مع موضوع المثل الذي يعالج ويبين تفرد الله بالألوهية وإبطال الشرك ، وذلك لنفي استواء الموحد والمشرك "[3].

تاسعاً: ومن الفوائد التربوية "وصف المشركين بعدم العلم ، فلو علموا حقيقة العلم ، وعرفوا الله تعالى حق معرفته لم يتجرؤوا على الشرك .قال تعالى :﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾"[4].

عاشراً :"بيان أن أقوال أهل العلم تدور في تفسير هذا المثل على أنه يدل على إلزام المشركين ببطلان التسوية بين الله المتصف بالكمال والغنى والقدرة التامة ، وبين الأصنام ونحوها المتصفة

١-التفسير التربوي (٢/ ٢٠٧).

٢-الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة صـــــــــــــ١٠٧.

٣-المصدر السابق صـــــــــ١٠٨.

٤-المصدر السابق صـــــــــ١٠٨.

بالنقص والعجز ، في الألوهية واستحقاق العبادة "[1].

حادي عشر *:* ومن الفوائد التربوية ما جاء في كتاب الشرك في القديم والحديث "وهذا المثل يبين حالة المشرك بالله الذي يعبد آلهة شتى ، ويطيع الشياطين وهم في أنفسهم متنازعين سيئة أخلاقهم ، وحالة المؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد ، ، فالمشرك كالعبد المملوك لجماعة مختلفين متنازعين سيئة أخلاقهم ، وكل واحد منهم يستخدم هذا العبد لمصلحته ، وأما الموحد فهو كالعبد المملوك لشخص واحد ، فهو مطمئن ومستريح من تشاحن الخلطاء والشركاء عليه ؛ لأن الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون وأخلاقهم سيئة ، كلهم يتلقونه آخذين بطرفه لملكهم له ولأن لكل منهم حقاً عليه ، والموحد يملكه إله واحد ، فلا يستوي هذا ومن جعل في عنقه حقوقاً لآلهة متعددة "[2].

ثاني عشر *:*ومن الفوائد الإيمانية في هذين المثلين ما تضمناه في الرد على نفاة الصفات وذلك ضرب مثلا للأوثان ولذاته المقدسة ، فيمثل الأوثان بالرجل العاجز عن التصرف،وبالأبكم الذي لا يحسن التعبير عن مراده،وفي مقابل ذلك ضرب لنفسه المثل بالذي يتصرف كيفما أراد،ويحسن التحدث بما أراد ، هل يستوي هذا وهذا؟فإذا كانت لا تستوي فالأحق بالعبادة الذي له الكمال المطلق،وأما العاجز الناقص فلا يستحق العبادة قال"ابن القيم" – رحمه الله -:"وقد وصف نفسه سبحانه بضد صفة أربابهم– أي المشركين – وبضد ما وصفه به المعطل والجهمية ،فوصف نفسه بالسمع والبصر والفعل باليدين والمجيء والإتيان وذلك ضد صفات الأصنام التي جعل امتناع هذه الصفات عليها منافياً لألوهيتها ، فتأمل آيات التوحيد والصفات في القرآن على كثرتها وتفننها واتساعها وتنوعها "[3].

ثالث عشر *:*دلالة المثل على صحة ضرب الأمثال لله تعالى إذا كانت جارية على قياس الأولى وقد تقدم معنا في دلالة السياق أن الله سبحانه نهي عن ضرب الأمثال له سبحانه ، ثم ضرب هذين

١-المصدر السابق صـــــــــ١١٢.

٢-زكريا ،أبو بكر محمد ، الشرك في القديم والحديث ، مكتبة الرشد ، الرياض (١/ ١٣٧٣) .

٣-الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك صـــــــــــــ٣٨٦ .

المثلين ، وذلك لبيان ما يجوز أن يضرب له عز وجل من الأمثال وما لا يجوز . قال " الشوكاني " – رحمه الله – : " قوله :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾لما قال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ ﴾أي : بالمعلومات التي من جملتها كيف يضرب الأمثال ، وانتم لا تعلمون ؟ علمهم سبحانه كيف تضرب الأمثال ، فقال :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾،أي : ذكر شيئاً يستدل به على تباين الحال بين جناب الخالق سبحانه ، وبين ما جعلوه شريكاً له من الأصنام "[1].

رابع عشر :دلالة المثلين على أنه لا يجوز إدخال الخالق والمخلوق تحت قياس شمول أو تمثيل تستوي أفراده .هذه الفائدة مستفادة من النهي عن ضرب الأمثال في قوله تعالى:﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ وقد تقدم أن النهي متجه إلى الأمثال التي تتضمن التسوية بينه وبين خلقه، بخلاف الأمثال التي تتضمن إثبات الكمال المطلق له سبحانه وتنزيهه عن النقص،وهي الأمثال المبنية على قياس الأولى "[2].

خامس عشر : ومن الفوائد الإيمانية في المثل الأول :" فيه محاكمة للمشركين بأنهم هم أنفسهم مثل صالح يمكن أن يستفيدوا منه للإقلاع عن عقيدة الشرك بالله . وذلك أنهم إذا كانوا هم أنفسهم لا يقبلون أن يملكوا ويسلطوا عبيدهم وأرقاءهم على أموالهم أو على شطر منها ، حتى يكونوا هم وإياهم سواء في الملكية والتسلط والقدرة على التصرف ، وحتى يكونوا شركاء لهم وهم أرقاؤهم ، فكيف وقع في تصورهم أن الله قد فعل مثل ذلك مع بعض من خلق ، فجعلهم شركاء له ، مع أنهم لا يملكون حُجة منزلة من عند الله على اعتقادهم هذا "[3].

سادس عشر : وفي قوله تعالى :﴿ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَ ﴾ومن الواضح في هذه الحجة أنها لا تقدم برهاناً على نفي الشركاء ، لكنها تقدم إقناعاً خطابياً للمشركين بأن التوحيد أكرم لنفوسهم وأشرف

١-تفسير فتح القدير (٣/ ١٨٠) .

٢-الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك صـــــــــ٣٩٣ .

٣-المصدر السابق صـــــــــ٧٣.

وأعز فهي تثير في نفوسهم عنصر الكرامة . ليستبصروا بالحقيقة وينظروا إلى الأدلة البرهانية التي تثبت لهم أنه لا إله إلا الله "[1].

المبحث السادس :دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾[2].

المطلب الأول : تعلق المثل بما قبله من الآيات ومع بعده من الآيات :

أولاً : تعلق المثل بما قبله من الآيات :

ورد هذا المثل ضمن سياق الآيات التي تتحدث عن الحج ؛ فلما بيَّن سبحانه الخصام بين فريق الإيمان وفريق الكفر في دين الله ، واعتقاد كل فريق صحة ما هو عليه ، وبين ما أعد لكلا الفريقين ، ذكر أنه هدى فريق الإيمان إلى الطبيب من القول ، وهو قول : لا إله إلا الله ، وكل قول فيه ذكر له سبحانه فقال:﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[3]. ثم عاد ليبين سبب استحقاق المشركين لما أعده لهم من العذاب ، وهو كفرهم وصدهم عن المسجد الحرام ، وهذا الأسلوب مع ما تضمنه من بيان تعذيبهم ، فقد تضمن أيضاً التوطئة للحديث عن حق المسلمين في البيت الحرام "[4]، وإنَّ عمارته حسية كانت أو معنوية لا تقتصر على من كان

١-المصدر السابق صـــــــــ٧٦.

٢-سورة الحج آية :٣١.

٣-سورة الحج الآيات ١٩ – ٢٤ .

٤-تفسير التحرير والتنوير (٧ / ٢٣٦) .

مقيماً فيه ، بل يشترك فيها من كان مقيماً فيه وبعيداً عنه قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1]ثم أخذ السياق في بيان أهم الأمور التي يجب أَنْ يتصف بها عُمَّار بيته وذلك بأن وجه خليله إبراهيم عليه وسلم وهو أول من بنى البيت بأن يجتنب الشرك ويبتعد عنه وأن يبني البيت على اسم الله وحده ثم يطهر مكان العبادة من الأوثان حتى يخلص الطواف والعكوف والصلاة لله وحده دون ما سواه قال تعالى :﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[2]. فإذا جنب الشرك ، وطُهِّر البيت من الشرك حينها يؤذن في الناس بالحج ، وفي هذا تقريع للمشركين الذين أشركوا بالله سبحانه في هذه البقعة التي أسست أول ما أسست على التوحيد "[3] ، فإن الله سبحانه لم يأذن بالعبادة عنده ، وعمارته وعبادة الأوثان ، والعرب الذين كانوا يفدون إليه بالحج كانوا على الشرك ، بل كانوا يهلون لله ولغيره من الأوثان في حجهم فإذا أرادوا التلبية قالوا :"لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك "[4].

ثم انتقل السياق إلى مخاطبة كل من يستجيب للنداء ويقصد البيت ، أَنْ يطهروا أنفسهم من الشرك اعتقاداً كان أو قولاً أو فعلاً ، وجعل ذلك من تعظيم حرمات الله ، فقال سبحانه :﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾[5].

ثم بين أعظم وصف يجب أن يتصف به المؤمن عموماً وحاج البيت خصوصاً ، ألا وهو إفراد الله

١-سورة الحج آية : ٢٥.

٢-سورة الحج آية : ٢٦.

٣-تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٦).

٤-انظر صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب التلبية وصفتها ووقتها ، حديث (٢٨٧٢).

٥-سورة الحج آية : ٣٠ .

وحده بالعبادة والكفر بكل ما عبد من دونه فلا يقبل من عامل عملاً بدون التوحيد .

ثانياً:تعلق المثل بما بعده من الآيات :

ضرب الله هذا المثل في سياق الآيات التي تتحدث عن الحج لأن الحجاج يتكبدون المشاق ويعانون المتاعب طلباً لولاية الله ورضوانه ، فنبههم إلى أن الشرك مسقط من ولايته مبعد عنها أعظم الإبعاد ، ولن يستفيد من هذا حاله من حجه إلا التعب والعناء وفي إثناء السياق ذكرت صفات أخرى لابد منها لبلوغ كمال الحج ، فمن هذه الصفات

١-تعظيم حرمات الله وشعائره فالحرمات هي : ما أمر الله باجتنابه وتعظيمها و تركها والبعد عنها ، وشعائر الله أعلام منه الظاهرة ومنها المناسك ، وتعظيمها بأدائها على أكمل الوجوه " [١]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[٢].

١- الإخبات ، "وهو الخضوع لله بالطاعة والعبادة ، والتواضع لعباده المؤمنين "[٣].

وقد وصف الله المخبتين بعدة أوصاف تناسب ما قدموا من أجله وهو الحج ، فقال تعالى ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٤].ثم رجع السياق إلى التأكيد على قضية التوحيد ، حيث بيَّن سبحانه أنَّ الهدايا التي تذبح في مكة والمشاعر إنَّما شُرِع ذبحها لتوحيد الله وتعظيمه ، ولن يُرفع إلى الله منها شيء فقال :﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٥].فلم يشرعها سبحانه لينال منها فهو غنيٌ عنها وعن

١-تفسير الطبري (١٧ / ١٥٣) .

٢-سورة الحج آية :٣٢ .

٣-تفسير الطبري (١٧ / ١٦١) .

٤-سورة الحج الآيتان : ٣٤- ٣٥.

٥-سورة الحج آية : ٣٧ .

عباده جميعاً ، والعباد محتاجون إليه وله المنة وحده أن سخرها لهم ، وإنما شرع هذه المناسك حتى يؤدوا شكره على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، ويوحدوه بالتعظيم والتقرب ، فمن تقرب إليه وإلى غيره من الأوثان لم يحقق الغاية التي من أجلها شرعت هذه المناسك ، فلا ينفعه ما قدم من المناسك مهما كان تعظيماً ، لعدم اقترانه بشرط ذلك وهو التوحيد في التقرب بالنُسك ..

وبهذا تتبين القضية التي يدور حولها السياق ، وجاء المثل ليساهم في إبراز معالمها وهي : أن أساس صحة الإسلام وقبول الأعمال ، والدخول في ولاية الله ، والفوز بالجنة والنجاة من النار ، إنما يحصل بإفراد الله بالتوحيد في سائر الأعمال ، والكفر بما يُعبد من دونه ، وأَنَّ الشرك به سبحانه مُحبط للعمل مُخيب للأمل ، مبعد عن رضوان الله وولايته وجنته "[1].

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم :

في قوله تعالى :﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ ﴾أي : مائلين عن الشرك والكفر إلى التوحيد مخلصين في ذلك لله عز وجل ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾في عبادته أحداً سواه غير متخذين إلهاً معه ثم ضرب مثلاً للمشرك بالله وعقابه ، فقال تعالى :﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾يعبد معه غيره ويزعم أنه الله معه إله آخر ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾سقط من السماء وقبل وصوله إلى الأرض تخطفه النسور والصقور والجوارح هوت به الريح إلى مكان عميق جداً في الأرض .

قال "الطبري" :"يقول تعالى ذكره : اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان ، وقول الشرك ، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له ، وإفراده بالطاعة والعبادة له خالصاً دون الأوثان والأصنام ، غير مشركين به شيئاً من دونه ، فإنَّه من يُشرك بالله شيئاً من دونه ، فمثله في بعده من الهدي وإصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه ، مثل من خر من السماء فتخطفه الطير فهلك ، أو هوت به الريح في مكان سحيق ، يعني من بعيد ، من قولهم : أبعده الله وأسحقه ، وفيه لغتان : أسحقته الريح

١-الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة و مايضاده من الشرك صـــــــــــــــــــــــــــــــ٢٣٠ ، ٢٣١ بتصريف .

وسحقته ، ومنه قيل للنخلة الطويلة : نخلة سحوق ، ومنه قول الشاعر :

كانت لنا جارةٌ فأزعجها قاذورة تسحقُ النوى قُدُمَا[1]

ويُروى : تسحق : يقول فهكذا مثل المشرك بالله في بعده من ربه ومن إصابة الحق ، كبُعد هذا الوقع من السماء إلى الأرض ،أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء ، وقيل:﴿ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾

وقد قيل قبله :﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾وخرَّ فعل ماض ، وتخطفه مستقبل ، فعطف بالمستقبل على الماضي "[2].

وقال " القرطبي" –رحمه الله –:" قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾أي : هو يوم القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عن نفسه ضراً ولا عذاباً ، فهو بمنزلة من خر من السماء ، فهو لا يقدر أن يدفع عن نفسه . ومعنى ،﴿ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾أي : تقطعه بمخالبها وقيل : هذا عند خروج روحه وصعود الملائكة بها إلى سماء الدنيا ؛ فلا يفتح لها فيرمى بها إلى الأرض ، كما في حديث البراء وقد ذكرناه في التذكرة. والسحيق : البعيد ؛ ومنه قوله تعالى :﴿ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[3]وقوله عليه الصلاة والسلام :" فسحقاً سحقاً"[4].

قال "ابن كثير" –رحمه الله – : " وقوله:﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ ﴾أي مخلصين له الدين منحرفين عن الباطل قصداً إلى الحق ، ولهذا قال: ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾ثم ضرب للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فقال: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾أي سقط منها﴿ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾أي تقطعه الطيور في الهواء ﴿ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾أي بعيد مهلك لمن هوى فيه ، ولهذا

١-ذكره الطبري ولم ينسبه (١٦ / ٥٣٨) .

٢-تفسير الطبري (١٦ / ٥٣٨) .

٣-سورة الملك آية :١١.

٤-تفسير القرطبي (١٤ / ٣٨٧) .

جاء في حديث البراء : أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء، فلا تفتح له أبواب السماء بل تطرح روحه طرحاً من هناك ، ثم قرأ هذه الآية ؛ وقد تقدم الحديث في سورة إبراهيم بحروفه وألفاظه وطرقه " [1].

قال " السعدي " – رحمه الله –: " أمرهم أن يكونوا ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ ﴾؛ أي :مقبلين عليه وعلى عبادته ، معرضين عما سواه ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾: فمثله ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾؛ أي : سقط منها ، ﴿ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾: بسرعة ، ﴿ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾أي : بعيد .كذلك المشركون ؛ فالإيمان بمنزلة السماء محفوظة مرفوعة ، ومن ترك الإيمان بمنزلة الساقط من السماء عرضة للآفات والبليات ؛ فإما أَنْ تخطفه الطير فتقطعه أعضاءً ، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان ؛ تخطفته الشياطين من كل جانب ، ومزقوه ، وأذهبوا عليه دينه ودُنياه "[2].قال الشيخ " ابن عثيمين " – رحمه الله – : ومن ترك الإيمان ، بمنزلة الساقط من السماء ، عرضة للآفات والبليات ، فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء ، كذلك المشرك إذاً ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب ومزقوه ، وأذهبوا عليه دينه ودنياه "[3].

المطلب الثالث : بيان نوع المثل والغرض الذي ضرب له :

أولاً : بيان نوع المثل :هذا النوع من الأمثال التشبيهية والتي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي وهو يقوم على تشبيه غير مدرك بالحس بما هو مدرك بالحس وهو حال المشرك بالله تعالى ، بحال الساقط من السماء حين تتخطفه الطيور ، أو حال الذي تلقي به الريح من مكان بعيد . وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة . قال في الكشاف :"يجوز أن يكون هذا التشبيه من المركب والمفرق بأن صُور حال المشرك بصورة حال من خر السماء فاختطفته الطير

١-تفسير ابن كثير (٣/٣٥١).

٢-تفسير السعدي طبعة دار ابن الجوزي صـــــــــ٦٢٥ .

٣-تفسير ابن عثيمين (٥/ ٥٧٨).

فتفرق مِزعاً في حواصلها ، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة ، وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء ، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء ، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة "[1].

يقول " ابن القيم " – رحمه الله – " ويجوز لك في هذا التشبيه أمران :

أحدهما : أن تجعله تشبيهاً مركباً ويكون قد شبه من أشرك بالله وعبد معه غيره برجل قد تسبب إلى هلاك لا يرجي معه نجاة .

فصور حالة بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير في الهواء فتفرق مِزعاً في حواصلها ، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة . وعلى هذا لا تنظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابلة من المشبه به .

الثاني : أن يكون من التشبيه المفرق ، فيقابل كل واحد من أجزاء المثل بالمثل به وعلى هذا فيكون قد شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه .فمنها هبط إلى الأرض وإليها يصعد منها وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين ، من حيث التضيق الشديد والآلام المتراكمة .والطير التي تتخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها سبحانه وتعالى عليه تؤزه أزًّا وتزعجه وتدفعه إلى مظان هلاكه .فكل شيطان له مزعه من دينه وقلبه ، كما أن لكل طير مِزعه من لحه وأعضائه والريح التي تهوى به في مكان سحيق : هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء "[2].

الغرض الذي من أجله ضرب المثل :-

الغرض من هذا المثل لتقريب المعنى للمخاطب :كلُّ الأمثال القرآنية عبارة عن تبسيط ما هو معقد بتقديمه بشكل ملموس ومحسوس للمخاطبين وهذا الغرض التربوي هو أهم الأغراض التربوية على الإطلاق في القرآن لكونه يستغرق كل الأمثال القرآنية وهذا المثل تبرز فيه صورة المعقول في صورة

١-تفسير التحرير والتنوير (١٧ / ٢٥٤) .

٢-التفسير القيم صـــــــــــــــ٣٦٧ .

المحسوس الذي يلمسه الناس ، فيتقبله العقل لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة للفهم "[1].

وفي هذا المثل فالشرك بالله أمر معنوي ، والمشرك عندما يقترف شركه يسقط من المرتبة العالية التي وضعها الله للمؤمنين ، فيعيش هذا المشرك في اضطراب وقلق وعدم طمأنينة ، فيمثل الله لهذه الحالة بمن يخر من السماء فتخطفه الطير ، وهو تصوير لحالة التمزق النفسي الذي يعتري المشرك ، فهو تقريب لصورة الحالة النفسية للمشرك ، الذي هو أشبه بمن يقع من السماء فتخطفه الطير أو تهوى الريح به في مكان سحيق ، وهي كناية على أن المؤمن يرفعه إلى المكانة العالية في الجنة يدل قعر جهنم السحيق المعد للكافرين "[2].

المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً :من الفوائد البلاغية كلمة ﴿ حُنَفَآءَ ﴾، جمع حنيف صفة مشبهة من حنف يحنف باب ضرب أي مال إلى دين الإسلام ، وزنه فعيل ووزن حنفاء فُعَلاء بضم ففتح "[3].

*ثانياً:من الفوائد البلاغية أن*التشبيه المركب : في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾فكأنه سبحانه قال : من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده ، بأن صور حاله بصورة حال من خرَّ من السماء ، فاختطفته الطير ، فتفرق قطعاً في حواصلها ، أو عصفت به الريح ، حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة "[4].

*ثالثاً :*قال الهراري – رحمه الله – :" شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء ؛ لأنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسفعه الريح فهو هالك لا محالة ؛ إما باستلاب الطير لحمه ، أو

١-القطان ، مناع ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف للنشر بالرياض ط ٣ لعام ١٤٢١ هـ صـــــــ٢٩٧.

٢-المدلولات التربوية للأمثال القرآنية صـــــــــــــ٥١ .

٣-الجدول في إعراب القرآن (٩ / ١١١).

٤-الجدول في إعراب القرآن (٩ / ١١١ ،١١٢).

بسقوطه في المكان السحيق "[1].

رابعاً : من الفوائد البلاغية التأكيد في قوله: ﴿ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾فإنه تأكيد لقوله :﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ ﴾.

خامساً :قال "الهراري " – رحمه الله – : " التشبيه المركب والتمثيلي في قوله :﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ، وبيان ذلك ، أنَّه انقسمت فيه حال الكافر إلى قسمين لا مزيد عليهما :

الأول : منهم المتذبذب الشاك المتمادي على الشك ، وعدم التصميم على ضلالة واحدة ، فهذا القسم من المشركين شبه بمن اختطفه الطير ، وتوزعه ، فلا يستولى طائر على مِزعة منه ، إلا انتهيا منه آخر ، وذلك حال المذبذب ، لا يلوح له خيال إلا أتبعه ، ونزل عما كان عليه .

الثاني : مشرك مصمم على معتقد باطل ، لو نشر بالمناشير لم يتراجع عن تصميمه ، لا سبيل إلى تشكيكه ، و لا مطمع في نقله عما هو عليه ، فهو فرح مبتهج لضلالته ، فهذا مشبه في إقراره على كفرة باستقرار من هوت به الريح إلى واد سحيق سافل فاستقر فيه ، ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق ، الذي هو أبعد ما يكون من السماء "[2].

*سادساً:*ومن الفوائد التربوية دلالة المثل على أن من أسباب الضلال إتباع الشبهات ، وتظهر من قوله تعالى :﴿ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾.

*سابعاً :*ومن الفوائد الإيمانية : لهذا المثل دلالة المثل على معنى الحنيفية والحنيف هي الميل عن عبادة ما سوى الله إلى عبادته ، كما قال تعالى في الآية التي ضرب فيها هذا المثل ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾قال شيخ الإسلام – رحمه الله – :" فالدين الحنيف هو الإقبال على الله وحده ، والإعراض

١-تفسير حدائق الروح والريحان (١٨ / ٣١٦) .

٢-تفسير حدائق الروح والريحان (١٨ / ٣٤٥ ، ٣٤٦) .

عما سواه ، وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحق والكلمة الطيبة لا إله الله "[1].

ثامناً: ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على أن الشرك سبب الخذلان الأعظم فإذا كان التوحيد سبباً لاستحقاق ولاية الله ، فإن الشرك سبب لخذلان العبد وسقوطه من تلك الولاية ، والخذلان : ترك الإعانة والنصرة فإذا أشرك العبد بربه تخلى عنه وخذله ووكله إلى من أشرك به قال تعالى :﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾[2].

تاسعاً :من الفوائد الإيمانية دلالة المثل على أن التوحيد أساس تحصيل ولاية الله قال الشيخ" عبد الرحمن السعدي" – رحمه الله – :" فولاية الله تدرك بالإيمان والتقوى ، فكل من كل مؤمناً تقياً كان لله ولياً ، ومن كان لله ولياً فهو ولي لرسوله ، ومن تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولى من تولاه وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهراً أو باطناً ، واخلصوا للمعبود بإقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها ، وأحسنوا للخلق وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم" [3].

عاشرا: قال " سيد قطب " : " يرسم النص مشهداً عنيفاً يصور حال من تزل قدماه عن أفق التوحيد، فيهوى إلى درك الشرك ، فإذا هو ضائع ذاهب بدداً كأن لم يكن من قبل أبداً :﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾إنه مشهد الهوى من شاهق "﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾وفي مثل لمح البصر يتمزق ﴿ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾أو تقذف به الريح بعيداً عن الأنظار : "﴿ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾في هوة ليس لها قرار! والملحوظ هو سرعة الحركة مع عنفها وتعاقب خطواتها في اللفظ " بالفاء" وفي المنظر بسرعة الاختفاء ..على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير"[4].

*حادي عشر :*قال " سيد قطب " : " هي صورة صادقة لحال من يشرك بالله ، فيهوي من أفق

١-مجموع الفتاوى (٩ / ٣١٩).

٢-سورة الإسراء آية : ٢٢.

٣-تفسير السعدي صـــــــــــ٢٤٩.

٤-تفسير ا لظلال (٤/ ٢٤٢١) .

الإيمان السامق إلى حيث الفناء والانطواء إذ بفقد القاعدة الثابتة التي يطمئن إليها . قاعدة التوحيد . ويفقد المستقر الآمن الذي يثوب إليه ؛ فتتخطفه الأهواء تخطف الجوارح ، وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح . وهو لايمسك بالعروة الوثقى ، و لا يستقر على القاعدة الثابتة ، التي تربطه بهذا الوجود الذي يعيش فيه "[1].

المبحث السابع : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

المطلب الأول:مناسبة المثل بينه وبين محور السورة وتعلق المثل بما قبله وما بعده من الآيات

أولاً : مناسبة المثل بينه وبين محور السورة:

ورد هذا المثل في آخر سورة الحج ، وقد تعرضت السورة لمسائل التوحيد والبعث ، وهما من المسائل الكبرى التي يعارضها المشركون ، ففي بداية السورة برهن تعالى على إمكان البعث بدليلين قاطعين ، فقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[3].ثم بين سبحانه حال ثلاثة أصناف من الناس :

١-تفسير ا لظلال (٤/ ٢٤٢١ ، ٢٤٢٢).

٢-سورة الحج آية : ٧٣.

٣-سورة الحج الآيات من ٥: ٧.

الأول : من يجادل رسل الله وأتباعهم بالباطل ليدحض به الحق .

والثاني : من هو ضعيف الإيمان ، لم يدخل الإيمان قلبه ، و لم تخالطه بشاشته ، بل دخل فيه ، إما خوفاً وإما عادة على وجه لا يثبت عند المحن ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾أي : إن استمرار رزقه رغداً و لم يحصل له من المكاره شيء ، اطمأنَّ بذلك الخير لا بإيمانه ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾من حصول مكروه ، أو زوال محبوب ﴿ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾أي : أرتد عن دينه "[1].

الثالث : المؤمن حقيقة ، الذي خالطت بشاشة الإيمان قلبه ، وقد بين الله ما يستحقون م النعيم وبعد أَنْ عرض تعالى لهذه الأصناف الثلاثة والتي منها من يعبد غير الله ، بين أن جميع المخلوقات تخضع له وتسجد له ، وإن ترك الخضوع والانقياد خروج عن الفطرة التي فطرت عليها جميع المخلوقات ثم انتقلت السورة للكلام عن الحج وقد تقدم معنا بيان ما اشتملت عليه آيات الحج من هذه السورة من توجيهات ووصايا تؤكد على التوحيد وتحث عليه ثم تطرقت السورة إلى كثير من الحجج والدلائل الدالة على التوحيد ، وذكر الأمم المكذبة للرسل وما حل بهم ثم أنكر عليهم عدم اعتبارهم بما حل بالأمم الغابرة من العذاب والنكال ، وهم يمرون على آثارهم وبعد أن ذكر تعالى طرفاً من دلائل ربوبيته أشار إلى استحقاقه للعبادة دون سواه وفي ختام السورة بين سبحانه أن المشركين لا يعتمدون في عبادتهم على برهان ودليل ، وإنما هي التخرصات والأوهام الباطلة ، ولو كانوا يطلبون الحق لكفاهم حجة لترك ما هم عليه بعض هذه الشواهد التي ذكرها الله في هذه السورة وغيرها ، الدالة على بطلان الشرك ولتأكيد وهاء هذه الأصنام وانعدام الحجة المقنعة المسوغة لعبادتها ضرب الله هذا المثل إمعاناً في تسفيه عقول المشركين ، ومبالغة في التهوين من شأن تلك الآلهة الباطلة .

قال " ابن عاشور " – رحمه الله – :" أعقبت تضاعف الحجج والمواعظ والإنذارات التي اشتملت عليها السورة مما فيه . مقنع للعلم بأنَّ إله الناس واحد ، وأنَّ ما يعبد من دونه ، أُعقبت تلك كلها

١-تفسير السعدي ص ٦٢١ .

بمثل جامع لوصف حال تلك المعبودات وعابديها "[1].

ثانياً: مناسبة المثل لما قبله :

يقول " مصطفى مسلم " – حفظه الله – : "في المقطع السابق ذكر مزيداً من دلائل قدرته سبحانه ؛ فذكر في هذا المقطع موقف الناس من تلك الدلائل بين مؤمن وكافر ، فهو تأكيد للمقاطع السابقة بأنَّ الله سبحانه يفصل بين المكذبين والصادقين فهو أعلم بما فيه يختلفون " [2].

ثالثًا : مناسبة المثل لما بعده :

يقول الدكتور " مصطفى مسلم " – حفظه الله – " بعد أن تكلم عن الإلهيات والنبوات أتبعه بالشرائع والأحكام تؤكد الآيات هذا المقطع على ضرورة إتباع منهج الرسول – صلى الله عليه وسلم – وعدم الخروج عنه ، لأن طاعة غير الله لا فائدة منها ، فغيره لا يستطيع أن يخلق ذباباً ، ولا استرداد ما أخذه الذباب ، لذلك يجب أن يكون التوحيد الخالص لله وحده "[3].

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم :

قال "الطبري" – رحمه الله – في تفسير المثل :"يقول تعالى ذكره : ياأيها الناس جعل لله مثلٌ وذِكرُ. ومعنى ضرب في هذا الموضوع : جُعلَ من قلوبهم : ضرب السلطان على الناس البعث ، بمعنى : جعل عليهم . وضرب الجزية على النصارى ، بمعنى جعل ذلك عليهم ؛ والمثل : الشبه ، يقول جل ثناؤه : جعل لي شبه أيها الناس ، يعني بالشبه والمثل : الآلهية ، يقول جل ثناؤه : جعل لي شبه أيها الناس ، يعني بالشبه والمثل : الآلهة ، يقول جعل لي المشركون والأصنام شبهاً ، فعبدوها معي ، وأشركوها في عبادتي فاستمعوا له يقول : فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه لي في عبادتهم إياه شبها وصفته ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾يقول : إنَّ جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذباباً في صغره وقلته ، لأنها لا تقدر

١-تفسير التحرير والتنوير (١٧ / ٣٣٧).

٢-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٥ /١١٤) .

٣-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٥ / ١١٧) .

على ذلك و لا تطيقه ، ولو اجتمع لخلقه جميعاً والذباب واحد ، وجمعه في القلة أذبة وفي الكثير ذِبَّان ، غُراب يجمع في القلة أَغربة ، وفي الكثرة غِربان .وقوله : ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا ﴾يقول : وإن يسلبهم الآلهة والأوثان الذباب شيئاً مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء ﴿ لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾يقول : لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه . واختلف في معنى وقوله :﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾فقال بعضهم : عني بالطالب . الآلهة ، وبالمطلوب : الذباب . وكان بعضهم يقول : معنى ذلك :

﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ ﴾من بني آدم إلى الصنم خاصة ، ﴿ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾إليه الصنم أن يعطي سائله من بني آدم ما سأله ، يقول : ضعف عن ذلك وعجز . والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه ، وهو الطالب وما أشبهه والمطلوب الذباب "[1].

قال الحافظ "ابن كثير " – رحمه الله – :" يقول تعالى منبهاً على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ ﴾أي : لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به ﴿ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾أي : أنصتوا وتفهموا ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ﴾ أي : لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أَنْ يقدروا على خلق ذباب واحدا ما قدروا على ذلك ثم قال تعالى أيضاً :﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾أي : هم عاجزون عن خلق ذبابٍ واحدٍ ، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه ، لو سلبها شيئاً من الذي عليها من الطيب ، ثم أرادت أن تستنقذه منه ، لما قدرت على ذلك هذا ، والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال : ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ثم قال :﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ أي : ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره ، من هذه

١-تفسير الطبري (١٦ / ٦٣٥)،

التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها ،﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾أي : هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ ﴾[1].﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾[2]﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[3]وقوله :﴿ عَزِيزٌ ﴾أي : قد عزَّ كل شيء فقهره وغلبه ، فلا يمانع و لا يغالب ، لعظمته وسلطانه ، وهو الواحد القهار "[4].

قول " السعدي " – رحمه الله – : " هذا مثل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان وبيان نقصان عقول من عبدها وضعف الجميع ، فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾: هذا خطاب للمؤمنين والكفار ؛ المؤمنون يزدادون علماً وبصيرةً ، والكافرون تقوم عليهم الحجة ﴿ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ ؛ أي : ألقوا إليه أسماعكم ، وأفهموا ما احتوى عليه ، و لا يصادف منكم قلوباً لاهية وأسماعاً معرضةً ، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع ، وهو هذا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: شمل كل ما يدعي من دون الله ، ﴿ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا ﴾: الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها ؛ فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف ؛ فما فوقه من باب أولى ، ﴿ وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ : وهذا غاية ما يصير من العجز ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ ﴾: الذي هو المعبود من دون الله ،

﴿ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾الذي هو الذباب ؛ فكل منهما ضعيف ، وأضعف منهما من يتعلق بهذا الضعيف ويترله مترلة رب العالمين ؛ فهذا ما قدر الله حق قدره ، حيث سوَّى الفقير العاجز من جميع الوجوه بالغني القوي من جميع الوجوه سوى من لا يملك لنفسه و لا لغيره نفعاًو لا ضراً ولا موتاً و لا

١-سورة الروم جزء من آية ٢٧ .

٢-سورة البروج الآيتان : ١٢ ،١٣ .

٣-سورة الذاريات جزء من الآية : ٥٨ .

٤-تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، (٣/ ٣٧٦ ، ٣٧٧). بتصريف .

حياةً و لا نشوراً بمن هو النافع الضار المعطي المانع مالك الملك والمتصرف فيه بجميع أنواع التصرف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾؛ أي : كامل القوة ، كامل العزة ، من كمال قوته وعزته : أن نواصي الخلق بيديه ، وأنه لا يتحرك متحرك و لا يسكن ساكن إلا بإرادته ومشيئته ؛ فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ومن كمال قوته ، أنه يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ومن كمال قوته : أنه يبعث الخلق كلهم ، أولهم وآخرهم بصيحةٍ واحدةٍ ، ومن كمال قوته أنَّه أهلك الجبابرة والأمم العاتية بشيء يسير وسوط من عذابه " [1].

المطلب الثالث : بيان نوع المثل والغرض الذي ضرب له :

أولاً: بيان نوع المثل :

هذا المثل من الأمثال التشبيهية ، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي وهو يقوم على تشبيه أمر من الأمور المعنوية بأمر مشاهد محسوس ، وهو عجز كل ما يعبد من دون الله تعالى ، بحال من سلبه الذباب شيئاً لا يستطيع إرجاعه منه ، و مقايسه هذا بهذا ، وإلحاق أحكام الممثل به بالممثل له وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة "[2].

ثانياً: الغرض الذي ضرب له :

إنَّ الغرض الذي ضرب من أجله المثل هو إقناع المخاطب واستثارة تفكيره . فلاشك إن من الأغراض التربوية للأمثال شحذ الذهن واستثارة كافة العمليات العقلية ومنها التفكير والقياس والتذكير والتخيل والتأمل ... وهذا المثل من الأمثال القرآنية ، التي تتحدى عقول الكفار والملحدين ، بما لله من قوة وقدرة على الخلق ، لا يملكها من دونه من الآلهة الباطلة ، فالذين من دونه من الآلهة أضعف من أنّيقدروا على خلق أضعف المخلوقات في هذا الكون وهو الذباب ، فمن باب أولى هم أعجز عن خلق ما هو أعظم من الذباب كالسموات والأرض والشمس والقمر والكواكب .... وغيرها ، فالله يخاطب عقول الكفار والملحدين ويقيم عليهم الحجة والبرهان،وهو

١-تفسير السعدي صـــــــــــ٦٣٥.

٢-الأمثال المتعلقة بالتوحيد صـــــــــــــ ١٩٦.

مثل يدعوهم إلى التفكير المنطقي الرصين والتدبر في حال ضعفهم وضعف ما يعبدونه من دون الله . في مطلع المثل فائدة أخرى فقد نبه الله الكفار وغيرهم أنه سيضرب لهم المثل ، فدعاهم إلى الاستماع لمثله ،والاستماع أحد أهم الوسائل لإدراك المعرفة حسياً ثم معنوياً ، فكأنَّ الله بدعوته للاستماع يهيئ الجو والمناخ الملائم للتعلم ، حتى يشدُّ الانتباه ويثير الحواس ، التي تعين على تلقى العلم الذي يصبحه الفهم عن الله والتطبيق ، وعلماء الاتصال والتربية يدركون ما للاستماع الفعال ، من أهمية في أدارك الرسائل والانتباه في تلقى المعلومة واستيعابها " [1].

المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل :

أولا: قال" ابن عاشور " –رحمه الله – " والخطاب بـــــ "﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾للمشركين لأنهم المقصود بالرد والزجر وبقرينة قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ ﴾على قراءة الجمهور ﴿ تَدۡعُونَ ﴾بتاء الخطاب فالمراد بـــــــ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾هذا المشركون على ماهو المصطلح الغالب في القرآن . ويجوز أن يكون المراد بـــــــــ ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾جميع الناس من مسلمين ومشركين "[2].

ثانيًا: ومن الفوائد البلاغية في افتتاح السورة بـــــــــ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾وتنهيتها بمثل ذلك شبه برد العجز على الصدر . ومما يزيده حسناً أن يكون العجز جامعاً لما في الصدر وما بعده . حتى يكون كالنتيجة للاستدلال والخلاصة للخطبة والحوصلة للدرس "[3].

ثالثًا: ومن الفوائد التربوية قال " ابن عاشور " : "ذكر الذباب لأنه من أحقر المخلوقات التي فيها الحياة المشاهدة وأما ما في الحديث في المصورين قال الله تعالى " فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة " فهو

١-المدلولات التربوية للأمثال القرآنية صـــــــــ٥٨ ، ٥٩ .

٢-التحرير والتنوير (١٧ / ٣٣٧ ، ٣٣٨) .

٣-التحرير والتنوير (١٧ / ٣٣٨) .

في سياق التعجيز لأن الحبة لا حياة فيها والذرة فيها حياة ضعيفة "[1].

رابعًا :الاستنقاذ مبالغة في الإنقاذ مثل الاستحياء والاستجابة .

خامسًا:ومن الفوائد البلاغية ما ذكره "ابن عاشور ""وجملة ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾تذييل وفذلكة للغرض من التمثيل ، أي ضعف الداعي والمدعو .إشارة إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا ﴾إلخ أي ضعفتم أنتم في دعوتهم آلهة وضعفت الأصنام عن صفات الإله "[2].

سادسًا : ومن الفوائد البلاغية قال " الهرري " – رحمه الله – " لما كان المثل في الأكثر نكته عجيبة غريبة ، جاز أن يسمى كل كلام كان كذلك مثلاً . وقال في " الكشاة " قد سميت الصفة والقصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلاً تشبيهاً لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة " [3].

سابعًا : ومن الفوائد البلاغية والتربوية ما قاله " الشوكاني " : – رحمه الله –" قال الأخفش : ليس ثم مثل ، وإنما المعنى ضربوا لي مثلاً ﴿ فَٱسْتَمِعُواْ ﴾قولهم ، يعني : إنَّ الكفار جعلوا لله مثلاً بعبادتهم غيره ، فكأنَّه قال " جعلوا لي شبهاً في عبادتي فاستمعوا خبر هذا الشبه .....قال النحاس : المعنى : ضرب الله – عز وجل – لما يعبدونه من دونه مثلاً ، قال : وهذا من أحسن ما قيل فيه ،أي بين الله لكم شبهاً ولمعبودكم وأصل المثل : جملة من الكلام متلقاة بالرضا والقبول ، مثيرة في الناس مستغربة عندهم ، وجعلوا مضربها مثلاً لموردها ، ثم قد يستعيرونها للقصة أو الحالة أو الصفة المستغربة ، لكونها مماثلة لها في الغرابة كهذه القصة المذكورة في هذه الآية "[4].

ثامنًا: ومن الفوائد التربوية ما قاله " ابن القيم ": " حقيق على كلِّ عبدٍ أَنْ يستمع قلبه لهذا المثل ،

١–التحرير والتنوير (١٧ / ٣٣٧ ، ٣٣٨) .

٢–التحرير والتنوير (١٧ / ٣٤١).

٣–تفسير حدائق الروح والريحان (١٨ / ٤١٨ ، ٤١٩).

٤–تفسير فتح القدير (٣/ ٤٦٩).

ويتدبره حق تدبره ، فإنَّه يقطع مواد الشرك من قلبه . وذلك أنَّ المعبود أقل درجاته أَنْ يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره ، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب، ولو اجتمعوا كلهم لخلقه ، فكيف بما هو أكبر منه ، بل لا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً محا عليهم من طيب ونحوه ، فيستنقذوه منه ، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ، و لا على الانتصار منه ، واسترجاع ما سلبهم إياه فلا أعجز من هذه الآلهة ، و لا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله ؟"[1].

تاسعاً: ومن الفوائد التربوية ما ذكره "الماوردي " : – رحمه الله – " وخص الذباب لأربعة أمور تخصه : لمهانته وضعفه واستقذاره وكثرته ، وسُمي ذباباً لأنه يُذبُ احتقاراً واستقذاراً " [2].

عاشراً : " ما أثبتته الأبحاث العلمية أيضاً من طبيعة امتصاص الذباب للغذاء ، فالذباب يتميز بطريقة فريدة في امتصاص الغذاء ، فالسوائل تمتص عن طريق الخرطوم (الراشف) ثم تتحلل داخل تجويف الفم و لاتصل إلى الجهاز الهضمي إلا وقد تحللت جميع أجزاءها ، وأما الأغذية الصلبة فإن الذباب يغرز مواد لعابية تذيبها ومن ثم يتم امتصاصها ، فتكون قد تحللت قبل أن تدخل إلى الجوف ، ثم يتم امتصاصها ، فتكون قد تحللت قبل أن تدخل إلى الجوف ، وفي كلا الحالين لا يمكن استلاب ما أخذه الذباب لكونه تحلل قبل الوصول إلى جوفه "[3].

حادي عشر : ومن الفوائد الإيمانية المستفادة من المثل دلالة المثل على ضلال النصارى في تأليه المسيح عليه السلام لكونه يخلق ، وبيان المراد بالخلق المسند إليه عليه السلام فإن الخلق الذي أضيف إلى المسيح عليه السلام كما في آية آل عمران وآية المائدة على مرحلتين :

الأولى : خلق الطين كهيئة الطير ، بمعنى تصويره على صورة الطير ، أنه هذا لا معجزة فيه ، لأن

١–التفسير القيم صـــــــــــــــــــــ٣٦٨ .

٢–الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك صـــــــــــــــ٣٣٠ .

٣–كتاب : مشهد الأحياء المستصغرة في النظر السطي للعثمان (٦٠– ٦٣) ، دار الندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، السعودية ، ١٤١٨هـــ.

عامة الناس يقدرون عليه .

الثاني : أن ينفخ فيه الروح فيصبح طيراً وهذا هو المعجز ، ولكن لا يدل على أن من فعله أصبح خالقاً يستقل بالخلق كالرب تعالى وذلك من وجوه :

١-أَنَّ الله تعالى هو الذي أقدره على ذلك وأذن له ، فلا يقدر على ما فعل ذلك بغير إذن الله .

٢-أَنَّ الله سبحانه أقدره على أن يخلق وينفخ الروح في أشياء خاصة أذن له فيها فلا يتمكن من خلق كل شيء .

٣-أَنَّ الإذن بنفخ الروح في بعض المخلوقات ليس خاصاً بعيسى عليه السلام بل الملك الموكل بالأجنة مكَّنة الله من أَنْ ينفخ فيها الروح كما في حديث ابن مسعود ومما تقدم أن المسيح عليه السلام لا يستقل بالخلق الذي من اتصف به استحق أَنْ يكون إلهاً معبوداً ، وإنَّما أذن له سبحانه بتصوير بعض المخلوقات وأقدره على نفخ الروح فيها ، وهذا من المعجزات التي لعيسى عليه السلام ولكن لا يصح أَنْ يوصف بالقدرة على الاستقلال بالخلق كما تزعم النصارى .

ثان عشر : ومن الفوائد الإيمانية والعقدية دلالة المثل على ضلال المعتزلة في زعمهم أَنَّ العبد يخلق فعل نفسه . قال شيخ الإسلام –رحمه الله –" وأما القدرية من الأمامية والمعتزلة وغيرهم فإذا قالوا : إنه قادر على كل المقدورات لم يريدوا بذلك ما يزيده أهل الإثبات، وإنَّما يريدون بذلك أَنَّه قادرٌ على كل ما هو مقدور له ، وأما نفس أفعال العباد من الملائكة والجن والإنس فإنَّ الله لا يقدر عليها عند القدرية "[1].وقد ضل المعتزلة في قولهم هذا حيث أثبتوا خالقين مع الله تبارك وتعالى وقد رد عليهم المثبتون لعموم خلق الله تعالى للأشياء سواء كانت أفعال العباد أو غيرها ، والآيات والأحاديث الدالة على عموم الخلق تنقض قولهم .

ثالث عشر : ومن الفوائد الإيمانية والعقدية دلالة المثل على استمرار التحدي بالخلق إلى يوم القيامة ، وأن اللجوء إلى الهندسة الوراثية دليل على عجز العاملين في مجال الاستنساخ عن الخلق والحقيقة

١-منهاج السنة (٢/ ٢٩١) .

إنَّ التحدي مازال قائماً ، فليخلقوا ذباباً (الذي هو من أقل المخلوقات في عدد الكروموزمات ، وأقل المخلوقات تعقيداً في مورثاته – كما يقولون –) : وليخلقوا حبة أو شعيرة ، تنبت وتنمو وتتكاثر ! بل فليخلقوا خلية ، أو كروموزوماً واحداً ! إنهم لن يستطيعوا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. وهذا الحقيقة التي قررها القرآن الكريم (تفرد الله بالخلق ، والتحدي على ذلك) ، قيل أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، تأتي العلوم والعاملون بها ليؤكدوا ما دلَّ عليه القرآن ، ويسطروا أَنَّ الإنسان اليوم – وهو في أوج تقدمه العلمي – أبعد ما يكون عن القدرة على الخلق ، ويسجلوا بذلك معجزة علمية لهذا الكتاب العزيز "[1].

رابع عشر : قال " سيد قطب " –رحمه الله – : " ثم يخطو خطوة أوسع في إبراز الضعف المزري :

﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾.. والآلهة المدعاة لا تملك استنقاذ شيء من الذباب حين يسلبها إياه ، سواء كانت أصناماً أو أوثاناً أو أشخاصاً ! وكم من عزيز يسلبه الذباب من الناس فلا يملكون رده . وقد اختير الذباب بالذات وهو ضعيف حقير . وهو في الوقت ذاته يحمل أخطر الأمراض و يسلب أغلى النفائس يسلب العيون والجوارح ، وقد يسلب الحياة والأرواح .. إنه يحمل ميكروب السل والتيفودوالدوسنتاريا والرمد .. ويسلب ما لا سبيل إلى استنقاذه وهو الضعيف الحقير "[2].

خامس عشر : وهذه حقيقة أخرى كذلك يستخدمها الأسلوب القرآني المعجز .. ولو قال : وإنْ تسلبهم السباع شيئاً لا يستنقذوه منها ..... لأوحى ذلك بالقوة بدل الضعف والسباع لا تسلب شيئاً أعظم مما يسلبه الذباب ! ولكنه الأسلوب القرآني العجيب ! ويختتم ذلك المثل المصور الموحي بهذا التعقيب : ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ليقرر ما ألقاه المثل من ظلال ، وما أوحى به إلى

١-الجربوع ، عبد الله ، استنساخ الأجنة من الخلايا الهندسة وراثياً في ضوء العقيدة الإسلامية ، بحث غير منشور ص ٤٦، ٤٨ .

٢-تفسير الظلال (٤/ ٢٤٤٤).

المشاعر والقلوب "[1].

سادس عشر : ومن الفوائد الإيمانية في قوله تعالى :﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ما قدروا الله حق قدره ، وهم يشركون به تلك الآلهة الكليلة العاجزة التي لا تخلق ذباباً ولو تجمعت له بل لا تستنقذ ما يسلبها الذباب إياه ! ما قدروا الله حق قدره ، وهم يرون آثار قدرته ، وبدائع مخلوقاته ، ثم يشركون به من لا يستطيعون خلق الذباب الحقير ! ما قدروا الله حق قدره ، وهم يستعينون بتلك الآلهة العاجزة الكلية عن استنقاذ ما يسلبها إياه الذباب ، ويدعون الله القوى العزيزة إنه تقرير وتقريع في أشد المواقف مناسبة للخشوع والخضوع "[2].

سابع عشر : قال " الميداني " – رحمه الله – : " وقد أعجبني في هذا تنبيه ذكره الدكتور " مصطفى محمود " في بعض أحاديثه " التلفزيونية " استناداً إلى ما توصلت إليه الدراسات العلمية على الذباب ، إذ ذكر أَنَّ الذباب قد انفرد عن سائر الحيوان بأنه يُفرزُ الهواضم على جزئيات طعامه فيهضمه في مكانه قبل أن يمتصه بخرطومه ، فهو لا يمتصه بخرطومه إلا متحولاً مهضوماً ، وبسبب ذلك فإنه متى سلب شيئاً وامتصه فعلاً فقد سلبه متغيراً متحولاً ، تعجز كل وسائل العلماء مهما كانت متقدمة عن استنقاذه منه ، لقد صار مهضوم طعام الذباب ،و لم يعد جزيئة من سكراً ودقيق أو دم أو غير ذلك مثلاً فالآية بهذا شاهد من شواهد الإعجاز العلمي في القرآن " [3].

١-تفسير الظلال (٤/ ٢٤٤٤).

٢-تفسير الظلال (٤/ ٢٤٤٤).

٣-أمثال القرآن ، وصور من أدبه الرفيع صـــــــــــــــ١٩٣ .

المبحث الثامن : دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله من الآيات وما بعده من الآيات :

أولاً : مناسبة المثل لما قبله :

إنَّ الله سبحانه لما أسلف أنَّه أهلك من أشرك به بعاجل العقاب ، وسيعذبه بشديد العذاب ، ولا ينفعه في الدارين معبوده ، و لا يجديه ركوعه وسجوده ،... أردف هذا بتمثيل حال من اتخذ معبوداً دون الله بحال العنكبوت ، وقد اتخذت لها بيتاً لا يريحها إذا هي أوت ، و لا يجيرها من حر وبرد إذا هي ثوت ، ثم زاد الإنكار توكيداً ، فذكر أنَّ ما يدعونه ليس بشيء فكيف يتسنى للعاقل أن يترك القادر الحكيم ويشتغل بعبادة من ليس بشيء ، ثم أردف هذا ببيان فائدة ضرب الأمثال للناس ، فإنه لا يُدرك مغزاها إلا ذوو الألباب الذين يفهمون خبيء الكلام ، وظاهره وسره وعلانيته "[2].

وقال "الطاهر بن عاشور " –رحمه الله – : " لما بُينت لهم الأشباه والأمثال من الأمم التي اتخذت الأصنام من دون الله ، فما أغنت عنهم أصنامهم لما جاءهم عذاب الله ،أعقب ذلك بضرب المثل لحال جميع أولئك وحال من ماثلهم من مشركي قريش ، في اتخاذهم ما يحبونه دافعاً عنهم وهو أضعف من أن يدفع عن نفسه ، بحال العنكبوت تتخذ لنفسها بيتاً تحسب أنها تعتصم به من المعتدي عليها ، فإذا هو لا يصمد و لا يثبت لأضعف تحريك فيسقط ويتمزق "[3].

ثانياً: مناسبة المثل لما بعده :

بعد أنَ ضْرب الله هذا المثل بين القضية التي من أجلها ضرب المثل وهي بيان أَنَّ المشركين في عبادتهم لهذه الأصنام ليسوا على شيء ، وإنَّ الله حين ضرب هذا المثل لها ، ضربه وهو العليم

١-سورة العنكبوت آية :٤١ .

٢-تفسير حدائق الروح والريحان (٢١ / ٣٩٣).

٣-تفسير التحرير والتنوير (٨/ ٢٥٢).

بحالهاالمدرك لحقيقة ما يتعلق به المشركون حين عبادتهم لها ، فقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه :

وقال "الطبري "-رحمه الله - في قوله تعالى – " ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرهما ونفعها عند حاجتهم لأنفسهم ،﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾في ضعفها ، وقلة احتيالها لنفسها ،﴿ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾لنفسها ، كيما يُكنها ، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه ، فكذلك هؤلاء المشركين لم يُغنِ عنهم حين نزل بهم أمر الله ، وحل بهم سخط أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً ، و لم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم وأورد بإسناد حسن عن قتادة : قوله :

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾قال : هذا مثل ضربه الله للمشرك مثل إلهه الذي يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه وقوله ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ ﴾يقول إن أضعف البيوت ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾يقول تعالى ذكره : لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله أولياء ، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله في قلة غنائهم عنهم ، كغناء بيت العنكبوت عنها ، ولكنهم يجهلون ذلك ، فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم إلى الله زلفى "[2].

قال " ابن كثير " – رحمه الله – " هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله

١-سورة العنكبوت آية : ٤٢

٢-تفسير الطبري (١٨ / ٤٠٣، ٤٠٤ ،٤٠٥) بتصريف .

، يرجون نصرهم ورزقهم ، ويتمسكون بهم في الشدائد ، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت ، فإنَّه لا يجدي عنه شيئاً ، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء ، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله ، وهو مع ذلك يحسن العمل في إتباع الشرع فإنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، لقوتها وثباتها "[1].

وقال "القرطبي "-رحمه الله - : ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾(لو) متعلقة ببيت العنكبوت أي : لو علموا إنَّ عبادة الأوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا تغني عنهم شيئاً وإنَّ هذا مثلهم لما عبدوها ؛ لا أنهم يعلمون انَّ بيت العنكبوت ضعيف "[2].

وقال "ابن القيم " – رحمه الله - : " فذكر سبحانه أنهم ضعفاء ، وأن الذين اتخذوهم أولياءهم أضعف منهم فهم في ضعفهم ، وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وهو أوهن البيوت وأضعفها وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بم اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً على ضعفهم "[3].

قال " السعدي" – رحمه الله - :" هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوى والنفع ، وأَنَّ الأمر بخلاف مقصوده ، فإنِّ مثله كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً يقيها من الحر والبرد والآفات ، ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ ﴾: أضعفها وأوهاها ﴿ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾: فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة ، وبيتها من أضعف البيوت ؛ فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفاً "[4].

١-تفسير ابن كثير (٣/ ٦٥٩) .

٢-تفسير القرطبي (١٦ / ٣٦٤).

٣-التفسير القيم صـــ ٤٠٣ .

٤-تفسير السعدي صـــــــــــــــــــــــــ٧٤١.

المطلب الثالث : نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله :

أولاً نوع المثل : *هو من الأمثال التشبيهية المركبة :*

أما كونه من الأمثال التشبيهية فقد شبه الله سبحانه المشرك في عبادته لغير الله بالعنكبوت حين اتخذت بيتاً ، بجامع : قلة النفع وانعدام الفائدة المرجوة في كل .

وهو من الأمثال المركبة ، فيكون المعنى : مثل العنكبوت عندما اتخذت بيتاً ضعيفاً واهناً كمثل المشرك عندما اتخذ معبوداً باطلاً لأنه الضعيفة و لا يضره .

قال "الألوسي" – رحمه الله – : " مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء فيما اتخذوه معتمداً ومُتكلاً في دينهم ،وتولوه من دون الله تعالى ، كمثل العنكبوت فيما نسجته واتخذته بيتاً والتشبيه على هذا من المركب "[1].

والتشبيه في هذا المثل من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس ، فإن العنكبوت ونسجها أمر مدرك بالحس ، أما الشرك وعبادة الأوثان فهو أمر معنوي غير محسوس .

ثانياً : الغرض الذي ضرب من أجله المثل :

إنَّ الغرض التربوي من ضرب هذا المثل هو شحذ الذهن واستثارة العمليات العقلية المختلفة ، كالتفكير والتخيل والقياس والتذكر والاستنباط وغيرها ، بهدف إقامة الحجة والبرهان والإقناع . وهذا المثل من أعظم الأمثال القرآنية الدافعة إلى التأمل والتفكر ، ومثل العنكبوت يتحدى به الله العلماء ، فيقول لو كانوا يعملون ما في هذا المثل من علم لأمنوا بالله سبحانه وتعالى ، ثم يقول الله تعالى إنَّ هذه الأمثال ما يعقلها إلا العالمون ، لذلك ثبت عن بعض السلف الصالح أنَّه كلما قرأ مثلاً و لم يفهمه بكى ، وقال إنني من الجاهلين ولست من العالمين وإنَّ هذا المثل الذي يتحدى العقول ، هو من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ،ويبين لنا فهد العامر الأحمدي في مقالة العلمي : إنَّ من ناحية الإعجاز المادي نلاحظ أَنَّ كلمة العنكبوت وردت في الآية الكريمة بصيغة التأنيث

١-تفسير روح المعاني (٢٠/ ١٦٠).

لا التذكير اتخذت بيتاً فعلماء الحشرات لم يكتشفوا إلا مؤخراً أن أنثى العنكبوت ، هي من يقوم بفرز المادة الحريرية وجدل الخيوط وغزل الشبكة ، وكلمة اتخذت لا تشير فقط إلى أنثى العنكبوت ، بل وإلى وجود عملية بناء حقيقة تقوم بها بغرض السكن والتفريخ ، وفي المقابل يقتصر دون الذكر على التلقيح والارتماء عند قد مي الأنثى كي تأكله ، بعد انتهاء عملية التزاوج ، وهذا المصير المخيف جعل بعض المفسرين يرون أن المقصود من المثل ليس وهن خيوط العنكبوت من الناحية الاجتماعية والأخلاقية والمادية ، وبالمقارنة مع علم الحشرات بعد بيت العنكبوت من أوهى البيوت ، من الناحية الأسرية وأكثرها أنانية وشراسة ، فالأنثى تأكل الذكر بعد التلقيح وتأكل أبناءها بعد خروجهم من البويضة ، إلا من نجا وفر ،وهذا البيت العنكبوتي يشبه في وهنه وهن الروابط والأوشاج والصلات ، التي تربط الكفار بآلهتهم الوثنية المزيفة ، والتي ستنقطع تلك الصلات بينهم في الدنيا قبل الآخرة "[1].

المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل :

أولا: من الفوائد البلاغية ما قاله " محمود صافي " : " عوداً إلى المثل والتمثيل في القرآن الكريم ، رغم أننا نوهنا بهذا الفن الكريم مراراً ، ومن علماء البلاغة من اعتبره من الاستعارة التمثيلية القائمة على التشبيه التمثيلي : قال عبد القاهر الجرجاني : وهل تشك في أن التمثيل يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين ، حتى يختصر بُعد ما بين المشرق والمغرب ، وهو يريك المعاني الممثلة في الأشخاص الماثلة ، وينطلق لك الأخرس ، ويعطيك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد ، ويريك التئام عين الأضداد ، ويجعل الشيء قريباً بعيداً معاً"[2].

ثانيا : ومن الفوائد البلاغية قال " الهرري " – رحمه الله – :" التشبيه التمثيلي في قوله :﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ حيث شبه حال من

١-المدلولات التربوية للأمثال القرآنية صـــــــــــــــــــــــــــ٥٨ .

٢-الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه (١٠ / ٣٤٢).

اتخذ الأصنام أولياء وعبدها ، واعتمد عليها واجباً نفعها وشفاعتها ، بحال العنكبوت التي اتخذت بيتاً ، فكما أَنَّ بيتها لا يدفع عنها حراً ، و لا برداً ، و لا مطراً ، ولا أذى ، و لا خيراً ، ولا شراً ، فالآية من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة ، لتشبيه حال الكفار بحال العنكبوت ، وسمى تمثيلياً ، لأن وجه المشبه فيه صورة منتزعة من متعدد "[1].

ثالثًا : ومن الفوائد البلاغية أيضاً قال " الهرري "- رحمه الله – " والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، والغالب في الاستعمال التأنيث ، وتاؤه كتاء طاغوت ؛ أي زائدة لا للتأنيث ، وهي دويبة معروفة تنسج من لعابها خيوطاً ، وتصيد بذلك النسيج طعامها ، والجمع عناكب وعنكبوتات ، والعنكب ذكرها والجمع عناكب وعناكيب والعنكبة والعنكباة و العكنباة أنثاها ، والجمع عناكب وعناكبت." [2].

رابعًا : من الفوائد التربوية لهذا المثل " إنَّه كما صح أَنْ أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد صح أَنْ دين كل من عبد شيئاً من دون الله تعالى هو أضعف الأديان وأوهنها ، وبهذا المثل أصبح المثل له كالصورة المحسوسة الملموسة لكي ينتزع الحكم من السامع " [3].

خامسًا : ومن الفوائد أيضاً " بيان أَنَّ المشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع .وهو لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الأربع :إما مالك لما يريد عابده منه ، فإنَ لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً كان معيناً له وظهيراً ، فإن لم يكن معيناً و لا ظهيراً كان شفيعاً عنده ، فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً متنقلاً من الأعلى إلى ما دونه "[4].

سادسًا : ومن الفوائد الإيمانية " قطع الله تعالى بهذه الآيات جميع الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعاً قطعاً يعلم من تأمله ويحقق من تدبره أَنَّ من اتخذ من دون الله ولياً أو شفيعاً فهو كمثل

١-تفسير حدائق الروح والريحان (٢١ / ٤٤٢).

٢-تفسير حدائق الروح والريحان (٢١ / ٤٣٩).

٣-الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة صـــــــــ٢٠٢ .

٤-حمد ، أحمد بن إبراهيم ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإيتام لإبن القيم (٢/ ٢٦٧) ، الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن .

العنكبوت اتخذت بيتاً وإنَّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، فمن استمسك بغير الله في حال شدته وكربه وغمه فدعاه ورجاه بما لا يقدر عليه إلا الله فليس في يده ممن استمسك به سواه تعالى إلا كمن يستمسك بيت العنكبوت فإنه لا يجدي عنه شيئاً ، فلو علم المستمسك هذا الحال لما اتخذ من دون الله ولياً و لا شفيعاً ، وهذا بخلاف أهل القبلة فإنهم لله مخلصون وله في العمل مستسلمون ومحسنون وإتباع ما جاد من الله على لسان رسوله منقادون وبالله معتصمون وبالعروة الوثقى مستمسكون وهي العقد الوثيق المحكم في الدين لا انفصام لها لقوتها وثباتها "[1].

سابعاً: ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على شدة العداء بين الشيطان وبني آدم وقد نصب الشيطان لإضلال الناس وإغوائهم حبائل ومصائد كثيرة جداً ، من أعظمها وأشدها إضلالاً لهم وإبعاداً عن الحق : تلك الأوثان والأصنام والمعبودات الباطلة التي علق الناس بها وصرفهم عن التوحيد إلى الشرك ، وعن الإيمان إلى الكفر ، فجعل لكل قوم ولياً يتعلقون به يطلبون نفعه ونصره ، ويتقربون إليه بأنواع القرب ، فمنهم من علقة بالكواكب ، والنجوم ، ومنهم من علقة بالأصنام والأحجار ، ومنهم من علقة بالملائكة ومنهم من علقه بالأنبياء ، ومنهم من علقة بالأولياء والصالحين وقطع عليهم بذلك باب الهداية والنجاة من النار .

ثامناً: ومن الفوائد التربوية " بيان أَنَّ من أغراض ضرب المثل التأثير ، والبلاغة تقتضي أَنْ تضرب الأمثال لما يراد تحقيره والتنفير عنه بحال الأشياء التي جرى العرف بتحقيرها ، واعتادت النفوس النفور منها . لذلك شبه ما يراد تحقيره بالأشياء التي عرفت حقارتها كما هو واضح في هذا المثل من تشبيه معبودات المشركين وأوليائهم ببيت العنكبوت "[2].

تاسعاً: ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على إنَّ المشرك يتحصل من الشرك على ضده مقصوده قال "ابن القيم " – رحمه الله – : " فأعظم الناس خُذلاناً من تعلق بغير الله ، فإن ما فاته من مصالحه

١-الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن صـــــــــــــــــــــــ٢٠٢ .

٢-النحلاوي ، عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، دار الفكر ، الطبعة الخامسة والعشرين ١٤٢٨، ٢٠٠٧، صـــــــــــ ١٩٩.

وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به ، وهو معرض للزوال والفوات ، ومثل المتعلق : بغير الله : كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت أوهن البيوت "[1].

وقال أيضاً " ابن القيم " – رحمه الله – :" وهذا من أحسن الأمثال ، وأدلها على بطلان الشرك ، وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده "[2].

عاشراً *:* ومن الفوائد التربوية أيضاً قال " ابن القيم " – رحمه الله – :" فإن قيل : فهم يعلمون أَنَّ أوهن البيوت بيت العنكبوت ، فكيف عنهم علم ذلك بقوله: ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾فالجواب : أَنَّه سبحانه لم ينفِ عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت ، وإنما نفى عنهم علمهم بأن اتخاذهم الموتى أولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتاً ، فلو علموا ذلك ما فعلوه ، ولكن ظنوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزاً وقدرة والأمر في الواقع بخلاف ما ظنوه "[3].

حادي عشر *:*ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على إنَّ المشرك لا عقل له لقد نفى الله سبحانه وتعالى العقل عن المشركين في عدد من الآيات ، منها قوله تعالى :﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[4].

وليس المراد من نفى العقل ؛ نفي العقل العزيزي الذي يتميز به الإنسان عن البهائم ، وإنما المراد ثمرة ذلك العقل الذي به يسمي المرء عاقلاً ، فمن كان له عقل لا يستعمله في ما فيه مصلحته ومنفعته فهو ومن لا عقل له سواء ولهذا نفي الله عن المشركين السمع والكلام والبصر ، مع أنهم يسمعون ويبصرون ويتكلمون ، وذلك لعدم انتفاعهم بتلك الحواس .

ثاني عشر *:*ومن القيم والفوائد التربوية ما بينه " ابن عاشور " – رحمه الله – : في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾"لما نفى عنهم العلم بما

١-مدارج السالكين (١/ ٤٥٨).

٢-إعلام الموقعين (١/ ١٥٤).

٣-التفسير القيم صـــــــــــــــــ ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

٤-سورة البقرة آية : ١٧١ .

تضمنه التمثيل من حقارة أصنامهم التي يعبدونها وقلة جدواها بقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ المفيد أنهم لا يعلمون ، أعقبه بإعلامهم بعلمه بدقائق أحوال تلك الأصنام على اختلافها واختلاف معتقدات القبائل التي عبدتها ، وأَنَّ من آثار علمه بها ضرب ذلك المثل لحال من عبدوها وحالها أيضاً دفعاً بهم إلى أن يتهموا عقولهم وأن عليهم النظر في حقائق الأشياء تعريضاً بقصور علمهم كقوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾فهذا توقيف لهم على تفريطهم في علم حقائق الأمور التي علمها الله وأبلغهم دلائلها النظرية ونظائرها التاريخية ، وقربها إليهم بالتمثيلات الحسية فعموا وصموا عن هذا وذاك "[1].

١-تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٢٥٣) .

المبحث التاسع دراسة المثل في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]

المطلب الأول: سبب نزول المثل ودلالة السياق الذي ورد فيه

أولا : سبب النزول:

قال "ابن كثير " – رحمه الله – "قال "الطبراني ": حدثنا محمود بن الفرج الأصبهاني ، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ،حدثنا حماد بن شعيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال :كان يلبي أهل الشرك ؛لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ،إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك؛ فأنزل الله هذه الآية:﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾[2] وأخرج جويبر مثله عن داود بن أبي هند،عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه "[3]

ثانيا مناسبة المثل لما قبله :

أن الله سبحانه لما بين قدرته على الإعادة ، بإقامة الأدلة عليها ، ثم ضرب لذلك مثلاً .....أعقب ذلك بذكر المثل على الوحدانية ، بعد إقامة الدليل عليها " [4]

ثالثًا مناسبة المثل لما بعده :

أن الله سبحانه لما عدد البينات والأدلة على وحدانيته ، وأثبت الحشر ، وضرب لذلك المثل ، وسلى رسوله ، ووطن عزيمته على اليأس من إيمانهم ، لأن الله تعالى قد ختم على قلوبهم ، فلا مخلص لهم مما فيه ، ولا ينقذهم من ذلك ، لا هو ولا غيره ،﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ

١- سورة الروم آية :٢٨

٢- ابن كثير (٦٨٧/٣)

٣- تفسير حدائق الروح والريحان (١٢٧/٢٢)

٤- تفسير حدائق الروح والريحان (١٢٤/٢٢)

حَسَرَٰتٍ ﴾[1].... أعقب ذلك بأمره بالاهتمام بنفسه ، وعدم المبالاة بأمرهم ، وإقامة وجهه لهذا الدين غير ملتفت عنه يمنة ولا يسرة ، فهو فطرة الله التي خلق العقول معترفة بها "[2].

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم :

قال "الطبري" –رحمه الله– يقول تعالى ذكره : مثل لكم أيها القوم ربكم مثلاً من أنفسكم ،﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾يقول : من مماليككم من شركاء ،فيما رزقناكم من مال ،فأنتم فيه سواء وهم . يقول : فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها لي شركاء في عبادتكم إياي ،وأنتم وهم عبيدي ومماليكي، وأنا مالك جميعكم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله :﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾قال: مثل ضربه الله لمن عمل به شيئاً من خلقه ، يقول : أكان أحدكم مشاركاً مملوكه في فراشه وزوجته ؟! وكذلكم الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خلقه .

قال "الطبري" : واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾فقال بعضهم : معنى ذلك ، تخافون هؤلاء الشركاء ، مما ملكت أيمانكم ، أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم ،كما يرث بعضكم بعضا . وقال آخرون :بل معنى ذلك : تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم ، كما يقاسم بعضكم بعضا "[3]

وقال "الطبري" : وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك ، القول الثاني؛ لأنه أشبهها بما دل عليه ظاهر الكلام ، وذلك أن الله جل ثناؤه وبخ هؤلاء المشركين ، الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها ، وأشركوهم في عبادتهم إياه ، وهم مع ذلك يقرون بأنه خلقهم وهم عبيده ، وعيرهم بفعلهم ذلك ، فقال لهم : هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خولناكم من نعمنا ، فهم سواء ،

١–سورة فاطر جزء من آية :٨.

٢– تفسير حدائق الروح والريحان (١٢٤/٢٢)

٣– تفسير الطبري (٤٨٩/١٨/٤٩٠) بتصرف

وأنتم في ذلك تخافون أن يقاسمكم ذلك المال الذي هو بينكم وبينه كخيفة بعضكم بعضاً أن يقاسمه ما بينكم وبينه من المال شركة ، فالخيفة التي ذكرها – تعالى ذكره– خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذي بينهما إياه ، أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه ؛ لأن ذكر الشركة لا يدل على خيفة الوراثة ، وقد يدل على خيفة الفراق والمقاسمة "[1]

قال "القرطبي ": –رحمه الله – " قال بعض العلماء : هذه الآية أصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم إلى بعض ونفيها عن الله سبحانه وذلك أنه لما قال جل وعز :﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾الآية فيجب أن يقولوا : ليس عبيدنا شركاء فيما رزقتنا ! فيقال لهم : فكيف يتصور أن تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب ! فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة. والخلق كلهم عبيد لله تعالى فيبطل أن يكون شيء من العالم شريك لله تعالى في شيء من أفعاله فلم يبق إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك إذ الشركة تقتضي المعاونة ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضاً بالمال والعمل والقديم الأزلي منزه عن ذلك جل وعز وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه لأن جميع العبادات البدنية لا تصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب فافهم ذلك ."

وقال "ابن كثير" : –رحمه الله – " هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به ، العابدين معه غيره ، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له ، ملك له ، كما كانوا يقولون : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك ، فقال تعالى :﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾أي : تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم ؛﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾أي : لا يرتضي أحد منكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله ، فهو وهو فيه على السواء ﴿ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾أي :

١– تفسير الطبري (١٨/٤٩٠) .

تخافونهم أن يقاسموكم الأموال . وقال – رحمه الله – : والمعنى أن أحدكم يأنف من ذلك ، فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه وهذا كقوله تعالى :﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾[1]أي: من البنات ، حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، وجعلوها بنات الله ، وكان أحدهم إذا بُشر بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هونٍ أم يدسه في التراب ، فهم يأنفون من البنات . وجعلوا الملائكة بنات الله ، فنسبوا إليه مالا يرتضونه لأنفسهم ،فهذا أغلظ الكفر . وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء له من عبيده، وخلقه ، وأحدهم يأبى غاية الإباء وأنف غاية الأنف من ذلك ، أن يكون عبده وشريكه في ماله ، ويساويه فيه ، ولو شاء لقاسمه عليه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

قال "ابن القيم" –رحمه الله– قول الله تعالى ذكره﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾"هذا دليل قياسي . احتج الله سبحانه به على المشركين ، حيث جعلوا له من عبيده . وملكه شركاء فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم ، لا يحتاجون فيها إلى غيرهم .ومن ابلغ الحجج أن يأخذ الإنسان من نفسه ، و يحتج عليها بما هو في نفسه مقرر عندها ، معلوم لها فقال : ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ﴾من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل ؟ أي : هل يشارككم عبيدكم في أموالكم و أهليكم فأنتم وهم في ذلك سواء ؟ تخافون أن يقاسموكم أموالكم ، ويشاطروكم إياها ويستأثرون ببعضها عليكم ، كما يخاف الشريك شريكه وقال "ابن عباس" : تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا "[2]

قال "سيد قطب" :– رحمه الله – " ضرب هذا المثل لمن كانوا يتخذون من دون الله شركاء خلقا

١– سورة النحل جزء من آية :٦٢.

٢– التفسير القيم صـــ٤٠٥، ٤٠٦

من خلقه : جناً أو ملائكة أو أصناماً وأشجاراً وهم لا يرتضون أن يشاركهم مواليهم في شيء مما تحت أيديهم من مال . ولا يسوون عبيدهم بأنفسهم في شيء من الاعتبار ؛ فيبدو أمرهم عجبا . يجعلون لله شركاء من عبيده وهو الخالق الرازق وحده . ويأنفون أن يجعلوا لأنفسهم من عبيدهم شركاء في مالهم . ومالهم ليس من خلقهم إنما هو من رزق الله وهو تناقض غريب في التصور والتقدير "[1]

المطلب الثالث نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله

*نوع المثل :*قال "ابن عاشور" " وهذا المثل تشبيه هيأة مركبة بهيأة مركبة ؛ شبهت الهيأة المنتزعة من زعم المشركين أن الأصنام شركاء لله في التصرف ودافعون عن أوليائهم ما يريده الله من تسلط عقاب أو نحوه إذ زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله وهم مع ذلك يعترفون بأنها مخلوقة لله فإنهم يقولون في تلبيتهم " لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك " هذه الهيئة شبهت بهيئة ناس لهم عبيد صاروا شركاء في أرزاق سادتهم شركة على السواء فصار سادتهم يحذرون إذا أرادوا أن يتصرفوا في تلك الأرزاق أن يكون تصرفهم غير مرض لعبيدهم. وهذا التشبيه وإن كان منصرفا لمجموع المركب من الهيأتين قد بلغ غاية كمال نظائره إذ هو قابل للتفريق في أجزاء ذلك المركب بتشبيه مالك الخلق كلهم بالذين يملكون عبيداً ، وتشبيه الأصنام التي هي مخلوقة لله تعالى بمماليك الناس ،وتشبيه تشريك الأصنام ،في التصرف مع الخالق في ملكه بتشريك العبيد في التصرف في أرزاق سادتهم ، وتشبيه زعمهم عدول الله عن بعض ما يريده في الخلق لأجل تلك الأصنام وشفاعتها، يحذر أصحاب الأرزاق من التصرف في حظوظ عبيدهم الشركاء تصرفا يأبونه ، فهذه الهيئة المشبه بها هيئة قبيحة مشوهة في العادة لا وجود لأمثالها في عرفهم فكانت الهيئة المشبهة منفية منكرة ، ولذلك أدخل عليها استفهام الإنكار والجحود لينتج أن الصورة المزعومة للأصنام صورة باطلة بطريق التصوير والتشكيل إبرازاً لذلك المعنى الاعتقادي الباطل في الصورة المحسوسة المشوهة الباطلة

١- الظلال (٥/٢٧٦٦)

" [1]

الغرض الذي من أجله المثل :-

إن الغرض الذي من أجله ضرب المثل هو إثارة التفكير بأسلوب الاستفهام الحواري في الأمثال القرآنية ، فقد وردت العديد من الأمثال القرآنية بصيغة الاستفهام ،وهو في القرآن أسلوب رائج ، كما أنه أحد أبلغ الأساليب اللغوية في إيصال المعاني للمخاطبين.

قال "ابن تيمية"-رحمه الله -: "كثير من الأمثال جاءت على شكل الاستفهام الإنكاري الذي يدل على الذم والنهي" [2]

ويرى علماء البلاغة أن الاستفهام يفيد في تنبيه السامع ، حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويستبين الجواب .....ومن الاستفهام ما يأتي للإفحام والرد وآخر يهدف إلى النفي والتوبيخ والاستغراب والتعجب، ليس تسوية بين أمرين في الحكم والنتيجة ، والمعقول يثبت أحدهم وينقض الآخر ، بدليل من العقل والحس ، والاستفهام يدفع بالمخاطب إلى الحكم الصحيح ، ويثير فيه التنبيه إلى الحقائق في غير عوج بل بطريق مستقيم .

يقول "النحلاوي" –رحمه الله- : "فالاستفهام إذا مؤداه الحث على النظر والاستدلال وتوجيه الأنظار إلى الكون وما فيه وما يجري بين الناس " [3]

والاستجواب الحواري الراسخ في القرآن يضاهيه أسلوب الاستجواب في المدرسة الحديثة ، ويزيد عليه ،فالاستجواب المدرسي مقصور على أمور عادية علمية خاصة ،أما الحوار القرآني أو النبوي فهو يتحدى عقول السامعين وأفكارهم بأمور جديدة أو غامضة ،ثم يشرحها لهم ،ويوجههم إلى الأخذ بخيرها وترك شرها ، فغايته وجدانية سلوكية بحيث يكره إلى السامع أو المخاطب الشر ويحبب إليه الخير ،ويثير عواطفه وانفعالاته في سبيل تحقيق سلوك طيب والابتعاد عن سلوك شرير"

١- تفسير التحرير والتنوير (٨٦/٢١)

٢- مجموع الفتاوى (٦٤/١٤)

٣- النحلاوي ، عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص ٢١٤.

.[1]

المطلب الرابع : القيم الإيمانية والتربوية للمثل :

أولاً :-ومن الفوائد البلاغية للمثل جناس الاشتقاق الموجود في قوله تعالى:﴿ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾.

ثانياً :- "ومن الفوائد البلاغية وضع الظاهر موضع الضمير في قوله تعالى:﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴾للتسجيل عليهم بوصف الظلم ؛أي بأنهم في ذلك الاتباع ظالمون ، وفيه أيضاً الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إهانة لهم ، وإيذاناً لهم بأنهم لا يستحقون الخطاب " [2]

ثالثًا :-من الفوائد البلاغية"الاستفهام مستعمل في الإنكار ومناط الإنكار قوله تعالى:﴿ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾إلى آخره أي من شركاء لهم هذا الشأن " [3]

رابعًا:-ومن الفوائد البلاغية " واللام في "لَّكُم" لام التعليل ،أي ضرب مثلاً لأجلكم ،أي لأجل إفهامكم"[4]

خامسًا:-ومن الفوائد البلاغية أيضاً ما جاء في " التحرير و التنوير " (مِّن) في قوله :﴿ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾تبعيضية ، (مِّن) في قوله " مِّن شُرَكَآءَ " زائدة مؤكدة لمعنى النفي المستفاد من الاستفهام الإنكاري فالجمع بين هذه الحروف في كلام واحد من قبيل الجناس التام "[5]

سادسًا:-ومن الفوائد أيضاً " يقال ضرب الدرهم اعتباراً بضربه بالمطرقة ، وقيل له : الطبع اعتباراً بتأثر السكة فيه ، وضرب المثل : هو من ضرب الدرهم ، وهو ذكر شيء أثره يظهر في

١- المدلولات التربوية ص ٦٤

٢- تفسير حدائق الروح والريحان (١٧٨/٢٢)

٣- تفسير التحرير والتنوير (٨٥/٢١)

٤- تفسير التحرير والتنوير (٨٥/٢١)

٥- تفسير التحرير والتنوير (٨٥/٢١)

غيره ، والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ، ليتبين أحدهما بالآخر وتصويره "[1]

سابعًا:-ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على حجة عقلية تدل على إبطال الشرك ، وذلك أنه قد استقر في بدائه العقول أن مشاركة العبد المملوك لسيده في ملكه ما تحت يده من المال والمتاع أمر تنفر منه الطباع ، وذلك لأن العبد بمنزلة المتاع يباع ويشترى ، وما ملك فهو لسيده فكيف يصح أن يكون مشاركاً له وهو لا يملك نفسه أصلاً .

ثامنًا :-ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على قاعدة قياس الأولى قال شيخ الإسلام – رحمه الله – " فإن الله سبحانه لا يماثله شيء من الموجودات في قياس التمثيل ولا أن يدخل في قياس شمول تتماثل أفراده ،بل ما ثبت لغيره من الكمال الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه فهو أحق به ، وما نزه عنه غيره من النقائص فهو أحق بالتنزيه منه ، كما قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾"[2] [3] .

تاسعًا:- ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على ضلال المشركين في تسويتهم بين المالك والمملوك لقد احتج الله على المشركين تسويتهم بينه وبين عبيده في الاستحقاق ، وذلك أن المشركين عبدوه سبحانه وعبدوا معه غيره وأحبوه وأحبوا غيره .

عاشرًا :-ومن الفوائد التربوية بيان أن الشركة بين المتفاوتين في الدرجة مرفوضة ، كالشركة بين السيد والعبد ، ولما كان الخلق كلهم عبيداً لله فلا يمكن أن يكون العبد شريكاً لله في العبودية .

حادي عشر :-ومن الفوائد التربوية والإيمانية أن الإسلام دين الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها ، وهي فطرة التوحيد ، الإيمان بوجود إله واحد لا شريك له فيجب على الإنسان اتباع هذا الدين وعدم تغييره .

١- حدائق الروح والريحان (١٧٥/٢٢)

٢- مجموع الفتاوى (٣٤٧/١٢)

٣-النحل آية : ٦٠

ثان عشر :-ومن الفوائد الإيمانية " أن أمر الله بإخلاص العبودية له ، والرجوع إليه بالتوبة من الذنوب ، والإخلاص في العمل والطاعة له سبحانه ، والخوف منه بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه وطلبا لرضاه ."[1]

ثالث عشر :" ومن الفوائد الإيمانية الإقناع بعقيدة التوحيد الإسلامية وبأنه لا إله إلا الله ، وبأنه ليس لله ند ولا شريك ، جاء في القرآن أدلة برهانية كثيرة ، وجاء فيه أيضا أدلة خطابية قد يكون لها تأثير على بعض النفوس أكثر من تأثير الأدلة البرهانية ، لما فيها من تأثير على المشاعر النفسية ،أما البراهين فقد تكون أدلة عقلية بحتة لا تحرك بعض مشاعر النفوس ولا تهزها "[2] .

١-التفسير الموضوعي(١٢/٦).

٢-أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع ، الميداني صـــــ٧١

المبحث العاشر :-دراسة المثل في قوله تعالى﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]

***المطلب الأول* : مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها وارتباطها بسياق السورة:**

أولا : مناسبة المثل لما قبله : فقد جاء قبل المثل بيان حال المشركين وأنهم يخلصون لله تعالى في الشدة ويشركون في الرخاء فقال ":﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾[2] ثم جاءت الآيات التي أكد فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – ما أمره به ربه من إخلاص العبادة ، حيث قال﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[3] وبين التزامه بذلك ، وخاطب الكفار على سبيل التهديد بأن يعبدوا ما يشاءون من الأوثان ، فلن يكون في ذلك خير لهم يوم القيامة ، حين يخسر الواحد منهم نفسه وأهله أما خسران نفسه فلأنه أوردها العذاب ، وأما خسرانه لأهله فلأنه لا يستطيع الاجتماع بهم ، سواء كانوا معه في العذاب أو دخلوا الجنة ، فالاجتماع والأنس بهم غير ممكن في الحالين قال تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾[4] ثم بين الله تعالى حال عباد الله المؤمنين ، وأنهم اجتنبوا الطاغوت وتركوا عبادتها ،وأخلصوا عبادتهم لله ، وبشرهم بالثواب في الدنيا ، والنعيم في الآخرة ، وأمر نبيه أن يبشرهم بذلك ، قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[5].

١-سورة الزمر آية :٢٩.

٢-سورة الزمر آية :٨

٣-سورة الزمر آية :١١

٤-سورة الزمر آية :١٤

٥-سورة الزمر آيتان :١٧، ١٨ .

ثانياً: مناسبة المثل لما بعده :

بعد أن ضرب الله المثل للشرك خاطبهم سبحانه بأسلوب من أساليب المحاجة ، وذلك بإلزامهم بالإقرار بتوحيد الإلوهية إذا أقروا بتوحيد الربوبية ، وهم مقرون بذلك فيلزمهم الإقرار بلازمه وهو توحيد العبادة ، ثم زادت الآية في البيان ، لتؤكد عجز الآلهة الباطلة عن أهم ما يطلبه المشركون مما له تعلق بالربوبية على سبيل التنبيه ، فإذا كانت عاجزة عن دفع الضر عنكم ، وإنزال الرحمة بكم ، فعجزهم عما سوى ذلك أولى ، قال تعالى :﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1]

علاقة المثل بمحور السورة :

فمن خلال ما سبق ندرك القضية الكبرى التي يدور حولها سياق هذا المثل ، وأن جميع السور التي ورد هذا المثل في ثناياها تتحدث عن التوحيد وإفراد الله جل شأنه بالعبادة ، وأنه هذه السورة قد حوت من الدلائل على ذلك والشواهد ما لا تبقى معه حجة لأحد من المشركين في تبرير شركه والبقاء عليه ، فليس بعد الحق إلا الضلال ، وليس بعد الهدى إلا العمى .

قال "ابن عاشور" –رحمه الله –:" وأغراضها –أي هذه السورة– كثيرة تحوم حول إثبات تفرده بالإلهية ،وإبطال الشرك فيها ، وإبطال تعليلات المشركين لإشراكهم وأكاذيبهم " [2]

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه :

قال "الطبري" –رحمه الله – : " يقولُ تعالى ذكره :"مثل الله مثلا للكافر ،الذي يعبد آلهة ، ويطيع جماعة من الشياطين ، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد . يقول تعالى ذكره :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ ﴾لهذا الكافر ﴿ رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾يقول : هو بين جماعة مالكين متشاكسين ، يعني مختلفين ومتنازعين ، سيئة أخلاقهم ، من قولهم : رجل شكس إذا كان سيء الخلق ، وكل واحد منهم

١–سورة الزمر آية :٣٨

٢–التحرير والتنوير (٢٤/ ١٨– ١٩) بتصرف.

يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه، ﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾. يقول : ورجلا خلوصاً لرجل ، يعني المؤمن الموحد ، الذي أخلص عبادته لله وحده لا يعبد غيره ، ولا يدين لشيء سواه بالربوبية "[1]

وقال "ابن كثير" –رحمه الله –: " ثم قال :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾أي : يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ، ﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾أي : خالصا لرجل لا يملكه أحد غيره ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾أي : لا يستوي هذا وهذا . وكذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله ، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ، فأين هذا من هذا ؟

قال "ابن عباس" "ومجاهد" وغير واحد : هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص ، ولما كان هذا المثل ظاهر بيناً جلياً ، قال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾أي : على إقامة الحجة عليهم ، ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾أي : فلهذا يشركون بالله" [2].

قال "السعدي" – رحمه الله – :– "ثم ضرب الله مثلا للشرك والتوحيد ، فقال﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾؛ أي : عبداً ﴿ فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾: فهم كثيرون ، وليسوا متفقين على أمر من الأمور وحالة من الحالات حتى تمكن راحته ، بل هم متشاكسون متنازعون فيه ، كل له مطلب يريد تنفيذه ويريد الآخر غيره ؛ فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين ؟!﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾أي خالصاً له قد عرف مقصود سيده وحصلت له الراحة التامة . ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾؛ أي : هذان الرجلان ﴿ مَثَلًا ﴾لا يستويان . كذلك المشرك فيه شركاء متشاكسون ، يدعو هذا ثم يدعو هذا ، فتراه لا يستقر له قرار ولا يطمئن قلبه في موضع . والموحد مخلص لربه ، قد خلصه الله من الشركة لغيره ، فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة " فـــــ ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا

١–تفسير الطبري (١٩٧/٢٠)

٢–تفسير ابن كثير هو الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى ١٤٢١هـــ(١٢٦/١٢)

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾: على تبين الحق من الباطل وإرشاد الجهال ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾"[1]

قال "سيد قطب" – رحمه الله – : "يضرب الله المثل للعبد الموحد والعبد المشرك بعبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضاً فيه ، وهو بينهم موزع ، ولكل منهم فيه توجيه ، ولكل منهم عليه تكليف ؛ وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق ، ولا يملك أن يرضي أهوائهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه ! وعبد يملكه سيد واحد ، وهو يعلم ما يطلبه منه ، ويكلفه به ، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح " هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ؟"إنهما لا يستويان . فالذي يخضع لسيد واحد ينعم براحة الاستقامة والمعرفة اليقين . وتجمع الطاقة ووحدة الاتجاه ، ووضوح الطريق . والذي يخضع لسادة متشاكسين معذب مقلقل لا يستقر على حال ولا يرضي واحدا منهم فضلا عن أن يرضي الجميع !"[2].

قال العلامة "ابن عثيمين" –رحمه الله –" لما قال الله تعالى: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ)ذكر هذا المثل ضربه لنا ، فبين الله عز وجل هذا المثل العظيم ، فقال :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ ﴾؛ أي متنازعون مختلفون ،كل واحد منهم يقول :أنا صاحبه ، أنا الذي أريد أن أستخدمه ، وما أشبه ذلك ، فهم دائماً في نزاع ، وفي خصومة ؛ لأن كل واحد منهم يريد أن ينفرد به عن الآخر ، والرجل الثاني رجلا سلما لرجل ،سلماً أي : سالما لهذا الرجل، لا يشاركه فيه أحدا "[3]

١-تفسير السعدي صـــــــ٨٥٥

٢-الظلال (٢٠٤٩/٥)

٣-تفسير القرآن الكريم ابن عثيمين (٥/٩).

المطلب الثالث: نوع المثل والغرض الذي من أجله ضرب المثل :-

أولا : نوع المثل :-

وهذا التشبيه من حيث التشبيه هو تشبيه مركب وذلك أن كلا من الممثل به والممثل له عبارة عن صورة مركبة من جملة أفراد تعطى في مجموعها الوصف المعتبر والحكم المشترك بين المشبه والمشبه به .

حيث شبهت أعمال المشركين وتخبطهم وحيرتهم في محاولة إرضاء ما أشركوهم بالله وعجزهم عن إرضائهم بحال العبد الذي يحاول أن يرضي أكثر من سيد . وحال الموحد الذي يملكه سيد واحد . ومن حيث القياس هو قياس تمثيلي حيث جعلت صورة الكافر والمشرك بالله تعالى في عبادته غير الله والمحاول كسب رضاه ؛ بحال العبد المملوك لأكثر من شخص في صعوبة رضاهم ، وبينما صورت حال الموحد بحال العبد المملوك لشخص واحد ."[1]

الغرض الذي من أجله ضرب المثل :-

ضرب المثل لإقناع المخاطب واستثارة تفكيره وذلك عن طريق القياس ففي المثل تقرير لعقيدة التوحيد ونبذه للشرك ، بتقديمه نموذجين من الناس وأمره بالقياس بينهما ، وقد جاء المثل بصيغة استفهامية تثير العقل ليجيب الإجابة المعقولة والصحيحة ، وهذا المثل قياس بين عبد يملكه سيدان متخاصمان ، هذا يأمره بشيء والآخر بعكسه ، فليتصور كيف سيكون تذبذب العبد المسكين بين إرضاء سيديه ، وفي المقابل عبد ملك لسيد واحد مطيع له ، فهل يستويان مثلا ؟، لا شك أنهما لا يستويان ،كذلك من يشرك بالله أكثر من إله باطل ، وهذا المثل من أبلغ أنواع التربية والتعليم والتوجيه "[2]

١-الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة صـــ٩٤/٩٥

٢-المدلولات التربوية للأمثال القرآنية صـــ٦٨.

المطلب الرابع :القيم التربوية والإيمانية للمثل:

أولا *:* من الفوائد البلاغية في هذا المثل " فن إرسال المثل ، فقد شبه حال من يعبد آلهة شتى ، بمملوك اشترك فيه شركاء شجر بينهم خلاف شديد ، وخصام مبين ، وهم يتجاذبونه ، وهو يقف متحيراً لا يدري لأيهم ينحاز ، ولأيُهم ينصاع ، وأيهم أجدر بأن يطيعه ؛ وحال من يعبد إلها واحداً فهو متوفر على خدمته ، يلبي كل حاجته ، ويصيخ سماعاً لكل ما ينتدبه إليه ويطلبه منه "[1].

ثانيا: ومن الفوائد التربوية " أن الله تعالى يذكر في الآية تباين الأوصاف التي يعرف العقلاء بالبداهة التفاوت بينها ويدع التصريح بالمفاضلة للعقلاء ، فهذه القاعدة في القرآن كثيراً ما يذكرها في المقابلة بين الإيمان والكفر والتوحيد والشرك ، وبين إلهية الحق وإلهية من سواه "[2].

ثالثًا: ومنم الفوائد البلاغية تذكير (رَّجُلًا) في الموضعين للإفراد ؛ أي : فردا من الأشخاص لفرد من الأشخاص وتخصيص الرجل ؛ لأنه أفطن لما يجري عليه من الضر أو النفع ؛ لأن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك " [3].

رابعًا *:*ومن الفوائد البلاغية أيضا : الاستفهام الإنكاري في قوله ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ ﴾ومنها أيضا : الاعتراض بجملة ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾في قوله : ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾فإن جملة﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾اعتراضية ، لاعتراضها بين الكلاميين ، المرتبط أحدهم بالآخر ، فإن قوله :﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾إضراب انتقالي ،مرتبط بقوله :﴿ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾فإنه انتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثرهم لا يعلمون ذلك ، مع كمال ظهوره ، فيقعون في ورطة

١-الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه (١٢/١٧٨).

٢-الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة صـــــ٢٩.

٣-تفسير حدائق الروح والريحان (٢٤/٥٦١).

الشرك والضلال ، لفرط جهالتهم "[1].

خامساً: ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على أثر التوحيد في طمأنينة الموحد واستقرار قلبه وعلى أثر الشرك في قلق المشرك وحيرته واضطرابه قال "ابن القيم" –رحمه الله– " قضى الله سبحانه وتعالى قضاء لا مرد له أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته كائنا من كان" [2]

سادساً: ومن الفوائد الإيمانية ما قاله ابن القيم " هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد ؛ فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاكسون ، والرجل المشاكس : الضيق الخلق . فالمشرك ، لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته ، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين " [3] .

سابعاً : ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك وإبطال التسوية بينهما .

ثامناً : ومن الفوائد في المثل بيان أن الموحد مرتاح الضمير مطمئن البال لتعبده لإله واحد يعرف ما يطلبه منه وما يرضيه وما يسخطه منه ، فيتجه بكل حاجاته لإله واحد يرجوه ويخافه ويتقي غضبه ويطلب رضاه ؛ لأنه وحده هو المالك الخالق الرازق المانع المانح ، فلا تصادم عند الموحد بين عقيدته وفطرته كما هو حال المشرك .

تاسعاً : ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على جهل المشركين بما ينفعهم قال "ابن عاشور" –رحمه الله– :" ولا شك أن أقل الناس عقلاً: المشركون ، لأنهم طرحوا ما هو سبب نجاتهم لغير معارض يعارضه في دينهم ، إذ ليس في دين أهل الشرك وعيد على ما يخالف الشرك من معتقدات ، ولا على ما خالف أعمال أهله من الأعمال ، فكان حكم العقل قاضياً بأن يتلقوا ما يدعوهم إليه

١-تفسير حدائق الروح والريحان (٥٦١/٢٤).

٢-اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية صـــ٢٠٩.

٣-الضوء المنير على التفسير (١٩١/٥).

الرسل من الإنذار للامتثال إذ لا معارض له في دينهم لولا الأنفة والتكبر " [1]

عاشراً *:*ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على الترغيب في حمد الله على نعمة الهداية إلى التوحيد يقول "سيد قطب" –رحمه الله– :"ويعقب على هذا المثل الناطق الموصي، بالحمد لله الذي اختار لعباده الراحة والأمن والطمأنينة والاستقامة والاستقرار . وهم مع هذا ينحرفون ، وأكثرهم لا يعلمون"[2].

حادي عشر *:*ومن الفوائد البلاغية ما ذكره "ابن عاشور" –رحمه الله–:"وليلائم توجيه الاستفهام إليهم بقوله :﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾فإنه سؤال تبكيت فتلتئم أطراف نظم الكلام ، فعدل عن مقتضى الظاهر من إلغاء ضرب المثل بصيغة الأمر إلى إلقائه بصيغة الماضي لإفادة صدق علم النبي –صلى الله عليه وسلم– وكل هذا أدق معنى وأنسب ببلاغة القرآن من قول من جعل الماضي في فعل

﴿ ضَرَبَ ﴾على حقيقته وقال : إن معناه : ضرب المثل في علمه فأخبر به قومك "[3].

١–التحرير والتنوير (٢٧/١٢).

٢–الظلال (٣٠٤٩/٥ ، ٣٠٥٠).

٣–التحرير والتنوير (٤٠٠/٢٣)

المبحث الحادي عشر : بيان خطر الشرك ومفاسده وأساليب القرآن في التحذير من الشرك والوسائل التربوية النبوية لسد جميع أبواب الشرك :

المطلب الأول : بيان خطر الشرك ومفاسده :

لاشك أن الشرك له مخاطر ومفاسد عظيمة أهمها:

١- أنه تنقص للرب جل في علاه وإيذاء له ، فعن "أبي موسى الأشعري" - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " ما أحد أصبر أذى سمعه من الله ، يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم "[١].

٢- أنه من أعظم الظلم ، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٢].

٣- أنه من أعظم الكذب ، قال تعالى:﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾[٣].

٤- أن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به ، قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[٤].

٥- أنه سبب للخلود في النار،قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[٥].

١-أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى (إن الله هو الرزاق)الذاريات : ٥٨ حديث رقم (٧٣٧٨)

٢- سورة لقمان آية : ١٣.

٣- سورة الكهف آية : ١٥.

٤- سورة النساء آية :٤٨.

٥- سورة المائدة آية :٧٢.

٦- أنه محبط للأعمال الصالحة ، قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[١].

٧-أن الشرك سبب لخوف المشرك وعدم طمأنينته قال تعالى :﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾[٢].وقال تعالى :﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٣].

٨-أنه سبب لحلول العذاب العام والنكال في الدنيا والآخرة

ثانيًا : أساليب القرآن في التحذير من الشرك :-

تنوعت الأساليب القرآنية المحذرة من الشرك ، فمن تلك الأساليب [٤]

أولًا : الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[٥].

ثانيا: تسفيه المشركين في عبادتهم تلك الآلهة ،كقوله تعالى :

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٦]

ثالثًا : ومنها تعجيزه لآلهة المشركين كقوله تعالى :﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾[٧]﴿ قُلِ

١- سورة الزمر آية : ٦٥.

٢- سورة آل عمران :١٥١.

٣- سورة آل عمران :١٧٥.

٤- طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة ١٤١٢هـ بتصريف الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان .

٥-سورة النحل :٣٦.

٦-سورة الأنبياء ٦٦ :٦٧.

٧-سورة الأعراف : ١٩١ .

ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾.وقوله تعالى :

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾[2].

رابعًا : تسفيه المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى كقوله تعالى:﴿ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[3]. ﴾[3]. وقوله تعالى :﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴾[4].

خامسًا : ومنها : بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله وبيان مآلهم مع من عبدوهم ، حيث تتبرأ منهم تلك المعبودات في أحرج المواقف كما في قوله تعالى :﴿ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[5].

سادسًا: ومنها : رده سبحانه على المشركين في اتخاذهم الوسائط بينهم وبين الله بأن الشفاعة ملك له سبحانه لا تطلب إلا منه ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه بعد رضاه عن المشفوع له ، قال سبحانه :

١-سورة النحل :٧٣.

٢-سورة الحج آية :٧٣.

٣-سورة الأنبياء الآيتان :٦٦ ، ٦٧ .

٤-سورة الأحقاف آية :٥ .

٥-سورة البقرة الآيتان : ٦٦ ، ٦٧ .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[1].

سابعًا : ومنها:أنه بين سبحانه أن هؤلاء المعبودين من دونه لا يحصل منهم نفع لمن عبدهم من جميع الوجوه ، ومن هذا شأنه لا يصلح للعبادة كما في قوله تعالى :(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له).

ثامنًا : ومنها : أنه سبحانه وتعالى ضرب أمثلة كثيرة في القرآن يتضح بها بطلان الشرك من ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[2].شبه سبحانه التوحيد في علوه وارتفاعه وسعته وشرفه بالسماء ، وشبه تارك التوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر ، وشبه الشياطين التي تقلعه بالطير الذي تمزق أعضاءه ، وشبه هواه الذي يبعده عن الحق بالريح التي ترمي به في مكان بعيد ، هذا مثال واحد من أمثلة كثيرة في القرآن ذكرها الله سبحانه وتعالى لبيان بطلان الشرك وخسارة المشرك في الدنيا والآخرة ، وما سقناه في هذا الدرس من أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية وإبطال الشرك قليل من كثير وما على المسلم إلا أن يقرأ القرآن بتدبر ليجد الخير الكثير والأدلة المقنعة والبراهين الساطعة التي ترسخ عقيدة التوحيد في قلب المؤمن وتقتلع منه كل شبهة .

ثالثًا : الوسائل التربوية النبوية لسد جميع أبواب الشرك[3]

لقد جاء النبي – صلى الله عليه وسلم – لحماية جناب التوحيد وسد أبواب الشرك وقد اتبع النبي –صلى الله عليه وسلم – في ذلك مسالك متعددة ومنها:

١–سورة الزمر آية : ٤٣ .

٢–سورة الحج آية :٢٢ .

٣ زكريا أبو بكر محمد ، الشرك في القديم والحديث ، مكتبة الرشيد الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ (٦٠٥/٢/٦٢٢)بتصريف

أولًا : سده –صلى الله عليه وسلم – جميع أبواب الشرك الذي يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذلك مطلبان هما: المطلب الأول : سده جميع أبواب شرك التعطيل وقد بين الرسول – صلى الله عليه وسلم– الشرك ، وحذر منه ، ونهى عنه ، وبين أنواعه ، وخطورته على الناس وعواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة ، وذلك : لما خافه – النبي صلى الله عليه وسلم– على أمته من الوقوع فيه كما بين –عليه الصلاة والسلام– ونهى عن كل ما يقارب الشرك أو يكون ذريعة للشرك بالله سبحانه وتعالى ، وحماية لجناب التوحيد ، وسدًا لجميع أبواب الشرك بكافة أنواعه ومن الأمثلة لحماية النبي –صلى الله عليه وسلم – حمى التوحيد وسده جميع أبواب شرك التعطيل في الربوبية : ذكره الآيات القرآنية الدالة على ذلك ، فقال:﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾[1].

ثانيًا : سده – صلى الله عليه وسلم– لجميع أبواب شرك الأنداد في الربوبية وخصائصها : ومن أمثلته ما يلي :– أ–بيانه صلى الله عليه وسلم –خصائص الربوبية ، ونفيها – صلى الله عليه وسلم– عن نفسه وعن أي خلق من المخلوقات ، سواء كان ذلك في الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية . فمن ذلك : قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾[2].وقوله تعالى :﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[3].

ثالثًا : في سده –صلى الله عليه وسلم– جميع أبواب الشرك الذي يتعلق بعبادة الله تعالى ومعاملته ومن ملامح هذا السد ما يلي :

أ–إن الرسول –صلى الله عليه وسلم –قد نهى عن الغلو في مدحه بما قد يفضي إلى عبادته فقال :

١– سورة الطور آية :٣٥.

٢– سورة الجن الآيتان :٢١، ٢٢.

٣– سورة الفتح آية :١١.

(لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله " [1]

ب –نهى الرسول –صلى الله عليه وسلم –البناء على القبور وعن اتخاذها عيدا ، وعن اتخاذها مساجد ، فقال لما ذكرت له "أم سلمة " – رضي الله عنها – أنها رأت كنيسة بأرض الحبشة وما فيها من الصور . قال : (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصورا فيه تلك الصور ، أولئك هم شرار الخلق عند الله) [2]

رابعًا : سده الوسائل القولية والفعلية التي تؤدي إلى الشرك – خصوصًا إلى الشرك الأصغر – وصدور التحذير منه – صلى الله عليه وسلم – ومن ذلك:

أ- تحذير النبي –صلى الله عليه وسلم –من وقوع أمته في الشرك الأصغر باللسان فمن أفراده الحلف بغير الله تعالى ومن ذلك الشرك مع الله أحدًا ولو بمجرد القول وكذلك التحذير عن الشرك الأصغر الذي يتضمن النزاع في خصوصية الرب سبحانه على الظاهر ، وإن كان لا يقصده المتلفظ .

ب – تحذير النبي – صلى الله عليه وسلم– أمته من الوقوع في الشرك الأصغر العملي وأفراده كثيرة منها التطير ، وتصديق الكاهن ، والعرافين ولبس الحلقة والخيط .

١–البخاري في الصحيح برقم : ٣٤٤٥، ٤٧٨/٦ كتاب أحاديث الأنبياء ، (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)

٢–البخاري في الصحيح : كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة برقم ٤٣٤ ومسلم برقم ٥٢٨، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور : ١٣٧٥/١

الباب الثاني : الفصل الثاني

القيم التربوية والإيمانية المضروبة للمؤمنين

المبحث الأول : تعريف الإيمان لغةً وشرعاً :

أولاً : الإيمان لغةً :

قال "الأزهري " : " مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن " [١]. وأصل آمن أأمن بهمزتين لُينت الثانية "[٢]."وهو من الأمن ضد الخوف "[٣].قال الراغب :" أصل الأمن من طمأنينة النفس وزوال الخوف "[٤].

وقال "الأزهري " : " والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها ، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه ، فقد أدى الأمانة وهو مؤمن ، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤدٍّ للأمانة التي ائتمنه الله عليها وهو منافق "[٥].

وقد اختار شيخ الإسلام في تعريف الإيمان اللغوي أنه بمعنى الإقرار ، لأنه رأى لفظه " أقر " أصدق في الدلالة على معنى الإيمان من غيرها من الألفاظ التي فسر بها الإيمان ، لأمور وأسباب ذكرها -رحمه الله – يأتي الإشارة لبعضها ، ثم إنه ناقش باستفاضة وافية وبتحقيق متين قول من ادعى أن الإيمان مرادف للتصديق ، وذكر فروقاً بين التصديق والإيمان تمنع دعوى الترادف بينهما ، ثم خلص من ذلك إلى أن أولى تفسير لغوي للإيمان هو الإقرار .

وقال – رحمه الله – :" ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق ، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد "[٦].

وقال – رحمه الله – :" ... فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق ، مع

١-تهذيب اللغة للأزهري (١٥ / ٥١٣) .

٢-الصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٧١) .

٣-الصحاح للجوهري (٥ /٢٠٧١).

٤-الأصفهاني ، أبي القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان صـــــــــ٢٥.

٥-تهذيب اللغة (١٥/ ٥١٤).

٦-البدر ، عبد الرزاق عبد المحسن ، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ، دار كنوز إشبيليا ، ط ٢ لعام ١٤٢٧، صـــــــ٣٣.

أن بينهما فرقاً" [1].

يقول الشيخ " عبد الرزاق " :" فالمختار إذا أن لفظة " آمن " لغة بمعنى " أقر" والإيمان لغة هو الإقرار القلبي وهذا الإقرار مشتمل على أمرين :

١-اعتقاد القلب ، وهو تصديقه بالأخبار .

١- عمل القلب ، وهو إذعانه وانقياده للأوامر هذا من جهة اللغة " [2].

تعريف : الإيمان اصطلاحاً:

تعريف الإيمان شرعاً : فهو عند أهل السنة والجماعة قول وعمل .

قال شيخ الإسلام " ابن تيمية " في معرض بيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة وأصولهم التي اتفقوا عليها :" ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح "[3].

فهذه خمسة أمور اشتمل عليها مسمَّى الإيمان عند أهل السنة والجماعة : قول القلب ، وعمله، وقول اللسان ، وعمله ، وعمل الجوارح . والأدلة على دخول هذه الأمور في مسمى الإيمان كثيرة وفيرة ، وفيما يلي ذكر بعضها :

أولاً: قول القلب : وهو تصديقه وإيقانه ، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾[5].

ثانياً : قول اللسان :وهو النطق بالشهادتين ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،

١-الفتاوى (٧/ ٢٩١).

٢-زيادة الإيمان ، ونقصانه وحكم الاستثناء فيه صـــــــ ٣٧ .

٣-هراس ، محمد خليل ، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط ٤ ، صـــــــــــ١١٣.

٤-سورة الزمر الآيتان : ٣٣- ٣٤ .

٥-سورة الحجرات الآية : ١٥.

والإقرار بلوازمها ، قال الله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1].وقال تعالى :﴿ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾[2].

ثالثاً : عمل القلب :وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾[3].وقال تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[4].وغير ذلك من النصوص الدالة على وجوب التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع والإنابة وغير ذلك من أعمال القلوب ، وهي كثيرة جداً في الكتاب والسنة .

رابعاً :عمل اللسان :وهو العمل الذي لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، والدعاء ، والاستغفار ، وغير ذلك من الأعمال التي تؤدى باللسان ، قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾[5].وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[6].وغير ذلك من نصوص الشرع الدالة على أعمال اللسان والطاعات التي تؤدى به.

خامساً: عمل الجوارح : وهو العمل الذي لا يؤدى إلا بها مثل القيام ، والركوع ، والسجود،

١-سورة البقرة الآية : ١٣٦.

٢-سورة القصص جزء من آية :٥٣ .

٣-سورة الأنعام الآية : ٥٢.

٤-سورة الأنفال آية :٢.

٥-سورة فاطر آية : ٢٩.

٦-سورة الأحزاب الآيتان : ٤١، ٤٢.

والمشي في مرضاة الله ، كنقل الخطا إلى المساجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله ، وغير ذلك من الأعمال التي تؤدى بالجوارح ، قال الله – تعالى – :﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[1].وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[2].قال "محمد بن حسين الأجري" في باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح ، لا يكون مؤمناً إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث قال :" اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق ، وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح . ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً ، و لا تجزئ معرفة القلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح ، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمناً دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين "[3].

١-سورة البقرة جزء من الآية :٢٣٨.

٢-سورة الحج الآيتان :٧٧ ، ٧٨.

٣-الأجري ،أبو بكر محمد بن حسين ، الشريعة ،دار الوطن للنشر ، ط٢ لعام ١٤٢٠، (٣/ ٦١١).

المبحث الثاني : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله من الآيات ومناسبة المثل لما بعده من افتتاحية سورة الحجرات :

أولاً : مناسبة المثل لما قبله من الآيات :

قال " المراغي "- رحمه الله – : "بعد أن ذكر أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الإسلام ، ليعلي شأنه على سائر الأديان .. أردف هذا ببيان حال الرسول ، والمرسل إليهم ، فوصفهم كلها مدائح لهم ، وذكرى لمن بعدهم ، وبها سادوا الأمم ، وامتلكوا الدول ، وقبضوا على ناصية العالم أجمع ، وهي :

١- أنهم غلاظ على من خالف دينهم ، وناوأهم العداء رحماء فيما بينهم .

٢- أنهم جعلوا الصلاة والإخلاص لله ديدنهم في أكثر أوقاتهم .

٣- أنهم يرجون بعملهم الثواب من ربهم ، والزلفي إليه ، ورضاه عنهم .

٤- أنهم لهم سيماء ، يعرفون بها ، فلهم نور في وجوههم ، وخشوع وخضوع يعرفه أولو الفطن .

٥- أن الإنجيل ضرب بشأنهم المثل ، فقال : سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر .

ذلك أنهم في بدء الإسلام كانوا قليلي العدد ، ثم كثروا واستحكموا ، وترقى أمرهم يوماً

١-سورة الفتح آية : ٢٩ .

فيوماً، حتى أعجب الناس بهم ، فإن النبي –صلى الله عليه وسلم – قام وحده ، ثم قوَّاه الله بمن معه ، كما يقوِّي الطاقة الأولى من الزرع ما يحيف بها مما يتوالد منها"[1].

ثانياً: مناسبة المثل لما بعده من افتتاحية سورة الحجرات :

وقد ذكر العلماء أكثر من مناسبة فيما بين السورتين ، نذكر منها :

قال "أبو حيان" : " ومناسبتها لأخر ما قبلها ظاهرة ، لأنه ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ، ثم قال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾، فربما صدر من المؤمن عامل الصالحات بعض شيء مما ينبغي عنه ، فقال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[2]وكانت عادة العرب وهي إلى الآن الاشتراك في الآراء"[3].

ومنها: "أن الله تعالى لما بين محل النبي – عليه الصلاة والسلام – وعلو درجته ، بكونه رسوله الذي يظهر دينه ، وذكره بأنه رحيم بالمؤمنين بقوله :﴿ رَّحِيمٌ ﴾، قال : لا تتركوا من احترامه شيئاً ، لا بالفعل ولا بالقول ، و لا تغتروا برأفته ، وانظروا إلى رفعة درجته .

ومنها: أن الله تعالى وصف المؤمنين بكونهم أشداء ﴿ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ورحماء فيما بينهم ، راكعين ساجدين نظراً إلى جانب الله تعالى ، وذكر أن لهم من الحرمة عند الله ما أورثهم حسن الثناء في الكتب المتقدمة بقوله :﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ ﴾، فإن الملك العظيم لا يذكر أحد في غيبته إلا إذا كان عنده محترماً ، ووعدهم بالأجر العظيم ، فقال في هذه السورة : لا تفعلوا ما يوجب انحطاط درجتكم وإحباط حسناتكم و لا تقدموا "[4].

١–المراغي ، أحمد مصطفى ، تفسير المراغي ، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م، (٢٦/ ١١٤، ١١٥).

٢–سورة الحجرات : جزء من آية :١.

٣–البحر المحيط ، أبو حيان (٨/ ١٠٥).

٤–الرازي ، محمد الرازي ابن العلامة ضياء الدين عمر ، التفسير الكبير ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠١ه ، ١٩٨١

لما ختمت سورة الفتح باسم محمد – صلى الله عليه وسلم – ومدح الصحابة – رضوان الله تعالى – عليهم لأجله ،افتتحت هذه السورة بعدم التقدم عليه ، واشتراط الأدب معه في القول والفعل ، للعد من حزبه والفوز بقربه .

ورد في خاتمة سورة الفتح ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾، وفي سورة الحجرات ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾فكأن هذه الآية تبين أن غض الصوت بحضرة النبي – صلى الله عليه وسلم – من مقتضيات الإيمان ، كما أنه جزء من العمل الصالح "[1].

المطلوب الثاني : تفسير آية المثل وبيان أقوال أهل العلم :

قال "محمد نسيب الرفاعي " – رحمه الله – في كتابه تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير: " يخبر تعالى عن محمد – صلى الله عليه وسلم – أنه رسول الله حقاً بلا شك و لا ريب فقال سبحانه ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾وهذا مشتمل على كل وصف كريم جميل ، ثم ثنى بالثناء على أصحابه – رضي الله عنهم – فقال عز من قائل ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾كقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].وهذه صفة عامة يدخل فيها كل مؤمن ورسول الله محمد والأنبياء جميعاً من باب أولى هم أشداء على الكفار رحماء بارون بالأخيار ، غاضبون في وجوه الكفار باشون في وجوه المؤمنين كما قال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾[3].وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى

م، (٢٨/ ١١٠).

١-التفسير الموضوعي (٧/ ٣٣٨، ٣٣٩).

٢-سورة المائدة جزء من آية : ٥٤ .

٣-سورة التوبة جزء من آية : ١٢٣ .

له سائر الجسد بالحمى والسهر)[1] . وقال عليه الصلاة والسلام " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " وشبك – صلى الله عليه وسلم – بين أصابعه[2] .كلا الحديثين في الصحيح. وقوله سبحانه وتعالى :﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾وصفهم بكثرة العمل ، وإن الصلاة خيرُ الأعمال، وبالإخلاص له تعالى واحتساب الأجر عنده ، وهو الجنة المشتملة على الفضل وسعة الرزق، ورضاه تعالى وهذا هو الأكبر كقوله تعالى :﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[3].وقوله جل جلاله :﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾والسيماء هو السمت الحسن وأثر الخشوع لله تعالى . قال بعض السلف : من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس كما روي عن" عمر بن الخطاب "- رضي الله عنه – " من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته " . إلى أن قال الشيخ "محمد نسيب الرفاعي " وقال " مالك" – رضي الله عنه - : بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة- رضي الله عنهم – الذين فتحوا الشام يقولون : والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا . وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وقد نوه الله تعالى بذكرهم في الكتب المترلة . ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا :﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ثم قال عز من قائل : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾أي فراخه

﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾أي شدَّه﴿ فَٱسْتَغْلَظَ ﴾أي شب وطال ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾أي فكذلك أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء : مع الزرع ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾. ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك –رحمه الله – في رواية عنه

١-صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب باب تراحم المؤمنين وتعطفهم ، حديث رقم ٤٦٩١. .

٢-صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ،رقم الحديث ٢٥٨٥.

٣-سورة التوبة جزء من آية : ٧٢ .

بتكفير كل من يبغض الصحابة –ر ضي الله عنهم – ."[1].

قال " السعدي " – رحمه الله – : " يخبر تعالى عن رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه من المهاجرين والأنصار ؛ أنهم بأكمل الصفات وأجل الأحوال ، وأنهم ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾؛ أي: جادين ومجتهدين في عداوتهم ، وساعين في ذلك بغاية جهدهم ، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة ؛ فلذلك ذل أعداؤهم لهم وانكسروا وقهرهم المسلمون ، ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ متحابون متراحمون متعاطفون كالجسد الواحد ، يحبُ أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ، هذه معاملتهم مع الخلق ، وأما معاملتهم مع الخالق ؛ فتراهم ﴿ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾؛ أي : وصفهم كثرة الصلاة التي أجلُّ أركانها الركوع والسجود ،﴿ يَبْتَغُونَ ﴾: بتلك العبادة ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ ؛أي : هذا مقصودهم ، بلوغ رضا ربهم والوصول إلى ثوابه ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ ؛أي : قد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم حتى استنارت ، لما استنارت بالصلاة بواطنهم ؛ استنارت ظواهرهم .

﴿ ذَٰلِكَ ﴾:المذكور ﴿ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾؛أي : هذا وصفهم الذي وصفهم الله به مذكور بالتوراة هكذا . وأما ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾؛ فإنهم موصوفون بوصف آخر ، وأنهم في كمالهم وتعاونهم ﴿ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾أي : أخرج فراخه فوازرته فراخُهُ في الشباب والاستواء ،﴿ فَٱسْتَغْلَظَ ﴾: ذلك الزرع ؛ أي : قوي وغلظ ، ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾: جمع ساق ، ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾من كماله واستوائه وحسنه واعتداله ، كذلك الصحابة – رضي الله عنهم – هم كالزرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم ، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه ، وكون الصغير والمتأخر إسلامه قد لحق الكبير السابق ، ووازره وعاونه على ما هو عليه من إقامة دين الله والدعوة إليه ، كالزرع الذي أخرج شطأه فآزره فاستغلظ ، ولهذا قال : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾:

١-الرفاعي ، محمد نسيب ، تيسير العلي القدير ، مكتبة ابن كثير ، مكتبة المعارف ، الرياض (٤/ ٢١٢).

حين يرون اجتماعهم وشدتهم على دينهم ، وحين يتصادمون معهم وهم في معارك النزال ومعامع القتال ،﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾: فالصحابة – رضي الله عنهم – ، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ، قد جمع الله لهم بين المغفرة التي من لوازمها وقاية شرور الدنيا والآخرة والأجر العظيم في الدنيا والآخرة ."[1].

قال "الباز " في كتابه التفسير التربوي للقرآن الكريم " نجيء إلى ختام السورة بتلك الصورة الوضيئة التي يرسمها القرآن لواقع صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وبذلك الثناء الكريم على تلك الجماعة الفريدة السعيدة التي رضي الله عنها ، وبلغها رضاه فرداً فرداً ، صورة عجيبة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة ؛ فلقطة تصور حالتهم مع الكفار ومع أنفسهم ، فهم أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوتهم وذوو قرابتهم وصحابتهم ولكنهم قطعوا هذه الوشائج كلها ، رحماء فيما بينهم وهم فقط إخوة دين ، فهي الشدة لله والرحمة لله ، وهي الحمية للعقيدة ، والسماحة للعقيدة ، فليس لهم في أنفسهم شيء ، وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها .ثم يختار هيئاتهم وحالاتهم ، هيأة الركوع والسجود وحالة العبادة ، وكأنما هذه هيأتهم الدائمة التي يراها الرائي حيثما رآهم ، وتأتي اللقطة الثالثة لبواطن نفوسهم وأعماق سرائرهم ، وهي صورة لمشاعرهم الدائمة الثابتة ، فكل ما يشغل بالهم وكل ما تتطلع إليه أشواقهم هو فضل الله ورضوانه ، و لا شيء وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه ويشتغلون به .

واللقطة الرابعة تثبت أثر العبادة الظاهرة والتطلع المضمر في ملامحهم ، ونضحها على سماتهم ؛ سيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية ، ومن ذبول الحي الوضيء اللطيف ، وليست هي هذه السيما هي النكتة المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن ، فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة ، وهذه الصورة الوضيئة ليست مستحدثة ، إنما هي ثابتة لهم في لوحة

١-تفسير السعدي صـــــــــــ٩٤٦ ، ٩٤٧ .

القدر وجاء ذكرها في التوراة .

وصفتهم في بشارة الإنجيل بمحمد – صلى الله عليه وسلم – ومن معه ؛ كزرع نامي قوي أخرج أول ما ينشق عنه من الفروع ، والنبت الطري في جوانبه من قوته وخصوبته ، وهذه الفروع لا تضعف العود بل تشده ، فاستغلظ الزرع وضخمت ساقه وامتلأت ، فاستوى لا معوجاً ومحنيا ، ولكن مستقيماً قوياً سوياً ، هذه صورته في ذاته ، أما وقعه في نفوس أهل الخبرة في الزرع فهو وقع البهجة والإعجاب ، وأما وقعه في نفوس الكفار على العكس : فهو وقع الغيظ والكمد ، وهكذا يثبت الله في كتابه الخالد صفة هذه الجماعة المختارة حتى تبقى نموذجاً للأجيال تحاول أن تحققها ، لتحقق معنى الإيمان في أعلى الدرجات ، وفوق هذا التكريم كله وعد الله بالمغفرة والأجر العظيم "[1] .

المطلب الثالث: نوع المثل والغرض الذي من أجله المثل :-

نوع المثل :"هذا المثل مكون من مثلين الأول وصفي والثاني قياسي : لأمر حسي بأخر حسي ، وهو تشبيهي ويتم إيضاح كل من الممثل به والممثل له عن طريق القياس التمثيلي .

وهذان مثلان ضربا لبيان صورة أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وكل من تبعه ، في نشأتهم التي عرفوا الله تعالى بها حق معرفته فكانت عبادتهم أفضل ما يكون وقرنهم خير القرون ، ونماءهم وتكاثرهم بصورة النبات يكون ضعيفاً فيقوى . والممثل به والممثل له كلاهما عبارة عن هيأة مركبة

١- بيان صورة الممثل به

وتظهر من قوله تعالى : ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾معنى أخرج شطأه : أي أخرج نباته ، وقيل قوائمه ، وقيل سنبله وهو فرخ الزرع . ومعنى فآزره فأستغلظ :أي فآزره الصغار الكبار حتى استوى بعضه مع بعض . أي أعانه وتقوى

١-التفسير التربوي للقرآن الكريم ،أنور الباز (٣ /٣١٧ ، ٣١٨).

به .

صورة الممثل به :

أي هو الزرع النامي القوي ، يخرج فرخه من قوته وخصوبته . ولكن هذا الفرخ لا يضعف العود بل يشده ويقويه .أو أن العود هو الذي آزر فرخه فشد أزره . فصار الزرع غليظاً وضخمت ساقه وامتلأ بعد ما كان دقيقاً . فاستقام على قصبه أي لا معوجاً و لا محنياً . وهو يعجب زارعيه بقوته وغلظتة وحسن منظره .

٢-*بيان صورة الممثل له :*

وتظهر من قوله تعالى :﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ومن قوله تعالى :﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾. وهو مثل ضربه الله تعالى للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – بعثه الله وحيداً ثم اجتمع إليه ناس قليل يؤمنون به ، وهو يازرهم ويعرفهم بربهم ليقوي إيمانهم ويخلصوا العبادة لله تعالى وحده ، ثم يكثرون ، وهم أيضاً الذين يدخلون في الإسلام إلى يوم القيامة ، والذين يوازروهم الداعون إلى المعروف والناهون عن المنكر فيكثرون فيغيظ الله تعالى بهم الكفار ، وذلك لكثرتهم ولصفاتهم التي وصفهم الله بها في الآية "[1] .

الغرض من المثل :

"الغرض من هذا المثل الذي ضربه الله في هذا المثل هو من باب المدح والتعظيم فما ضربه الله من مثل لأصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – في التوراة والإنجيل ، وذكره لنا القرآن بقوله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾أي : وصفهم في التوراة .

من الظاهر أن الله تبارك وتعالى كما بشر بمحمد وأصحابه في التوراة والإنجيل بذكر صفاتهم ،

١-الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة صـــــــــــ١٤٣، ١٤٤.

فقد مدحهم فيهما ببيان أوصافهم الرفيعة السامية .

فمثلهم في التوراة جاء بذكر صفاتهم دون تشبيه .

ومثلهم في الإنجيل جاء عن طريق تشبيههم بالزرع الذي ينمو ويتعاظم بسرعة عجيبة ."[1]

وبيان هذه الصفات التي تكون نبراس للمهتدي وقدوة للساعي فمن أغراض هذه الأمثال بيان القدوة والتأسي بها .

المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً : من الفوائد البلاغية" التشبيه التمثيلي في قوله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ شبههم بالزرع الذي يستمر في نمائه حتى يستوي على سوقه ، يعجب الزراع فيغيظ الكافر الحاسر ، فوجه الشبه مركب من التدرج في النمو ، والتحول من القلة إلى الكثرة إلى الاستحكام والقوة ."[2]

ثانياً: ومن الفوائد البلاغية لكلمة "من" (لبيان الجنس)

تأتي (مِن) لبيان الجنس ، وكثيراً ما تقع بعد (ما) و (مهما) وهما بها أولى ، لإفراط إبهامها ، كقوله تعالى : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[3].﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾[4].. ومن وقوعها بعد غيرهما قوله تعالى :﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾[5].وفي كتاب "المصاحف" لابن الأنباري أن بعض الزنادقة تمسك بقوله تعالى :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾في الطعن على بعض الصحابة ، لأن منهم –

١-أمثال القرآن ، للميداني ،صـــــــــــ٩٩.

٢-الجداول في إعراب القرآن (١٣ / ٢٧٢).

٣-سورة فاطر جزء من آية :٢ .

٤-سورة البقرة جزء من آية :١٠٦.

٥-سورة الكهف جزء من آية :٣١.

بزعمه – تفيد التبعيض ، وهي ليست كذلك ، بل هي للتبين ، أي الذين آمنوا هم هؤلاء ."[1].

ثالثًا: ومن الفوائد البلاغية : "أسلوب التكميل في قوله: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾، لأنه لو اكتفى بقوله :﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾لربما أوهم الفظاظة والغلظة فيما بينهم ، فكمل بقوله : ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾رفعاً لذلك الوهم ، فيكون من أسلوب التكميل "[2].

رابعًا : قال "الهرري " :" وقد اجتمعت حروف الهجاء التسعة والعشرون في هذه الآية ، وهي ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخر السورة ، أول حرف المعجم فيها ميم من محمد ، وآخرها صاد من الصالحات ، وتقدم نظير ذلك في سورة آل عمران في قوله : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[3].وليس في القرآن آية جمعت فيها حروف المعجم غيرهما "[4].

خامسًا : ومن الفوائد الإيمانية في قوله تعالى :﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾فهذا كله شهادة منه لرسوله ، قد أظهرها وبينها ، وبين صحتها غاية البيان ، بحيث قطع العذر بينه وبين عباده ، وأقام الحجة عليهم . فكونه سبحانه شاهداً لرسوله : معلوم بسائر أنواع الأدلة : عقليها ونقليها وفطريها وضروريها ونظريها .ومن نظر في ذلك وتأمله : علم أن الله سبحانه شهد لرسوله أصدق الشهادة ، وأعدلها وأظهرها . وصدقه بسائر أنواع التصديق : بقوله الذي أقام البراهين على صدقه فيه ، وبفعله

١-الجداول في إعراب القرآن (١٣ / ٢٧٢ ، ٢٧٣).

٢-تفسير الروح والريحان (٢٧ / ٣٢٧).

٣-سورة آل عمران آية :١٥٤ .

٤-تفسير الروح والريحان (٢٧ / ٣٢٨).

وإقراره ، وبما فطر عليه عباده : من الإقرار بكماله ، وتنزيهه عن القبائح ، وعما لا يليق به "[1].

سادسًا : ومن الفوائد التربوية ما قاله "الهرري " – رحمه الله – " في قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ تعليل لما تضمنه تمثيلهم بالزرع الموصوف من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة لأن كونهم بتلك الحالة من تقدير الله لهم أن يكونوا عليها فمثل بأنه فعل ذلك ليغيظ بهم الكفار "[2].

سابعًا:قال الدكتور "مصطفى مسلم " :" استنبط الإمام مالك من الآية تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة – رضي الله عنهم – ، فإنهم يغيظونهم ، ومن غاظ الصحابة فهو كافر . ووافقه كثير من العلماء ، والظاهر أنهم فسَّاق . وقد ذكر عنده رجل ينتقص الصحابة فقرأ مالك هذه الآية ، وقال : ومن أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد أصابته هذه الآية . قال بعض العلماء عن خلافات الصحابة والاقتتال الذي حدث بينهم : تلك دماء قد طهر الله منها أيدينا ، فلا نلوث بها ألسنتنا ، وسبيل ما جرى بينهم كسبيل ما جرى بين يوسف وإخوته "[3].

ثامنًا: ومن الفوائد الإيمانية :أن هذا المثل كذلك ليس مستحدثاً ، فهو ثابت في صفحة القدر . ومن ثم ورد ذكره قبل أن يجيء محمد – صلى الله عليه وسلم – ومن معه إلى هذه الأرض . ثابت في الإنجيل في بشارته بمحمد – صلى الله عليه وسلم – ومن معه حين يجيئون وهكذا يثبت الله في كتابه الخالد صفة الجماعة المختارة .. صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فثبت في صلب الوجود كله ، وتتجاوب بها أرجاؤه ، وهو يتسمع إليها من بارئ الوجود وتبقى نموذجاً للأجيال ، تحاول ان تحققها ، لتحقق معنى الإيمان في أعلى الدرجات .

تاسعًا: ومن الفوائد الإيمانية أيضاً أن الصحابة كلهم عدول ،أولياء الله تعالى وأصفياؤه ، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله . هذا مذهب أهل السنة ، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة .

١-الضوء المنير على التفسير (٥ / ٤٠٥ ، ٤٠٦) .

٢-تفسير التحرير والتنوير (٢٦ / ٢١٠).

٣-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٧/ ٣٣٢).

وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم ، فيلزم البحث عن عدالتهم ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر فقال : إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك ، ثم تغيرت بهم الأحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء فلابد من البحث .

وهذا مردود،فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم – رضي الله عنهم – ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم،ووعدهم بالجنة بقوله تعالى: ﴿ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك .وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم ، إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد ، وكل مجتهد مصيب "[1].

عاشراً: ومن الفوائد التربوية والإيمانية ما قاله الشيخ الدكتور " محمد بكر إسماعيل " :"هذه صورة وضيئة لمحمد –صلى الله عليه وسلم – وأصحابه الكرام البررة ، يرسمها القرآن الكريم بأسلوبه البديع المقنع الممتع . صورة تنبئ به من خلق فاضل ، وكمال وافر ، وقوة في الحق ، وشدة في حماية الدين ونصرته ، وما جبلوا عليه من رحمة وسماحة فيما بينهم . إنها صورة تعبر عن حسن صلتهم بالله وكمال إخلاصهم في طاعته وعبادته ، على نحو لم يسبق إليه ، وعلى درجة من الصدق لم يبلغها غيرهم من الأمم السابقة ، إلى الحد الذي جعل أهل الكتاب يشهدون لهم بذلك ، لأن أوصافهم هذه مذكورة في كتبهم "[2].

حادي عشر : ومن الفوائد التربوية والإيمانية ما قاله الدكتور " محمد بكر إسماعيل " : " قال الرازي : قوله تعالى :﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾لتمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم ، وركوع المرائي وسجوده فإنه لا يبتغي به ذاك ثم قال:" وفي معنى لطيف ، وهو أن الله – عز وجل – لم يقل يبتغون أجراً من الله ورضوانا، وإنما قال " يبتغون فضلاً " اعترافاً منهم

١-الجامع لأحكام القرآن القرطبي (١٦ / ٢٩٧) .

٢-الأمثال القرآنية دراسة تحليلية ، محمد بكر إسماعيل صـــــــــ٢٤٣.

بالعجز عن القيام بحقه سبحانه ، والتقصير في شكره ، فهم من أجل ذلك يطلبون فضل الله ، لأنهم يرون أن عملهم هذا لا يستحقون عليه أجراً ، فإن منحهم الله الأجر على عبادتهم فذلك محض تفضل منه وإحسان ."[1].

ثان عشر : ومن الفوائد التربوية في قوله تعالى :﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾والتعبير بقوله يشعر بأن هذه هيأتهم الدائمة التي يراها الرائي حيثما رآهم ، حتى كأنهم يقضون زمانهم لله ركعاً سجداً.

المبحث الثالث :- وفيه دراسة المثل في قوله تعالى :﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[2]

المطلب الأول :المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها وهو المثل وكذا مناسبة المثل مع المثل السابق وكذاالمناسبة بين المثل ومحور السورة :

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها :

يقول " البقاعي " : " وقد أتم سبحانه الأمثال في الآداب بالثيبات والأبكار الأخيار والأشرار فانعطف آخر السورة على أولها في المعاني والآداب ، وزاد ذلك حسناً كونها في النساء في الذوات والأعيان بزواج النبي –صلى الله عليه وسلم – لآسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران في الجنة دار القرار السالمة عن الأكدار ، الزواج الأبدي ، فصار أول السورة وآخرها في أزواجه – صلى الله عليه وسلم – وفي ختامها بالقنوت الذي هو خلاصة الأوصاف الماضية في الإبدال المذكورات أعظم مناسبة والله الهادي "[3].

مناسبة المثل لما قبله من الآيات وهو مثل أيضاً:

قال " ابن عاشور ":" لما ضرب المثل للذين كفروا أعقب بضرب مثل للذين آمنوا لتحصل المقابلة

١-المصدر السابق صـــــــــ٢٤٦.

٢-سورة التحريم آية: ١١ ،١٢ .

٣-نظم الدرر (٢٠/ ٢١٥).

فيتضح مقصود المثلين معاً ، وجريا على عادة القرآن في إتباع الترهيب بالترغيب .

وجعل المثل للذين آمنوا بحال امرأتين لتحصل المقابلة للمثلين السابقين ،فهذا من مراعاة النظير في المثلين . وجاء أحد المثلين للذين آمنوا مثلاً لإخلاص الإيمان . والمثل الثاني لشدة التقوى . فكانت امرأة فرعون مثلاً لمتانة إيمان المؤمنين ومريم مثلاً للقانتين لأن المؤمنين تبرءوا من ذوي قرابتهم الذي بقوا على الكفر بمكة "[1].

المناسبة بين المثل ومحور السورة :

"إن أكثر مزالق المرأة بالمال والزينة والجاه والتباهي بالمكانة الاجتماعية أو تكون بشهوة الفرج و الانسياق وراء الغريزة البهيمية في الجنس .

والأنموذجان الصالحان يمثلان المترفعات عن هذين المتزلقين فاستحقا التكريم وخلود الذكر والثناء إلى يوم الدين .فالمناسبة بين المقطع ومحور السورة واضحة وثيقة ، حيث التربية بضرب المثل بالنماذج المنحرفة لاجتناب التشبه بها . وضرب بالنماذج الصالحة للإقتداء به ."[2].

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم :

قال " الطبري "-رحمه الله - :"القول في تأويل قوله تعالى :﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾يقول تعالى ذكره :وضرب الله مثلاً للذين صدقوا الله ووحدوه امرأة فرعون، التي آمنت بالله ووحدته ، وصدقت رسوله موسى ، وهي تحت عدوٍّ من أعداء الله كافر ، فلم يضرُها كفرُ زوجها ، إذ كانت مؤمنة بالله ، وكان من قضاء الله في خلْقِه ألا تزر وازرةٌ وزرَ أُخرى ، وأنَّ لكلِّ نفس ما كسبت ، إذ قالت :﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾. فاستجاب الله لها ،

١-تفسير التحرير والتنوير (٢٨ /٣٧٦).

٢-التفسير الموضوعي (٨ /٢٥٨).

فبنى لها بيتاً في الجنة ."[1].

وقال " الطبري " –رحمه الله – : " القول في تأويل قوله تعالى :﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾. يقول تعالى ذكره : وضرب الله مثلاً للذين آمنوا مريم ابنةَ عمرانَ ، ﴿ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾. يقول: التي منَعت جيبَ دَرْعِها جبريل – عليه السلام – . وكلُّ ما كان في الدرع من خَرْق أو فتق يُسمَّى فَرْجاً، وكذلك كلُّ صَدْع وشقٍّ في حائط ، أو فرج سقف ، فهو فرج.

وقوله :﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾. يقولُ : فنفخنا فيه في جَيْبِ درعها ، وذلك فرجُها ، ﴿ مِن رُّوحِنَا ﴾: من جبريلَ ، وهو الروحُ. وبنحو ذلك قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ."[2].

قال العلامة "أحمد شاكر" – رحمه الله – في كتابه عمدة التفسير :" وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذ كانوا محتاجين إليهم ، كما قال تعالى :﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [3].قال قتادة: كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعده ، فوالله ما ضر امرأته كُفر زوجها حين أطاعت ربها لتعلموا أن الله حكم عدل ، لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه . فقولها : ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾أي : بواسطة الملك ، وهو جبريل ، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي ، وأمره الله تعالى أن ينفخ في جيب درعها ، فنزلت النفخة فولجت في فرجها ، فكان منه الحمل بعيسى ،– عليه السلام – ولهذا قال : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾أي : بقدره وشرعه ﴿ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾روى الإمام أحمد عن "ابن عباس "– رضي الله

١– تفسير الطبري (٢٣ / ١١٤).

٢– تفسير الطبري (٢٣ / ١١٦).

٣– سورة آل عمران جزء من آية :٢٨ .

عنهما- قال: خط رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الأرض أربعة خطوط ، وقال : " أتدرون ما هذا ؟" قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون "[1].وثبت في الصحيحين عن " أبي موسى الأشعري " – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : " كَمُلَ من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خُوَيلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام "[2][3].

قال "الباز" – رحمه الله – : " وها هي ذي امرأة فرعون ، لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه ، في قصر فرعون ، عن طلب النجاة وحدها ، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتاً في الجنة ، وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه ، وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها منه شيء، وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم ، ومريم ابنة عمران كانت كذلك مثلاً للتجرد لله منذ نشأتها، ويذكر هنا تطهرها وإيمانها الكامل وطاعتها ، فإن الله بعث إليها جبريل فتمثل لها صورة بشر سوى ، وأمره الله أن ينفخ فيه : في جيب درعها ، فنزلت النفخة فولجت في فرجها بقدره وشرعه ."[4].

قال " المراغي " – رحمه الله – : " أي وجعل الله حال امرأة فرعون مثلاً يبين به أن وصلة المؤمنين بالكافرين لا تضرهم شيئاً إذا كانت النفوس خالصة من الأكدار ، فقد كانت تحت أعدى أعداء الله في الدنيا ، وطلبت النجاة منه ومن عمله ، وقالت في دعائها : رب اجعلني قريباً من رحمتك ، وابن لي بيتاً في الجنة ، وخلصني من أعمال فرعون الخبيثة ، وأنقذني من قومه الظالمين . وفي هذا

١- المسند (٢٦٦٨) وقال الهيثمي في الزوائد (٩ / ٢٢٣) : " رجاله رجال صحيح " وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر .

٢- البخاري (٥٤١٨) ومسلم (٢٤٣١).

٣- شاكر ، أحمد ، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ، دار الوفاء ،الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ،(٣/ ٥٥٠) .

٤- التفسير التربوي (٣/ ٤٥٧).

دليل على أنها كانت مؤمنة مصدقة بالبعث ، ومن سنن الله أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن لكل نفس ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت . ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾أي وضرب الله مثلاً للذين آمنوا حال مريم وما أوتيت من كرامة الدنيا وكرامة الآخرة ، فاصطفاها ربها مع أن أكثر قومها كانوا كفاراً ، من قبل أنها منعت جيب درعها جبريل عليه السلام وقالت له:﴿ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾[1]. فأثبتت بذلك عفتها وكمال طهارتها ، فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت بنبي الله وكلمته عيسى – صلوات الله عليه – ، وصدقت بشرائع الله وكتبه التي أنزلها على أنبيائه ، وكانت في عداد القانتين العابدين المخبتين لربهم المطيعين له ."[2].

المطلب الثالث : الغرض الذي من أجله ضرب المثل : الغرض الذي من أجله ضرب هذا المثل هو (التربية بإبراز القدوة الحسنة ، والحث على الاقتداء بها ، والتنفير من ضدها).

"الأمثال من أفضل السبل للتربية ، وتقويم المسالك ، وإصلاح النفوس ، وصقل الضمائر ، وتهذيب الأخلاق ، وتنمية الفضائل السامية "ويكون ذلك بتقديم النماذج البشرية الصالحة والنماذج البشرية الطالحة ، بقصد توجيه النفوس المخاطبة إلى الاقتداء بالصالحين وتنفيرها من الطالحين .

قال "الجربوع " : " ومما تقدم يتبين أن من أغراض ضرب الأمثال في القرآن الكريم غرضاً تربوياً يتجلى في إبراز النماذج الخيرة الصالحة وبيان أعمالهم وأحوالهم وما آل إليه مصيرهم في الدنيا والآخرة لتكون قدوة صالحة يُرغب ويُحث على الاقتداء بهم ، وإبراز النماذج الشريرة الضالة وتجلية صفاتهم وأعمالهم وأحوالهم وكيف كانت عاقبتهم ، ليحذر منهم ومن طريقهم ؛ ولا شك أن هذا الأسلوب من أهم أساليب التربية وأكثرها تأثيراً"[3].

١- سورة مريم جزء من آية : ١٨ .

٢- تفسير المراغي (٢٨ / ١٦٩).

٣- الجربوع ، عبد الله بن عبد الرحمن ، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ، طبعة الجامعة الإسلامية

المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: من الفوائد البلاغية الإطناب في قوله :﴿ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾بعد قوله : ﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾مبالغة في الدعاء .

ثانياً : ومن الفوائد البلاغية ما ذكره "الهرري " –رحمه الله –:"الاستخدام في قوله :﴿ فَنَفَخْنَا ﴾؛ لأن المراد بلفظ الفرج،العضو،وأريد بضميره معنى آخر،وهو: الجيب ، وهو من المحسنات البديعية . وفيه أيضاً الإسناد المجازي ، حيث أسند النفخ إلى الضمير مع أن النافخ هو جبريل – عليه السلام – "[1].

ثالثًا : ومن الفوائد البلاغية أيضاً ما ذكره " ابن عاشور " – رحمه الله – : " وتفريع ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾تفريع العطية على العمل لأجله . أي جزيناها على إحصان فرجها ، أي بأن كوَّن الله فيه نبيئا بصفة خارقة للعادة فخلد بذلك ذكرها في الصالحات .

والنفخ : مستعار لسرعة إبداع الحياة في المكون في رحمها . وإضافة الروح إلى ضمير الجلالة لأن تكوين المخلوق الحي في رحمها كان دون الأسباب المعتادة ، أو أريد بالروح الملك الذي يؤمر بنفخ الأرواح في الأجنة ، فعلى الأول تكون (من) تبعيضية ، وعلى الثاني تكون ابتدائية ، وتقدم قوله تعالى:﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾[2] [3].

رابعًا : ومن الفوائد البلاغية والتربوية ما قاله "الهرري " – رحمه الله – : " الإضافة في قوله تعالى : ﴿ مِن رُّوحِنَا ﴾. ومنها تغليب الذكور في قوله :﴿ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾إشعاراً بأن طاعتها لم

١٤٢٤، (٣ / ١٧٠).

١-تفسير حدائق الروح والريحان (٢٩ / ٥٠٣).

٢- سورة الأنبياء جزء من آية :٩١ .

٣-تفسير التحرير والتنوير (٢٨ / ٣٧٨).

تقصر عن طاعة الرجال حتى عدت من جملتهم ."[1].

خامساً *:* ومن الفوائد البلاغية والإيمانية ما ذكره " ابن عاشور " في تفسيره في قوله تعالى :﴿ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾" ويجوز أن تجعل ﴿ مِنَ ﴾للتبعيض ، أي هي بعض من قنت لله . وغلبت صيغة جمع الذكور و لم يقل : من القانتات ، جرياً على طريقة التغليب وهو من تخريج الكلام على مقتضى الظاهر. وهذه الآية مثال في علم المعاني . ونكتته هنا الإشارة إلى أنها في عداد أهل الإكثار من العبادة وأن شأن ذلك أن يكون للرجال لأن نساء بني إسرائيل كن معفيات من عبادات كثيرة . ووصفت مريم بالموصول وصلته لأنها عُرفت بتلك الصلة من قصتها المعروفة من تكرر ذكرها فيما نزل من القرآن قبل هذه السورة ."[2].

سادساً *:*ومن الفوائد التربوية والإيمانية ما قاله " ابن القيم " : قال "يحيى بن سلام" : ضرب الله المثل يحذر عائشة وحفصة ، ثم ضرب لهما المثل الثاني يحرضهما على التمسك بالطاعة "[3].

سابعاً *:* ومن الفوائد التربوية والإيمانية ما قاله " ابن القيم ":" وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم أيضاً اعتبار آخر ، وهو أنها لم يضرها عند الله شيئاً قَذْفُ أعداء الله : اليهود لها ، ونسبتهم إياها وابنها إلى ما بَرَّأهما الله عنه ، مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين ؛ فلا يضر الرجل الصالح قَدْحُ الفجار و الفساق فيه ، وفي هذا تسلية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك، وتوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كانت قبلها كما في ذكر التمثيل بامرأة نوح ولوط تحذيرٌ لها ولحفصة مما اعتمدتاه في حق النبي –صلى الله عليه وسلم – ، فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن والتخويف ، والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد ، والتسلية وتوطين النفس لمن أوذي منهن وكذب عليه ! وأسرار التنزيل فوق هذا وأجل منه ، و لا سيما أسرار الأمثال التي

١-تفسير حدائق الروح والريحان (٢٩ / ٥٠٣ ، ٥٠٤).

٢-تفسير التحرير والتنوير (٢٨ / ٣٧٩).

٣-الضوء المنير على التفسير (٦/ ١١٢).

لا يعقلها إلا العالمون ."[1].

ثامنًا : من الفوائد التربوية والإيمانية ما ذكره " محمود صافي " – رحمه الله – : " التعريض : في قوله تعالى :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾الآية في ضرب هذين التمثلين تعريض بأمي المؤمنين ، المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما كرهه ، وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده ، لما في التمثيل من ذكر الكفر ؛ وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين ، وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله والتعريض بحفصة أرجح ، لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " [2].

تاسعًا : ومن الفوائد التربوية والإيمانية ما ذكره الدكتور " محمد بكر إسماعيل " : ومريم ابنة عمران قد عطفت على امرأة فرعون لتشابههما في الإيمان ، والإخلاص لله ، والطهر والعفاف ، وغير ذك من الصفات الحميدة . وقد أفرد الله كلا من هاتين المرأتين الصالحتين بالذكر تنبيها على أن كل امرأة منهما فريدة في نوعها ، وحيدة في إيمانها وطهرها وعفافها وفي أهل عصرها . وأيضاً لاختلافهما في الشأن والحال ، فهذه مؤمنة تحت كافر لعين ، وتلك لا زوج لها بخلاف امرأة نوح وامرأة لوط ."[3].

عاشرًا : ومن الفوائد التربوية والإيمانية أيضاً" وقد يقال أيضاً : أن السر في افراد كل منهما هو التفاوت في الفضل ، فمريم ابنة عمران أم نبي مرسل ، وفيها كانت النفخة ، لهذا وصفت بما لم توصف به امرأة فرعون ، ولعله السر في تأخير ذكرها لتكون مسك الختام فإن قلت : لم ذكرها هنا باسمها ، واسم أبيها قلت لأن كلا ممن تقدم من النساء قد عرفت بالإضافة إلى زوجها ، ومريم

١-المصدر السابق (٦/ ١١٢).

٢-الجداول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه (١٥ / ١١).

٣-الأمثال القرآنية ،محمد بكر إسماعيل صـــــــــــــ٢٧٠ ، ٢٧١ .

ليس لها زوج فعرفت باسم أبيها ، وإن كانت علماً في ذاتها ."[1].

حادي عشر : ومن الفوائد التربوية والإيمانية أيضاً" فإن قلت : لم قال الله هناك : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾[2].وقال هنا ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾؟!قلت :لأن المقصود هناك إثبات براءتها بالأصالة ، واثبات أنها بحملها من غير أن يمسها بشر آية في حد ذاتها ، مضاف إليها آية أخرى هي عيسى – عليه السلام – ولما كانت هي وابنها موضعاً واحداً للإعجاز والإبداع جعلهما الله كآية واحدة . أما هنا فالمقصود الأصلي إثبات طهرها وعفتها وتحصين فرجها من النكاح بقسميه"[3].

ثان عشر : ومن الفوائد التربوية ما قاله الشيخ " مصطفى العدوي " – حفظه الله – في المستفاد من قوله:﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾" ذكر بعض العلماء بعض المستفاد من ذلك، وهو الحرص على اختيار الجار قبل الدار ، فإذا ذهبت لشراء بيت أو استئجاره فانظر إلى الجار هل هو من الصالحين أم من الأشرار الفجار ، فهو الذي سيستدعي عند المصائب ، وهو الذي يؤذي أو يسعد بإذن الله ، فهل ستستمع منه إلى قرآن يتلى وصلوات تقام ، وهدى ونور وتُقى . فلا ينبغي من ثم أن تذهب وتنظر إلى أسقف الغرف كيف هي ، قبل نظرك إلى الجيران وكيف أخلاقهم ، وقد علم أن الصالحين لا يشقى بهم جليسهم ، والموفق من وفقه الله ."[4].

ثالث عشر : ومن الفوائد التربوية ما قاله الشيخ " مصطفى العدوي " – حفظه الله – : ووجه الاستفادة من المثل المضروب لامرأة فرعون ووجه ذلك : بيان أن أحداً لا يملك إغواء أحد إلا بإذن الله، فها هو فرعون من أكبر الطغاة الذين عرفهم التاريخ ، مع كونه يذبح الأبناء ويسوم الناس سوء العذاب ، إلا أنه لم يملك قلب امرأته و لا تحويلها و لا صرفها عما هي عليه من إيمان

١-المصدر السابق صـــــــــــــ٢٧١ .

٢-سورة الأنبياء جزء من آية :٩١.

٣-سورة الأنبياء جزء من آية :٩١.

٤-التسهيل لتأويل التنزيل (جزء قد سمع) ، الشيخ مصطفى العدوي صـــــــ٣٨١ .

وهدى .

ووجه آخر : أن التذكير بامرأة فرعون فيه حثٌ للمؤمنين على الصبر كما صبرت ، فهي إمرأة ضعيفة في بيت جبار من الجبابرة ، وصبرت بتصبير الله لها ."[1]

١-التسهيل لتأويل التنزيل صـــــــــ٣٨١.

المبحث الرابع :- بيان الصفات الجامعة للمؤمنين من خلال الأمثال القرآنية المتقدمة ، وأسباب زيادة الإيمان .

المطلب الأول : الصفات الجامعة للمؤمنين من خلال الأمثال القرآنية المتقدمة ، وبيان أسباب زيادة الإيمان:

لاشك أن صفات المؤمنين في كتاب الله تعالى كثيرة ومتنوعة صدع بها كتاب الله تعالى وجهرت بها سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – ولكن في هذا المبحث نعرض لأهم الصفات التي جاءت في المثلين السابقين في المؤمنين وهي :

الصفة الأولى : أشداء على الكفار رحماء بينهم :

إن المؤمنين تعلموا من النبي – صلى الله عليه وسلم – كيف يعاملون الكفار، وكيف يشتدون عليهم ، ويصدقون الله عند لقائهم ، وكيف يثبتون أمامهم على قلة عددهم وعتادهم ، وتعلموا منه كيف تكون الرحمة ، ومتى وأين ، ولمن تكون ، حتى تطيعوا – صلى الله عليه وسلم – ونهجوا على نهجه الصافي في عاداتهم وعباداتهم ومعاملاتهم .والشدة على الكافر والرحمة بالمؤمنين صفتان يتميز بهما المجتمع المسلم في كل زمان ومكان ، إلا أن أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – قد ضربوا فيه بسهم وافر ، وكانوا مثلاً لمن بعدهم .قال " الهرري":في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ أسلوب التكميل ،لأنه لو اكتفى بقوله :﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾لربما أوهم الفظاظة والغلظة فيما بينهم ، فكمَّل بقوله :﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾رفعاً لذلك الوهم ، فيكون من أسلوب التكميل ."[1].

وفي هذه الصفة يقول "سيد قطب " :" إرادة التكريم واضحة ، وهو يسجل لهم اللقطة الأولى أنهم

١-تفسير الروح والريحان (٢٧ /٣٢٧).

: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾.. أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوتهم وذوو قرابتهم وصحابتهم ، ولكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعاً . رحماء بينهم وهم فقط إخوة دين . فهي الشدة لله والرحمة لله . وهي الحمية للعقيدة ، والسماحة للعقيدة . فليس لهم في أنفسهم شيء ، و لا لأنفسهم فيهم شيء .وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم ، كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها . يشتدون على أعدائهم فيها ، ويلينون لإخوتهم فيها . قد تجردوا من الأنانية ومن الهوى ، ومن الانفعال لغير الله ، والوشيجة التي تربطهم بالله ."[1].

الصفة الثانية : مداومتهم على العبادة :

وكيف لا تكون العبادة هي همهم وهم العباد فرسان النهار، رهبان الليل وقدوتهم النبي – صلى الله عليه وسلم – كانت قرة عينه في الصلاة فالعبادة على رؤوس العباد أحلى من التيجان على رؤوس الملوك ... وإذا سئم البطالون من بطالتهم ، فلن يسأم العباد من عبادة ربهم ومناجاتهم له ... فهي دواء الجنون، كما قال أبو مسلم الخولاني لرجل لما رآه كثير الذكر ، فقال له الرجل : أمجنون أنت ؟ فقال أبو مسلم : هذا دواء الجنون .ولاشك أن أعظم العبادات هي الصلاة بروكعها وسجودها ولذا هذه الصفة التي جاءت في المثل وهي تعبر عن الصلاة فعبر عن العبادة عموماً والصلاة خصوصاً بالركوع والسجود كما قال الله تعالى :﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾وكما قال " صلى الله عليه وسلم " :" الصلاة خير موضوع ، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر "[2] لأن بها تبدو قوة الإيمان في شهود ملازمة خدمة الأركان ، ومن كان أقواهم إيماناً كان أكثرهم وأطولهم صلاة وقنوتاً وإيقاناً.

قال "الراشد":" وسجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة : سيماء يحتكرها المؤمنون ..

١-تفسير الظلال (٦ / ٣٣٣٢).

٢-حسن . رواه أحمد وابن حبان والحاكم في صحيحه عن أبي ذر . ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ، وحسن الحديث الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٦٤).

ولئن توهم الدنيوي جناته في الدينار ، والنساء ، والقصر المنيف ، فإن جنة المؤمن في محرابه "[1].

قال : "سيد قطب " – رحمه الله – :" وإرادة التكريم واضحة وهو يختار من هيئاتهم وحالاتهم ، هيأة الركوع والسجود وحالة العبادة :﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾... والتعبير يوحي كأنما هذه هيأتهم الدائمة التي يراها الرائي حيثما رآهم . ذلك أن هيأة الركوع والسجود تمثل حالة العبادة ، وهي الحالة الأصيلة لهم في حقيقة نفوسهم ؛ فعبر عنها تعبيراً يثبتها كذلك في زمانهم ، حتى لكأنهم يقضون زمانهم كله ركعاً سجداً."[2].ولاشك أن آيات سورة المؤمنين تبين صفات المؤمنين ومنها الخشوع في الصلاة قال الله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[3].

الصفة الثالثة :ابتغاؤهم ما عند الله :

واستمدت هذه الصفة من قوله تعالى :﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾والمقصود هنا هو الإخلاص وطلب ما عند الله تعالى قال " سيد قطب " – رحمه الله – :" فهذه هي صورة مشاعرهم الدائمة *الثابتة* . كلما يشغل بالهم ، وكل ما تتطلع إليه أشواقهم ، هو فضل الله ورضوانه . و لا شيء وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه ويشتغلون به "[4].

وقال " الرازي " –رحمه الله –"قوله تعالى :﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾لتمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم ، وركوع المرائي وسجوده فإنه لا يبتغي به ذلك"[5].

"وفيه معنى لطيف ، وهو أن الله عز وجل لم يقل يبتغون أجراً من الله ورضوان ، وإنما قال:

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا ﴾*اعترافاً* منهم بالعجز عن القيام بحقه سبحانه ، والتقصير في شكره ، فهم من أجل ذلك يطلبون فضل الله ، لأنهم يرون أن عملهم هذا لا يستحقون عليه أجراً ، فإن منحهم الله

١-الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص ١٥ .

٢-تفسير الظلال (٦ / ٣٣٢).

٣-سورة المؤمنون الآيتان : ١، ٢.

٤-تفسير الظلال (٦ / ٣٣٣٢).

٥-التفسير الكبير (٢٨ / ١٠٧).

الأجر على عبادتهم فذلك محض تفضل منه وإحسان."[1]. ولا شك أن ذلك من عظيم الإخلاص وهضم حق النفس الذي هو شعار أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – والأمثلة على تمام إخلاص الصحابة نكتفي بذكر نموذج لإمام من أئمة الهدى لـــأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يعتق العبيد في بداية الدعوة، فقد كان يشتري العبيد بكثرة ويدفع أموالاً كثيرة لذلك، وكان – رضي الله – عنه يشتري العبيد الضعفاء والفقراء، من الرجال ومن النساء على السواء، فقال له أبوه أبو قحافة وكان لا يزال مشركاً: يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك أعتقت رجالاً أشداء يمنعونك، فقال الصديق –رضي الله عنه– وأرضاه: "يا أبت إنما أبتغي وجه الله عز وجل، أي: أنا لا أريد غير رضا الله سبحانه وتعالى، وهذا هو الإخلاص، فأنزل الله عز وجل قوله:﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾[2]. وهذه من أعظم مناقب الصديق –رضي الله عنه –وأرضاه بأن الله عز وجل يشهد له بأنه الأتقى،﴿ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾[3].أي: لا يريد غير رضا الله سبحانه وتعالى فقط، ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[4]وهذه هي نتيجة الإخلاص أن يرضى الله عنه .

كيفية الإخلاص وهنا من الممكن أن يقول أحدهم: والله إن هذا الكلام سهل، لكن التطبيق صعب بل عسير، فأقول له: صدقت، فهو شيء صعب فعلاً، وأحد التابعين كان يقول: ما عالجت شيئاً أشد عليَّ من نيتي. أي: أكثر شيء صعب عليَّ النية والإخلاص، لكن لا بد أن تكون هناك طريقة لزرع الإخلاص، فالله سبحانه وتعالى لم يطلب منا شيئاً إلا وهو يعلم أنا نقدر على فعله، فمن الممكن أن يقول شخص: قل لي طريقة عملية إذا فعلتها زرعت الإخلاص في قلبي، سأقول له: أعط لله قدره تخلص له، فأبرز هذه العبارة واجعلها دائماً صورة في خيالك، لأننا إذا عرفنا قدر الله عز وجل فليس من الممكن أن نشتغل بغيره، يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ

١-الأمثال القرآنية ، محمد بكر إسماعيل صـــــــــــ٢٤٦.

٢-سورة الليل آية :١٧.

٣-سورة الليل الآيات:١٨- ٢٠.

٤-سورة الليل آية :٢٩.

﴾[1]. فهذا المرض: أن الناس لم يعطوا الله عز وجل قدره، ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[2].، وهذه بعض علامات قدرة الله عز وجل، وهذا الذي يمكن أن نفعله: تعظيم وتقدير وإجلال لله عز وجل، ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3].فالذين لم يعطوا لله عز وجل قدره فقد أشركوا معه غيره ، لأن الشرك لا يأتي إلا عندما لا يعطي العبد لله عز وجل قدره، لكن عندما عرف الصحابة هذا القدر لله عز وجل أخلصوا في أعمالهم، ولذلك علموا أن مَنْ يعطي لله قدره ويعمل لإرضاء غيره أنه نوع من السفه والحماقة .والمثل الآخر أيضا نموذج في الإخلاص هو ما طلبته امرأة فرعون مما عند الله سبحانه وتعالى حيث قالت :﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾يقول " ابن عاشور " –رحمه الله – : " والظاهر أن قولها :﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾مؤذن بأن فرعون وقومه صدوها عن الإيمان به وزينوا لها أنها إن آمنت بموسى تضيع ملكاً عظيماً وقصراً فخيماً أو أن فرعون وعظها بأنها إن أصرت على ذلك تقتل ، فلا يكون مدفنها الهرم الذي بناه فرعون لنفسه في بادىء الملوك . ويؤيد هذا ما رواه المفسرون أن بيتها في الجنة من درة واحدة فتكون مشابهة الهرم الذي كان معدًّا لحفظ جثتها بعد موتها وزوجها . فقول ذلك كقول السحرة الذين آمنوا جواباً عن تهديد فرعون ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾"[4].[5].

الصفة الرابعة :صلاح الظاهر :

وتظهر هذه الصفة جلية من خلال قوله تعالى :﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾قال " سيد قطب " – رحمه

١–سورة الزمر جزء من آية :٦٧.

٢–سورة الزمر جزء من آية :٦٧.

٣–سورة الزمر جزء من آية :٦٧.

٤–سورة طه جزء من آية :٧٢ .

٥–تفسير التحرير والتنوير (٢٨ /٣٧٧).

الله – : واللقطة الرابعة تثبت أثر العبادة الظاهرة والتطلع المضمر في ملامحهم ، ونضجها على سماتهم :﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾.. سيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية ، ومن ذبول العبادة الحي الوضيء اللطيف . وليست هذه السيما هي النكتة المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله :﴿ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾.. فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة . واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها . فهو أثر هذا الخشوع . أثره في ملامح الوجه ، حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة . ويحل مكانها التواضع النبيل ، والشفافية الصافية ، والوضاءة الهادئة ، والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضاءة وصباحة ونبلاً. وهذه الصورة الوضيئة التي تمثلها هذه اللقطات ليست مستحدثة . إنما هي ثابتة لهم في لوحة القدر ؛ ومن ثم فهي قديمة جاء ذكرها في التوارة :﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾.. وصفتهم التي عرفهم الله بها في كتاب موسى ، وبشر الأرض بها قبل أن يجيئوا إليها ."

هذا الصلاح الظاهر كما في الآية هو السمت وقد اختلفت أقوال أهل العلم في ذلك وهذا ما نقله الشيخ " مصطفى العدوي " – حفظه الله – " لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أنها علامات يجعلها الله يوم القيامة في وجوه أهل الإيمان الذين كانوا يسجدون له في الدنيا ، فيعرفون بها يوم القيامة ، أي : أن علامات سجودهم تبدو في وجوههم يوم القيامة . ومن العلماء من قال : إن ذلك نورٌ وبياضٌ في الوجوه يوم القيامة ، ومنهم من قال : إنها نضرة في الوجوه يوم القيامة .

القول الثاني : أن المراد بذلك علامات الإسلام ، وسمتُ الإسلام ، وأثر الإسلام يبدو على الوجوه ويظهر عليها كذلك أثر الخشوع لله عز وجل .فيُعرف المسلم بسمته وهيأته ومنظره وطريقته في الدنيا ، فيُرى على المؤمنين سمت الإسلام الحسن في دنياهم .

القول الثالث : أنه أثر العبادة يبدو على وجوهم في الدنيا ، أثر قيام الليل ، أثر السهر والتعب

والنصب لله عز وجل كالصفرة التي تكون في الوجوه من السهر والعبادة .

القول الرابع : أنها العلامات التي يكون في الجباه من أثر السجود على الأرض .

قال "الطبري "– رحمه الله – :" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقالَ : إن الله –تعالى ذكره –أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود ، و لم يخص ذلك على وقت دون وقت وإذ كان ذلك كذلك ، فذلك على كل الأوقات ، فكان سيماهم الذي كانوا يُعرَفون به في الدنيا آثار الإسلام ، وذلك خشوعه وهَديه وسمته ، وآثارُ عناءِ فرائضه وتطوعه ، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يُعرَفون به ، وذلك الغُرَّةُ في الوجوه والتحجيلُ في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء ، وبياض الوجوه من أثر السجود . وبنحو الذي قلنا في معنى السِّيما قال أهلُ التأويلِ."[1].

الصفة الخامسة : البراءة من المشركين :

وقد جاء ذلك في المثل الأول في قوله تعالى :﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾كيف لا وهذه صفات أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[2].وكذا عموم الأوامر الواردة في ذلك ومنها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3].وأيضاً ما جاء في المثل الثاني من قول الله تعالى :﴿ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾وهذا كمال البراء من المشركين :امرأة تتبرأ من زوجها ومن مغريات الحياة من القصور والنعيم .قال " سيد قطب " – رحمه الله – : " وها هي ذي امرأة فرعون ، لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه في قصر فرعون .... عن طلب النجاة وحدها ، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتاً في الجنة

١-تفسير الطبري (٢١/ ٣٢٦).

٢-سورة التوبة آية :٧٣ .

٣-سورة المائدة آية :٥٤ .

وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه . وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء وهي ألصق الناس به :﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾ .. وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم ﴿ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.ودعاء امرأة فرعون وموقفها مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صوره . فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ . في قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهي ... ولكنها استعلت على هذا بالإيمان "[1].وقد أجمع العلماء سلفاً وخلفاً من الصحابة والتابعين والأئمة ، وجميع أهل السنة ، أن المرء لا يكون مسلماً إلا بالتجرد من الشرك الأكبر ، والبراءة منه وممن فعله وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة ، وإخلاص الأعمال كلها لله ، كما في حديث " معاذ " – رضي الله عنه في الصحيحين " فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً"[2].

ومن أروع ما تقف عليه في ذلك كلام " سيد قطب " – رحمه الله – : " أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوتهم وذوو قرابتهم وصحابتهم ، ولكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعاً "[3].

المطلب الثاني : أسباب زيادة الإيمان [4]:

اعلم أخي المبارك أن الإيمان يزيد بأمور وبضدها ينقص الإيمان ، فلزيادة الإيمان أسباب أسوق بعضها لك مع أدلتها :

أولاً :معرفة الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى :

ومما يدل على ذلك : قول الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾[5]. ووجه ذلك

١-تفسير الظلال (٦ / ٣٦٢٢).

٢-متفق عليه .

٣- تفسير الظلال (٦ / ٣٣٣٢).

٤- استفدت هذا البحث من مقال للدكتور عبد الله بن حمود الفريح بموقع صيد الفوائد عنوان الموقع:.www.said.net/doat/alfaih/5.htm

٥-سورة فاطر جزء من آية :٢٨ .

أن العلماء أعرف الناس بأسماء الله تعالى وصفاته ، فاستحضروها في دعائهم وفي جميع شؤون حياتهم حتى كانوا أخشى الناس ، والخشية أثر لقوة الإيمان في قلوبهم ، وإلا فالعلم الذي لا يورث هذه الخشية علم مدخول نسأل الله السلامة والعافية .

قال "ابن رجب" : " العلم النافع يدل على أمرين : أحدهما : على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة ، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ، ومحبته ، ورجاءه والتوكل عليه والرضاء بقضائه والصبر على بلائه .

الأمر الثاني : المعرفة بما يحبه ويرضاه ، وما يكرهه وما يسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال ، فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه ويسخطه فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع ، فمتى كان العلم نافعاً ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسر له ، وذل هيبةً وإجلالاً وخشيةً ومحبةً وتعظيماً "[1].وقال أيضاً " فالعلم النافع ما عرَّف العبد بربِّه ، ودلَّه عليه حتى عرفه ووحَّده وأنس به واستحى من قربه وعبده كأنه يراه "[2].وإذا وصل العبد إلى عبادة ربه كأنه يراه لا شك أنه وصل إلى مرتبة عظيمة من الإيمان لأنه وصل إلى أعظم المراتب وهي الإحسان .

ثانيًا : طلب العلم الشرعي :

ويدل عليه ما تقدم من قول الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾فالعلم طريق للخشية التي هي علامة لما وقر في القلب من إيمان وذلك يأتي بالعلم النافع كما تقدم ، ولذا يقول " الإمام أحمد " : " أصل العلم الخشية " . وأيضاً لما تكلم أحد الناس عن الإمام الزاهد العابد " معروف الكرخي " –رحمه الله– في مجلس الإمام أحمد وقال عنه : " إنه قصير العلم " نهره الإمام أحمد وقال : " أمسك عافاك الله وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف " ولذا جعله النبي

١–ابن رجب الحنبلي ، فضل علم السلف على الخلف ، نسخة PDFمن موقع الكتروني http://www.al-mostafa.com صـــــ١١،١٠.

٢–المصدر السابق صـــــــــ١١.

طريقاً إلى الجنة فقال : " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة "[1] رواه مسلم .

ثالثًا: التأمل في آيات الله الكونية ومخلوقاته جل وعلا :

ويدل على ذلك قول الله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]. وقوله تعالى :﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[3].وقوله﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[4].فإن العبد إذا تفكر في آيات الله تعالى في هذا الكون عرف عظمة الله تعالى فازداد إيمانه قال "عامر بن عبد قيس" : " سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – يقولون : " إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر " [5].

ففي قراءته وتلاوته يزداد الإيمان ويدل على ذلك قول الله عز وجل في وصف المؤمنين الصادقين : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[6].وكذلك تدبره ففيه أعظم النفع لزيادة الإيمان وأما القلوب الغافلة فلا تتدبره ، ويدل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[7].قال" ابن القيم "رحمه الله : " قراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى في حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن "

وقال أيضاً : " فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده ، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن ،

١-صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، حديث رقم ٢٥٨٥.

٢-سورة آل عمران آية : ١٩٠.

٣-سورة الذاريات آية :٢١.

٤-سورة يونس آية :١٠١.

٥-السيوطي ، جلال الدين ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ط ١ ، ١٤٢٤ه (١٨٢/٤).

٦-سورة الأنفال جزء من آية :٢.

٧-سورة محمد جزء من آية :٢٤.

وإطالة التأمل ، وجمع الفكر على معاني آياته ، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها ... وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيِّد بنيانه وتوطِّد أركانه ؛ فإذا تدبر العبد آيات الله تعالى وما فيها من وعد ووعيد وجنة ونار والأعمال التي تسوق إليهما زاد إيمانه ويقينه بوعد ربه ووعيده .

رابعاً: الإكثار من ذكر الله تعالى :

ويدل على ذلك قول الله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[1] وقول النبي –صلى الله عليه وسلم– كما في حديث أبي موسى : " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت " [2]، فذكر الله عز وجل فيه حياة للقلب فيزداد إيمان العبد كلما أكثر من ذكر ربه ، ويموت القلب وينقص إيمان العبد كلما كان بعيداً عن ذكر ربه وفي هذا علامة على الغفلة قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[3] وقال في وصف المنافقين الذين ملئت قلوبهم كفراً وبعداً عن الله تعالى :﴿ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[4] قال "أبو الدرداء"–رضي الله عنه– " : لكل شيء جلاء ،وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل . قال "عمير بن حبيب" : " الإيمان يزيد وينقص . فقيل فما زيادته وما نقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا ربنا وخشيناه فذلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسيناه وضيعنا فذلك نقصانه " [5] وقال شيخ الإسلام "ابن تيمية": " الذكر للقلب مثل الماء للسمك ، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء "(٦).

خامساً: تقديم ما يحبه الله ورسوله على هوى النفس :

١–سورة الرعد آية : ٢٨.

٢–رواه البخاري في باب الدعوات برقم ٦٤٠٧

٣–سورة الجمعة آية :٩ .

٤–سورة النساء جزء من آية :١٤٢.

٥–ابن أبي شيبة ، الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ، كتاب الإيمان ، المكتب الإسلامي ط٢، ١٤٠٣ه ، صـــــ٢٠.

صـــــ٢٠.

٦–الوابل الصيب صـــــ٦٣

ويدل على ذلك حديث أنس قال –صلى الله عليه وسلم– : " ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"(١). متفق عليه،قال "ابن حجر" : " قال البيضاوي : وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنواناً لكمال الإيمان لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى ، وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه ، وأن ما عداه وسائط ، وأن الرسول هو الذي يبين مراد ربه ، اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه : فلا يحب إلا ما يحب ، ولا يحب من يحب إلا من أجله ... "(٢). ومن أعظم علامات محبة الله ورسوله تقديم ما يحبه الله ورسوله على هوى نفسه ، قال تعالى :﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣). وكذا مما يزيد الإيمان الحب في الله ، وكراهة الوقوع في الكفر فيبتعد عن كل ما يهوي به إلى ذلك.

سادساً : حضور مجالس الذكر والحرص عليها:

ويدل على ذلك حديث "حنظلة الأُسيدي" – رضي الله عنه – قال : " قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال –صلى الله عليه وسلم –: " وما ذاك ؟ " قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأنّا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيراً ، فقال –صلى الله عليه وسلم– : " والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة "(٤). والضيعات : هي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة . وقال "معاذ بن جبل" لأحد أصحابه يتذاكر معه : " اجلس بنا نؤمن ساعة "(٥) ، وقال "ابن حجر" في الفتح : " وهو عن الأسود بن هلال قال : قال لي معاذ بن جبل : " اجلس بنا نؤمن ساعة " وفي رواية : " كان

١–رواه مسلم في كتاب الإيمان ،باب خصال الخير (٢/ ٣)

٢–الفتح المجلد الأول كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان (١١ / ٤٨).

٣–سورة آل عمران : ٣١.

٤–رواه مسلم ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة (١٧/ ٦٥ ، ٦٦).

٥–رواه البخاري في صحيحه معلقاً ،الفتح (١/ ٤٨).

معاذ بن جبل يقول للرجل من إخوانه : " اجلس بنا نؤمن ساعة فيجلسان فيذكران الله تعالى ويحمدانه " [1]. قال" أبو الدرداء ": " كان ابن رواحة يأخذ بيدي ويقول : " تعال نؤمن ساعة ، إن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياها ". وفي شعب الإيمان "للبيهقي" : " عن عطاء بن يسار أن عبد الله بن رواحه قال لصاحب له : " تعال حتى نؤمن ساعة " قال أو لسنا مؤمنين ؟ قال : " بلى ولكنا نذكر الله فتزداد إيماناً " قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى : " كان الصحابة رضي الله عنهم يجتمعون أحياناً : يأمرون أحدهم يقرأ والباقون يستمعون . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون " ولأن العبد في مجالس الذكر يسمع ما يحثه على طاعة غفل عنها وما يذكره في معصية وقع فيها لينتهي . – ويدخل تحت هذا السبب سبب آخر من مقويات الإيمان وهو مصاحبة الأخيار ، وتقدم نماذج للصحابة في ذلك ويدل عليه : قول الله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾[2]، وحديث "أبي هريرة"– رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال : " المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل "[3]. قال المباركفوري : " (على دين خليله) أي على عادة صاحبه وطريقته وسيرته (فلينظر) أي فليتأمل وليتدبر (من يخالل) من المخالة وهي المصادقة والإخاء ، فمن رضي دينه وخلقه خالَلَه ومن لا تجنبه ، فإن الطباع سراقة والصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده . قال الغزالي : مجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص ومجالسة الزاهد ومخاللته تزهد في الدنيا لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء "

١–الفتح المجلد الأول كتاب الإيمان باب بني الإسلام على الخمس .

٢–سورة الكهف آية :٢٨.

٣–رواه أبوداود (٤١٩٣) والترمذي (٢٣٠٠) وأحمد (٧٦٨٥– ٨٠٦٥) وصححه الترمذي والحاكم وحسنه الألباني ، صحيح الجامع برقم (٦٦٨٩) ، (٢/ ١١٣٢).

قال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي[1]

وقال آخر :

فصاحب تقياً عالماً تنتفع بـــه فصحبة أهل الخير ترجى وتطلبُ

وإياك والفســـاق لاتصحبنهم فقربهمُ يُعدي وهذا مجَّـــــربُ

فإنا رأينا المرء يسرق طبعه من الألف ثم الشرُ للناس أغلبُ

وفي المثل (الصاحب ساحب) فصاحب الإيمان يسحبه إلى ما فيه زيادة الإيمان والعكس بالعكس .وفي الصحيحين من حديث "أبي موسى"-رضي الله عنه -عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : " مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما تجد ريحاً خبيثة "[2]. ويحذيك أي يعطيك ، والأدلة وأقوال السلف كثيرة في أثر الصحبة الصالحة في زيادة الإيمان .

سابعًا: البعد عن المعاصي:

لا شك أن اقتراف المعاصي سبب في نقصان الإيمان والبعد عنها ومدافعتها سبب زيادته فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وإن من طاعة الله تعالى أن يبتعد الإنسان عن المعاصي ، والفتن ، فأي عبد أراد أن يعيش قلبه سليماً من الأمراض لا تضره الفتن ما دامت السماوات والأرض فليبتعد عنها ولينكرها . ويدل عليه : حديث "حذيفة"-رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : " تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عودا ، فأي قلب أُشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض ،

١-مصدر سابق ، الحيوان قول صاحب الفيل (٢/ ١٤٠).

٢-البخاري ، محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح ، المطبعة السلفية ،ط١العام ١٤٠٣هـ حديث رقم (٢١٠١) (٢/ ٨٩).

والآخر أسود مُرباداً كالكوز مجخيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكرا إلا ما أُشرب من هواه " [1]، ومرباداً أي: مخلوطاً حمرة بسواد ، كالكوز مجخيا أي: كالكأس المنكوس المقلوب الذي إذا انصب فيه شيء لا يدخل فيه .

قال القاضي "عياض" : "ليستشبيهه بالصفا بياناً لبياضه،لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل ، وأن الفتن لم تلصق به و لم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس "[2]. وهكذا المؤمن كلما كان من الفتن والمعاصي أبعد؛ كان حفاظه على سلامة قلبه وازدياد إيمانه أكثر، وكلما تهاون بالذنوب وتعرض للفتن ؛كلما نقص إيمانه . قال شيخ الإسلام "ابن تيمية" : " غض البصر يورث ثلاث فوائد : حلاوة الإيمان ولذته ، نور القلب والفراسة ... قوة القلب وثباته وشجاعته "[3].

قال "ابن المبارك ":

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها[4]

ثامناً:الإكثار من النوافل والطاعات :

فكلما أكثر العبد من النوافل نال ثمرات كثيرة منها محبة الله له ومعيته فلا يصدر من جوارحه إلا ما يرضي الله جل وعلا ، وأيضاً يكون مجاب الدعوة ، وإذا نال العبد هذه الثمرات زاد إيمانه لأنه نال محبةالله ورضاه عنه مع ما في النوافل من ثمرات . ويدل عليه : حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قال الله –عز وجل– : " وما يزال عبدي يقترب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي

١– رواه مسلم باب الإيمان.

٢–انظر شرح مسلم للنووي المجلد الأول كتاب الإيمان

٣–مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٢).

٤–ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله ، بهجة المجالس وأنس المجالس ، الجزء الأول صـــــ ٢٤٦ الموسوعة الشاملة

يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه "[1]. فليجتهد العبد ويكثر من النوافل في الصيام والصلاة والذكر وسائر أعمال البر .

تاسعًا: سؤال الله تعالى زيادة الإيمان وتجديده:

ويدل عليه : حديث "عبد الله بن عمرو"- رضي الله عنه- و "عبد الله بن عمر"- رضي الله عنه- قالا : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم "[2]. ، وقوله : " إن الإيمان ليخلق " أي إنه ليبلى ، فالمؤمن إذا أحس بقسوة في قلبه وفتور ونقص في الإيمان سأل الله تعالى أن يجدد الإيمان ويزيده في قلبه ، فقد كان السلف يحرصون على هذا الجانب فيسألون الله عز وجل زيادة الإيمان ، فهذا "عبد الله بن مسعود" - رضي الله عنه- يقول : " اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً "[3]. " وتقدم قول "معاذ" لبعض أصحابه : " اجلس بنا نؤمن ساعة " وكذلك قول "ابن رواحة""لأبي الدرداء" : " تعال نؤمن ساعة " وكان "أبو الدرداء "يقول : " من فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أو منتقص – أي من الإيمان – وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه. " ما تقدم من الأسباب هي من أهم أسباب زيادة الإيمان ، وهناك أسباب أخرى : كالأمر بالمعروف والنهي عن النكر ، وزيارة القبور ، وتأمل سيرة النبي- صلى الله عليه وسلم- ، والقراءة في سير السلف ، والاهتمام بأعمال القلوب كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل وغيرها ، والدعوة إلى الله تعالى ، والتقلل من الدنيا ومن المباحات والفضول في الطعام والكلام والنظر ، وتنويع العبادة ، وتذكر منازل الآخرة ، ومناجاة الله تعالى والانكسار بين يديه ، وتعظيم حرماته ، والولاء والبراء " وبضد أسباب زيادة الإيمان نعرف أسباب نقصانه ، أسأل الله أن يزيدنا إيماناً ويجدده في قلوبنا.

١-رواه البخاري كتاب الرقاق ، باب التواضع برقم (٦٥٠٢) (٤/ ١٩٢).

٢-رواه الطبراني عن ابن عمر وقال الهيثمي : " إسناده حسن " ورواه الحاكم عن ابن عمرو وقال : " رواته ثقات " وأقره الذهبي وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٨٥).

٣- قال الحافظ في الفتح (٤٨/١) " رواه أحمد في الإيمان وإسناده صحيح.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فله الحمد في الأولى والآخرة وله الشكر على عظيم فضله ومنته وله الحمد على ما أنعم علينا من نعمة الطلب والإقبال على كتاب الله تعالى نحمده حمد الشاكرين فلقد عشت ساعات ماتعة مباركة بصحبة كتاب الله تعالى أغوص في معانيه العظيمة وأنهل من كلام رب كريم منان ، وأطوف بين بساتين أهل العلم اقطف منها فوائد نادرة فله الحمد أولاً وأخراً . واعرض لأهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة وهي كالآتي :

أولاً: إِبْرَاز تفاسير الصحابة ومن بعدهم من أئمة السلف والسائرين على منهج الصحابة للأمثال القرآنية ، والاعتماد على أقوالهم في تحديد المعنى والتعريفات ومن ذلك تحديد معنى المثل لغةً، واصطلاحاً ، والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي .

ثانياً: بيان ما للأمثال من أهمية تربوية ، وإيمانية وتأثير ذلك في حياة الفرد والمجتمع فإن الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حتى يُقربها إلى الأفهام بقياسها على المعلوم اليقيني ، والتمثيل هو الغالب الذي يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان ، بتشبيه الغائب بالحاضر ، والمعقول بالمحسوس ، وقياس النظير بالنظير .

ثالثاً: إبراز ما تضمنت الأمثال القرآنية الواردة في المنافقين من صورة حسية وذلك بغرض ذكر قبائح الباطل والتنفير منه فكثيرٌ من الناس قد ينخدع بظاهر الأمر دون أن يسبر غوره ، ويتعرف على خطاياه ، فإذا كشفت له تلك المساوئ المستورة ومثلت له بمثال معقول مطابق ظهر له الأمر.

رابعاً: إِبْرِاز أهم الصفات التي اشتملت عليها الأمثال الواردة في المنافقين ومن ذلك على سبيل البيان ادعاء الإيمان كذباً .

خامساً: تضمنت التحذير من خبث منهج المنافقين بإظهار حسن المظهر مع سوء المخبر .

سادساً: تضمنت الأمثال بيان التذبذب في المواقف وعدم الثبات على الرأي .

سابعاً: إِبْرَاز الوسائل التربوية والإيمانية لمواجهة النفاق ومنها

١- وسائل وقائية :منها التنفير من النفاق والمنافقين والتحذير من الاغترار بهم .

٢- وسائل علاجية لظاهرة النفاق ومنها وعظهم وتذكيرهم وتخويفهم بالله ، والبراءة منهم ، وهجرهم ومقاطعة مجالسهم ، وعدم موالاتهم ، أو محبتهم ، وحرمانهم من قبول مشاركتهم مع المسلمين ، وعدم الرضا عنهم .

ثامنًا : تضمنت الأمثال التنفير من الكفر والكافرين وذلك بنفي العقل والسمع والبصر عنهم فهم أشر من الأنعام .

تاسعًا: إِبِّرَاز التنفير من القدوة السيئة وبيان الصفات المذمومة لهم .

عشرا :إِبَّرَاز سبل وركائز دعوة الكافرين للإسلام وذلك ببيان محاسن الدين الإسلامي وكماله وجمال في عقائده وعباداته وآدابه وبيان البراهين الدالة على رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – لتهتدي من قصده الحق والإنصاف وإبطال شبهات الكفار في الدين إلى غير ذلك من السبل المقترحة لدعوة الكافرين للإسلام .

حادي عشر :إِبَّرَاز ما تضمنته الأمثال من التنفير من الشرك ، ببيان سقوط المشرك من ولاية الله.

ثان عشر :إِبِّرَاز ما تضمنته الأمثال ببيان ضعفما يتمسك به المشركون .

ثالث عشر :إِبَّرَاز ما تضمنته الأمثال لقبح الشرك بشيء يعهده المخاطبون من أنفسهم ، وهو كراهة السيد مشاركة عبده فيما يملك .

رابع عشر :بيان أساليب القرآن الكريم في التحذير من الشرك وهي متنوعة من ذلك الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت .

خامس عشر : إِبَّرَاز ما تضمنته الوسائل التربوية من حماية جناب التوحيد وبيان النصوص النبوية ومن ذلك بيانه – صلى الله عليه وسلم –خصائص الربوبية ونفيها .

سادس عشر : إِبِّرَاز ما تضمنته الأمثال القرآنية من الإقناع بذكر محاسن أهل الحق وصفاتهم .

سابع عشر : إِبَّرَاز ما تضمنته الأمثال من صفات المؤمنين ومن ذلك كالولاء والبراء و المداومة على العيادة وصلاح الظاهر والباطن .

ثامن عشر :إِبَّرَاز الأسباب الجالبة لزيادة الإيمان ومن أهمها:

١-معرفة الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

٢-طلب العلم الشرعي.

٣-التأمل في آيات الله الكونية ومخلوقاته جل وعلا.

٤-الإكثار من ذكر الله تعالى .

٦-تقديم ما يحبه الله ورسوله على هوى النفس .

ونكتفي بهذه الأسباب والله الموفق

أهم المقترحات

أولاً : أن تجمع الأمثال القرآنية في موسوعة علمية واحدة ، بحيث يجد الراغب في فهم جميع ما يحتاجه في كتاب واحد وحبذا لو كان ذلك بمشروع تتبناه الجامعة المباركة .

ثانياً: دراسة الأمثال القرآنية والتي لم تدرس والتركيز على دراستها وتناولها بإبراز القيم التربوية والإيمانية للأمثال لأهمية هذه القيم في مجال الدعوة وزيادة الإيمان .

ثالثًا :الاستفادة من الأمثال القرآنية في مجالات الدعوة إلى الله كافة وأوصي بأن تلخص معاني الأمثال في مطويات واستخدام التقنيات الحديثة ومن ذلك إنشاء مواقع تكون هذه القيم تغريدات مختصرة لبث العلم النافع وتغذية الروح .

وفي الختام الحمد لله أولاً وأخراً على ما أنعم به من تمام هذه الرسالة والله أسأل أن يتقبل منا صالح العمل . وما كان من صواب فمن الله وما كان من نقص أو خلل فمني ومن الشيطان وأسأل الله تعالى أن يتجاوز عنا .

الحمد لله على ما أنعم حمداً يجلو به عن القلب العمى ثم الصلاة والسلام على نبيٍ دينه الإسلام محمدٍ خاتم رسل ربه وآله من بعده وصحبه

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث والآثار

ثبت المصادر والمراجع.

فهرس الآيات القرآنية.

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ	٦	٢٣٥
	وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ	٨	٥٢، ٥٩، ١٣٤
	يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ	٩	١٣٥
	فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا	١٠	٥٢،١٣٦، ١٥١
	وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ	١١، ١٢	١٣٧
	وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ	١٣، ١٤	١٣٨، ١٤٢، ١٤٧،
	مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ	١٧– ١٨	١١، ٢٢، ٢٣، ٢٦ ، ٥٤، ٥٦ ٥٧، ٦٠،
	أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ	١٩: ٢٠	٥٨، ٦٢
	يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ	٢٠	٦٣
	ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ	٢٢	٢٢٠
	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ	٢٦	٣٠
	فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ	٦٦، ٦٧	٣١٦
	قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ	٦٨	٢٧

	مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ	١٠٦	٣٣٣
	قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا	١٣٦	٣٢٣
	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ	١٥٣	٧٣
	وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ	١٦٥	٢١٩
	وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ	١٧٠	١٧٠، ٢٠٩
	وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً	١٧١	١٢، ١٦٢، ٢٩٥
	أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم	٢١٤	٢١
	حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ	٢٣٨	٣٢٤
	لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﷺ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ	٢٥٦	٤٤
	ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ	٢٥٧	
	وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ	٢٦٠	٢٧
	مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ	٢٦١	٣٨
	ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ	٢٧٥	٢٦
آل عمران	لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ	٢٨	٣٣٩
	قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ	٣١	٣٥٧
	ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	٣٤	٩٧
	إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﷺ	٥٩	٢٥

	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ	١٠٢	١
	سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ	١٥١	٣١٥
	ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا	١٥٤	٣٣٤
	إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ	١٧٥	٣١٥
	إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ	١٩٠	٣٥٥
النساء	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ	١	١
	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ	٤٨	٣١٦،٢١٤
	ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ	٨٧	١٩٩
	فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ	٨٨، ٨٩	١٥٢
	لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ	١٢٣	٢٧
	بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا	١٣٨	١٤٨
	وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ	١٤٠	١٤٨، ١٥٢
	إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ	١٤٢	٣٥٦
	إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ	١٤٥	٥٣، ١٤٨
	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ	١٦٨	١٤٤
المائدة	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ	٥٤	٣٢٧، ٣٥٢
	لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ	٧٢	٢١٦، ٣١٤
الأنعام	وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ	١٠	١٣

	وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ	٣٩	١٦٥
	وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ	٥٢	٣٢٣
	قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا	٧١	٢٢٢
	ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ	٨٢	٧٤
	وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ	١٥٣	٦٩، ٧٥
الأعراف	وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا	١٧٥، ١٧٦	١٣، ٣٤، ٤٥، ٢٣٢
	وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ	١٧٩	٢١١
	أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ	١٩١	٣١٥
الأنفال	إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ	٢	٢٢٣، ٣٥٥
	وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ	٢١	٧٤
	إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ	٢٢	٢١١
	وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ	٢٣	١٧٥
	إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ	٤٢	٤٧
	وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ	٤٨	١٠٤
	إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ	٥٥	٢١١
	وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ	٦٠	١٤٨
التوبة	ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ	٣١	٢١٨

التوبة	لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا	٤٠	٧٤
	ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ	٤١	٨٠
	لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا	٤٧، ٤٨	١٥٣
	قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا	٥٣، ٥٤	٩٦، ١٤٧
	فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡ	٥٥	٩٦
	وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ	٥٦	٦٣، ٩٢، ١٣٩
	وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞ	٦١	١٤٥
	يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ	٦٤	٩٢، ١٤٠، ١٥٧
	وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُ	٦٥	٩٢، ١٥٥
	ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖ	٦٧	٥٣، ٩٤، ٩٩، ١٤٠، ١٤٧
	وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ	٦٨، ٦٩	٨٥، ٩٣، ٩٨
	أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ	٧٠	٩٤، ٩٥
	وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ	٧١	٩٧
	وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ	٧٢	٩٨، ٣٢٨
	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ	٧٣	٩٨، ١٤٨،

			١٥٥، ٣٥٢
	٧٥: ٧٨	وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ	٩٦، ١٤٥
	٨٠	ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ	١٥٨
	٨٣	فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ	١٤٩، ١٥٣
	٨٤	وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ	١٥٨
	٩١	لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا	٩١
	٩٥	سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ	١٤٩
	٩٦	يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ	١٥٥
	١٠٧	وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا	١٤٧، ١٥٤
	١٠٨	لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ	١٥٤
	١١٣	مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ	١٥٨
	١١٤	وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ	١٧١
	١٢٣	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ	٣٢٧
يونس	١٨	وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ	٢٣١
	٥٧	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ	١٥٢
	١٠٠	وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ	٢٠٧
	١٠١	قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	١٨٧، ٣٥٥
	١٠٦	وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ	٢٣١
هود	٢٤	مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ	١٢، ٣٤،

			١٧٣
	وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى	٤٥	١٧١
	قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ	٤٦	١٧١
يوسف	قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ	٥٥	١٥٠
	قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ	٦٤	٢٧
	وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا	١٠٥	١٧٣
	وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ	١٠٩	٢٤٦
الرعد	ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا	٢ :٤	٢٤٣
	وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ	٥	٢٤٣
	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ	٦	٢٤
	ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ	٨: ١٣	٢٤٤
	لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ	١٤	١٤، ٢٤٣
	قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ	١٦	٢٤٥
	وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ	٢٧	٢٤٦
	ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ	٢٨	٢٥٦
	مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ	٣٥	٢٣
إبراهيم	مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ	١٨	٣٤، ٣٨
	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً	٢٢	١١٤

	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً	٢٤، ٢٥	٤٤
	رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ	٣٧	٢٢٤
	وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ	٤٥	٢٢، ٢٩ ٣٠، ٤١
النحل	خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ	٤	١٩٦
	أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ	١٧: ٢٢	٢٥٤
	وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ	٣٥: ٣٦	٢٥٤، ٣١٥
	أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ	٤٨	٧٥
	وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ	٥١	٢٥٤
	لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ	٦٠	١٩، ٢٣، ٢٥٤، ٣٠٤
	وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ	٦٢	٣٠٠
	وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	٧٣	٣١٦
	فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	٧٤	٢٥٤
	ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ	٧٥، ٧٦	١٤، ٢٥٣
	ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ	١٢٥	١٩٨
	إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ	١٢٨	٧٣
الإسراء	لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا	٢٢	٢٧٤
	تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ	٤٤	١٨٤

	سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا	٧٧	١٧٣
	وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ	٨٢	١٥٢
	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ	٨٩	٣٨، ٤١
	قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ	١١٠	٢٧
الكهف	وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ	١٨	١٢٨
	هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً	١٥	٣١٤
	وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ	٢٨	٣٥٨
	أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ	٣١	٣٣٣
	أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ	٧٩	٢٣٩
مريم	قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا	١٨	٣٤١
	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا	٤٢	١٦٩
	يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا	٤٤	٩٤
	وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا	٦٦	١٩٦
طه	قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا	٧٢	٣٥٠
	قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً	٩٦	١٧٩
الأنبياء	قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا	٦٦	٣١٥، ٣١٦
	إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ	٩٨	٢٠
	وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا	٩١	٣٤٤
	يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ	١٠٤	٤٣

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الحج	ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ	٥ : ٧	٢٧٦
	وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ	١١	٦٤
	هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ	١٩: ٢٤	٢٦٦
	كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا	٢٢	٣١٧
	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ	٢٥	٢٦٧
	وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ	٢٦	٢٦٧
	ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ	٣٠	٢٦٧
	حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ	٣١	١٤، ٢٦٦
	ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ	٣٢	٢٦٨
	وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا	٣٤ – ٣٥	٢٦٨
	لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا	٣٧	٢٦٨
	وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا	٧١	٢٧٥
	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ	٧٣	١٤، ٢٠٠، ٢٧٦، ٣١٦
	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟	٧٧ – ٧٨	٣٢٤
المؤمنون	قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ	١ – ٢	٣٤٨
	وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ	١١٧	٢٤٥

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
النور	إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ	١٩	١٤١
	وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ	٣٥	٢، ٣٥
	أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	٤١	١٨٤
الفرقان	وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ	٣٩	٢٢
	إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا	٤٢	١٨٦
	أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ	٤٤	١٢، ١٨٣
الشعراء	فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ	٦	٢٣٨
	قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ	٦٢	٧٤
القصص	قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ	٢٦	١٥٠
	وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ	٥٣	٣٢٣
العنكبوت	وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا	١٢	٢٢٥
	مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ	٤١	١٤، ٢٨٨
	إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ	٤٢	٢٨٩
	وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ	٤٣	٢، ٤، ٢١، ٢٩، ٣٠، ٦٨
الروم	وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ	٢٧	٢٧٩

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ	٢٨	١٥، ٢٩٧
	وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ	٥٨	٢٩، ٣٨
لقمان	وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ	١٣	٣١٤
الأحزاب	لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ	٢١	٢٠٧
	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا	٤١ –٤٢	٣٢٣
	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ	٥٠	٧٥
	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا	٥٣	٩١
	لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ	٦٠ – ٦٢	١٥٧
	وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا	٦٧	٢٠٩
	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ	٧٠ – ٧١	١
فاطر	مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا	٢	٣٣٣
	إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا	٦	١٠٥
	أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا	٨	٢٩٨
	وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ	١٩ : ٢٤	١٧٥
	وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ	٢٨	٢٥٣
	إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ	٢٩	٣٢٣
يس	قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا	٥٢	٩٨

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ	٧٨ : ٧٩	١٣
	أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ	٧٧ : ٨٢	٤٣، ١٩٠
ص	قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ	٦٠	١٣٠
الزمر	أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ	٣	٢١٦
	وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ	٨	٣٠٦
	قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ	١١	٣٠٦
	قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى	١٤	٣٠٦
	وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ	١٧ : ١٨	٣٠٦
	أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ	٢٢	٦١
	وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ	٢٧	٢، ٣٠
	ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ	٢٩	١٥، ٤٤، ٣٠٦
	وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ	٣٣، ٣٤	٣٢٢
	وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ	٣٨	٣٠٧
	أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ	٤٣	٢١٧، ٣١٧
	وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ	٦٥	٣١٥
	وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ	٦٧	٣٤٩، ٣٥٠

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
فصلت	وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ	٤٤	١٥٢
الشورى	ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ	١٧	٣٠
الزخرف	فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ	٥٦	٢٠، ٢١
	وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ	٥٧	٢٠
	إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	٥٩	٢٠، ٢١
الأحقاف	وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥ	٥	٣١٦
محمد	ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ	٣	٤٧
	إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ	١٢	٢١١
	مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ	١٥	١٩
	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ	٢٤	٣٥٥
	أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ	٢٩ : ٣٠	١٥، ١٥٧
الفتح	سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا	١١	٣١٨
	سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا	١٥	١٥٤
	مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ	٢٩	٤٥، ٣٢٥
الحجرات	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ	١	٣٢٦
	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ	٢	٩١
	إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ	١٠	١٧٠

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ	١٢	٢٦
	إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ	١٥	٣٢٢
الذاريات	وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ	٢١	٣٥٥
	إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ	٥٨	٢٧٩
الطور	وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ	٢١	٢٠٦
	أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ	٣٥	٣١٨
النجم	لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ	٥٨	٢٨
القمر	وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ	١٧	٤١
الواقعة	وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ	٢٢ ، ٢٣	٤٢
الحديد	ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ	٢٠	١٥٩
المجادلة	أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ	١٤	١٤٦
	يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ	١٨	١٤٧
الحشر	مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي	٧	٢١٠
	أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ	١١	١١٠، ١٤٧
	لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ	١٣	١٠٧
	لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ	١٤: ١٧	١٠٠، ١٠٨، ١١١

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	١٥ : ١٦	١٠١، ١٠٢، ١٠٣،١٠٤، ١١٣
	لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ	٢٠	١٧٥
	لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا	٢١	٤٦
الممتحنة	قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ	٤	١٧١
الجمعة	مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ	٥	٤٤
	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ	٩	٣٥٦
المنافقون	إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ	١	٥٢، ١٤٦
	ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ	٢	١٣٩
	ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ	٣	٧٢،١٤٤
	وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ	٤ : ٥	١٢، ٥٢، ١١٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٢، ١٥٠
	سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ	٦	١٥٨
	هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟	٧	٩٧، ١٣١، ١٤٣

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
التحريم	ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ	١٠	١٣، ٤٥، ٢٠٣
	وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ	١١ : ١٢	١٥، ٣٣٧
الملك	فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ	١١	٢٧٠
نوح	إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا	٢٧	٢٧
الجن	قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا	٢١ : ٢٢	٣١٨
المدثر	فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ	٤٩ : ٥٠	٢٦
القيامة	أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ	٣	١٩٦
الإنسان	إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ	٢	١٩٢
	فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا	٢٤	٦٤
البروج	إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ	١٢ ، ١٣	٢٧٩
	هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي	١٧ : ٢٠	٦٣
الطارق	خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ	٦ ، ٧	١٩٢
الليل	وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى	١٧	٣٤٩
	ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ	١٨ : ٢٠	٣٤٩
القارعة	يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ	٤	٢٦
الكافرون	لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ	٦	٢٧، ٢٨

فهرس الأحاديث والآثار

أولاً: فهرست الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة
أتدري ما حق الله	٣٣٥
أخوف ما أخاف	٢١٩
إذا أؤتمن خان	١٥٠
أفضل نساء أهل الجنة	٣٣٩
ألا أنبؤكم بما هو أخوف عليكم	٢٢١
إن الإيمان ليخلق بأجوف أحدكم	٣٦١
إنَّ الحمد لله نحمدهونستعينه ونستغفره	١
إن العاص بن وائل أخذ عظماً	١٩٠
إن القرآن نزل على خمسة أوجه	٢
إنَّ رجلاً حضره الموت	١٩٣
إنها رأت كنيسة بأرض الحبشة	٣١٩
تعرض الفتن على القلوب كالحصير	٣٥٩
ثلاث من كن فيه	٣٥٧
جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم هائل	١٩٠
خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط	٣٣٩
غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان منا أناس من الأعراب	١١٦- ١١٧
الصلاة خير موضوع	٣٤٧
فإن حق الله على العباد	٣٥٣

قال كنت في غزاة	١١٦
كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء	٣٤٠
لا تأخذن كما أخذ الأمم	٨٨
لا تطروني كما أطرت النصارى	٣١٨
لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان	٢٢٠
لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود	٣٩
ما أحد أصبر أذى سمعه من الله	٣١٤
ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل	٣٦٥
متعنا بأسماعنا وأبصارنا	٧٤
مثل الجليس الصالح	٣٥٩
مثل الذي يذكر ربه	٣٥٦
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم	٣٠٨
المرء على دين خليله	٣٥٨
من حلف بغير الله	٢٢٠
من كان حالفاً فليحلف	٢٢٠
من لا يشكر الناس	ل
والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون	٣٥٧
ودعاهم رسول الله ليستغفر لهم	١١٧

ثانياً: فهرست الآثار

الأثر	رقم الصفحة

اجلس بنا نؤمن ساعة	٣٥٧
استمتعوا بنصيبهم من الآخرة	٨٧
إن ضياء الإيمان	٣٥٥
الإيمان يزيد وينقص	٣٥٦
التي تسمون في سورة التوبة	٨٠
اللهم زدنا إيماناً ويقيناً	٣٦١
تخافونهم أن يرثوكم كما يرث	٣٠٠
قلت لابن عباس سورة التوبة قال:	٧٩
كان ابن رواحة يأخذ	٣٥٨
كانت امرأة ترعى الغنم	١٠٢
كانت امرأة نوح	٢٠٤
كانت براءة تسمى	٧٩
كانت براءة تسمى في زمان	٧٩
كانت هذه السورة تسمى الفاضحة	٨٠
كان فرعون أعتى أهل الأرض	٣٣٩
كان يلبي أهل الشرك	٣٠١
كفار قريش ببدر	١٠٦
كمثل البعير	١٦٦
لايسمعون الهدى ولا ينصرونه	١٦٦
لكل شيء جلاء	٣٣٦
لو قعدت العام عن الغزو	٨٠

ما أشبه الليلة بالبارحة	٨٨
هذا دواء الجنون	٣٤٧
هذا مثل ضربه الله للكافر	١٧٦
هو الشرك في هذه الأمة	٢٢٠
وإن تعجب من تكذيبهم إياك	٢٤٣
وما كانوا يدعون	٧٩
يعني بني قينقاع	١٠٦

ثبت المراجع والمصادر

مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي الإصدار ١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الأجري :	أبو بكر محمد بن حسين ، الشريعة ، دار الوطن للنشر ، ط٢ لعام ١٤٢٠هـ
الأزهري :	أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة لعام ١٣٨٤.
إسماعيل :	محمد بكر ، الأمثال القرآنية دراسة تحليلة ، مطبعة الأمانة ، ط١ ،١٤٠٦هـ
الألباني:	محمد ناصر الدين ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ،ط١٤٠٨،١هـ
الألوسي:	أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود ، روح المعاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ وبدون ذكر الطبعة .
الأندلسي	أحمد بن محمد بن عبد ربه ،العقد الفريد، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ،١٤٠٤.
إيميل و بسام ، مي	يعقوب وبركة وشيخاني ، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ، دار العلم للملايين ، ط١ ، ١٩٩٨.
الباز :	أنور ، التفسير التربوي للقرآن الكريم ، دار النشر للجامعات مصر ، بدون ذكر الطبعة لعام ١٤٢٨هـ.

ابن باز :	عبد العزيز بن عبد الله ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، موسسة الحرمين الخيرية ط٣ ،١٤٢٣هـ .
البخاري	محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح ، المطبعة السلفية ط١ لعام ١٤٠٣.
البدر :	عبد الرزاق بن عبد المحسن ، مكانة الدعوة إلى الله وأسس دعوة غير المسلمين ، دار الفضيلة بدون تاريخ .
البدر :	عبد الرزاق بن عبد المحسن ، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ، دار كنوز ، إشبيليا للنشر والتوزيع ، ط٢ لعام ١٤٢٧هـ.
البقاعي :	برهان الدين ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥ه ، توزيع دار الباز ، مكة .
الببيانوني :	عبد المجيد البيانوني ، ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره ، دار القلم ،ط١ لعام ١٤١١هـ.
البيضاوي :	أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي ، أنوار التنزيل مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده مصر ، ط٢ لعام ١٩٥٥م .
الترمذي :	أبو عبد الله محمد بن علي ، الأمثال من الكتاب والسنة ، ت مصطفى عبد القادر عطا ، مؤسسة الكتب الثقافة ، ط١ لعام ١٤٠٩هـ .
الترمذي:	أبو عبد الله محمد بن علي ، الجامع الكبير ، تحقيق بشار عواد معروف ،دار الغرب الإسلامي ،ط١ عام ١٩٩٦.
ابن تيمية :	أحمد بن عبد الحليم ، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، عام

	١٩٨٤م، بدون ذكر الطبعة.
ابن تيمية :	أحمد بن عبد الحليم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف عام ١٤٢٥هـ.
ابن تيمية و عبدالوهاب :	أحمد بن عبد الحليم ، محمد ، مجموعة التوحيد ، طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ،طبعة خاصة
الثعالبي	عبد الرحمن محمد بن مخلوف ، تفسير الثعالبي ، دار إحياء التراث ، بيروت ط١ لعام ١٤١٨هـ.
الجاحظ	أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، مكتبة الحلبي ط٢ ، بدون تاريخ
الجربوع :	إبراهيم بن عبد الله ، الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضادها من الشرك ، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية قسم العقيدة عام ١٤٢٩ / ١٤٣٠هـ.
الجربوع :	عبد الله بن عبد الرحمن ، استنساخ الأجنة من الخلايا الهندسية وراثياً في ضوء العقيدة الإسلامية ، بحث غير منشور .
الجربوع	عبد الله بن عبد الرحمن ، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ط الجامعة الإسلامية عام ١٤٢٤هـ.
الجوزي :	أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ، زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي ، بدون تاريخ أو طبعة
الجوهري :	إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، دار العلم للملايين ،ط٣ لعام ١٤٠٤هـ.

ابن حجر :	الإمام الحافظ أحمد بن علي العسقلاني ،فتح الباري بشرح صحيح البخاري دار طيبة ،ط١ عام ١٤٢٦هـ
حمد:	أحمد بن إبراهيم ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الأيتام لأبن القيم ، بدون تاريخ .
حمزاوي	يزيد ، المدلولات التربوية للأمثال القرآنية ، دراسة تحليلية للنصوص القرآن ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر لعام ٢٠٠٥.
الحميدي:	عبد العزيز عبد الله ، المنافقون في القرآن الكريم ، دار المجتمع للنشر ،ط١ لعام ١٤٠٩هـ.
أبو حيان :	محمد بن يوسف الأندلسي ، تفسير المحيط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١العام ١٤١٣هـ
الدوسري :	منيرة محمد ناصر ، أسماء سور القرآن وفضائلها ، دار ابن الجوزي عام ١٤٢٦هـ
الرازي :	فخر الدين ، مفاتيح الغيب ، دار الطباعة العامرة ، اسطنبول عام ١٣٠٧.
الراغب :	أبو القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة ، بيروت لبنان .
الرحيلي :	إبراهيم بن عامر ، التكفير وضوابطه ، دار الأمام أحمد ،ط٢ ، بدون تاريخ .
رزق :	سميرة عدلي محمد ، وجوه البيان في أمثال القرآن ، رسالة دكتوراه في الأدب ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة كلية اللغة العربية ، عام ١٤٠٦/ ٥١٠٤٧.

الرفاعي :	محمد نسيب ، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، مكتبة المعارف، الرياض ، طبعة جديدة ،١٤١٠هـ.
الزبيدي :	السيد محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، طبعة التراث العربي الكويت عام ١٤٢١هـ.
الزركشي :	بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث القاهرة ، بدون تاريخ .
زكريا :	أبو بكر محمد ، الشرك في القديم والحديث ، مكتبة الرشد الرياض ،ط١، لعام ١٤٢٢هـ.
الزمخشري:	أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل ، حقق الرواية محمد الصادق قمحاوي .١٩٧٢
الزين :	سميح عاطف ، الأمثال والمثل والمثلات في القرآن الكريم ، دار الكتاب اللبناني بيروت للمصري القاهرة ط٢ عام ١٤٢١هـ
السبحاني :	جعفر ، مفاهيم القرآن ، مؤسسة الإمام الصادق ،بدون تاريخ
السعدي :	عبد الرحمن ناصر ، القول السديد في مقاصد التوحيد ، مجموعة التحف النفائس الدولية ط١ عام ١٤١٦هـ.
السعدي :	عبد الرحمن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ، ط١ عام ١٤٢٣هـ .
السكري:	أبو سعيد ، شرح ديوان كعب بن زهير ، طبعة دار الكتب المصرية عام ١٩٥٠م.

سندي :	هند بنت إبراهيم ، الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، كلية الدعوة، قسم العقيدة عام ١٤٣٣هـ.

السيوطي :	جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث ،ط١(١٤٢٤-٢٠٠٣).
السيوطي:	جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، الإتقان في علوم القرآن ، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف عام ١٤٢٦هـ.
شاكر :	أبو الأشبال أحمد ، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ، دار الوفاء ،ط٢ ،١٤٢٦.
شيبة :	الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد ، كتاب الإيمان ، المكتب الإسلامي ط٢لعام ١٤٠٣.
الشدي :	عادل علي ، دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة ، دار الوطن للنشر ، الرياض ،ط١ عام ١٤٢٤هـ.
الشوكاني :	محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، مطبعة مصطفى الحلبي ، مصر ،ط ٢ لعام ١٣٨٣.
صافي :	محمود بن عبد الرحيم ، الجدول في إعراب القرآن وصرفاً، دار الرشيد ط٣ عام ١٤١٦.
الصالحي :	علي الحمد المحمد ، الضوء المنير ، مؤسسة النور للطباعة والنشر ، بدون تاريخ .

الصاوي :	أحمد،حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، مكتبة محمد علي صبح وأولاده بدون تاريخ
طاحون :	أحمد بن محمد،أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم،مكتبة القرآن الإسلامي،ط١ عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
الطبرسي :	أبو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، مطبعة الفرقان،صيدا،عام ١٣٣٣ه.
الطبري :	أبو جعفر محمد بن جرير،تفسير الطبري،دار هجر للطباعة والنشر،ط١ عام ١٤٢٢ه.
الطحاوي :	محمد بن محمد،إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم بتفسير أبي السعود على حاشية التفسير الكبير للفخر الرازي،المطبعة المصرية ببولاق ١٢٨٩هـ.
ابن عاشور :	محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ، تونس،١٩٨٤م.
عبد الدايم :	عبد الله،التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين،دار العلم للملايين،بيروت،ط٥ عام ١٩٨٦م.
عبد الوهاب :	سليمان بن عبد الله بن محمد،تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد،المكتب الإسلامي،ط٣عام ١٣٩٧هـ.
ابن عثيمين :	محمد بن صالح ، تفسير القرآن الكريم ، دار ابن الجوزي،ط١عام ١٤٢٣هـ.
ابن عثيمين :	محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم، دار الهداية،ط١عام ٢٠٠٩هـ.
العدوي :	أبوعبد الله مصطفى ، التسهيل لتأويل التنزيل ، مكتبة الهدى ط١ عام ١٤١٦ه.

العدوي :	أبوعبد الله مصطفى ، التسهيل لتأويل التنزيل ، مكتبة مكة ،بدون تاريخ
العقل :	ناصر بن عبد الكريم ، التقليد والتبعية وأثرها في كيان الأمة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض،عام ١٣٩٣/ ١٣٩٤هـ.
الفتوني :	أبو الحسن العاملي،مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، طهران،مطبعة الافتاب عام ١٣٧٣هـ.
الفوزان :	صالح بن فوزان بن عبد الله،الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد،طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث والإفتاء والدعوة ١٤١٢هـ.
الفياض :	محمد جابر، الأمثال في القرآن الكريم،طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي،لعام ١٤١٥ه/ ١٩٩٥م.
القرطبي :	محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن ، مؤسسة الرسالة،ط١لعام ١٤٢٧ه.
القطان :	مناع،مباحث في علوم القرآن،مكتبة المعارف ،الرياض،ط٣لعام ١٤٢١هـ.
قطب :	سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق،ط٣٢ لعام ١٤٢٤هـ.
القيرواني :	أبو علي الحسن بن رشيق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، العمدة في صناعة الشعر ونقده،دار الجيل بيروت،ط٤لعام١٩٧٢م.
ابن القيم :	شمس الدين محمد بن أبي بكر،بدائع التفسير،دار ابن الجوزي،ط١لعام١٤٢٧ه.
ابن القيم :	شمس الدين محمد بن أبي بكر، شفاء العليل ، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ.
ابن القيم :	شمس الدين محمد بن أبي بكر ، طريق الهجرتين وباب السعادتين، مكتبة المتنبي ،

	القاهرة، بدون تاريخ .
ابن كثير :	الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر،ط١ عام ١٤٠٨هـ.
ابن كثير :	الحافظ عماد الدين أبوالفداء إسماعيل،تفسير القرآن العظيم،مؤسسة قرطبة،ط١ عام١٤٢١هـ.
الماوردي :	علي بن محمد بن حبيب،الأمثال والحكم،طبعة دار الوطن للنشر،ط١عام ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
المتنبي :	أبو الطيب أحمد بن حسين ، ديوان أبي الطيب المتنبي ،بشرح العكبري دار المعرفة
مدكور :	أحمد بن محمد بن قاسم،المناسبة وأثرها في تفسير التحرير والتنوير،رسالة ماجستير،جامعة أم القرى،كلية الدعوة وأصول الدين عام ١٤٢٩هـ.
المراغي :	أحمد مصطفى،تفسير المراغي،شركة ومكتبة مصطفى الحلبي،لعام ١٣٦٥هـ.
مسلم :	أبو الحسين مسلم بن الحجاج،صحيح مسلم بشرح النووي،دار الريان للتراث،ط١ لعام ١٤٠٧هـ.
مسلم :	مصطفى ، ونخبة من علماء التفسير، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،طبعة كلية الدارسات العلمية والبحث العلمي جامعة الشارقة عام ١٤٣٠هـ
ابن منظور:	جمال الدين محمد بن مكرم،لسان العرب،طبعة المعارف .
الميداني :	عبد الرحمن حسن حنبكة،الأمثال القرآنية وصور من أدبه الرفيع،دار القلم،ط٢ لعام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
ناصف :	مصطفى، نظرية المعنى في النقد العربي،دار القلم،القاهرة ١٩٦٥م.
النحلاوي:	عبد الرحمن،أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع،دار الفكر، ط١٤٢٨،٢٥.

النيسابوري :	نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين،غرائب القرآن ورغائب الفرقان،ت إبراهيم عطوة عوض،مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة،عام ١٩٦٤م.
الهاشمي	السيد أحمد ، جواهر الأدب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، بدون تاريخ.
الهاشمي:	محمد،لمحات نفسية في القرآن الكريم،مكتبة رحاب باتته،ط١ بدون تاريخ.
هراس:	محمد خليل ،شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية،ط الجامعة الإسلاميةط٤
الهرري :	محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن،دار طوق النجاة ،ط١عام ١٤٢١هـ.
ابن هشام	عبد الملك ، سيرة النبي ، مكتبة الصحابة ط١ ،١٤١٦.

المواقع الالكترونية

الجاحظ	أبو عثمان ، البيان والتبيان ، الموسوعة الشاملة
حمود :	عبد الله بن حمود الفريح ، موقع صيد الفوائد www.said.net
الحموي	ابن حجة ، خزانة الأدب ، الموسوعة الشاملة
الراشد :	محمد أحمد،الرقائق،نسخة الكترونية pdf نشر الكتب العربية
ابن رجب :	الحنبلي،فضل علم السلف على الخلف،نسخة pdf من موقع www.al-mostafa.com
ابن عبد البر ،	أبو عمر يوسف بن عبد الله ، بهجة المجالس وأنس المجالس ، الموسوعة الشاملة